نهج البلاغة

نبراس السياسة ومنهل التربية

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Nahj

«نهج البلاغة»

نبراس السّياسة و منهل التّربية

مجموعة بحوث ومقالات
لعدّة من العُلماء والمفكرين

2264
.1067
.8285
1984

2264
.1067
.8285

مؤسسة نهج البلاغة
طهران - إيران

• اسم الكتاب :	نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية
• المؤلف :	عدّة من العلماء والمفكّرين
• الطباعة :	مطبعة سلمان الفارسي - قم
• تاريخ الطبع :	ذوالحجة، ١٤٠٤هـ
• عدد النسخ :	٢٠٠٠

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
32101 021972888

بسم الله الرحمن الرحیم

89-312586

محتويات الكتاب

المقدّمة	٩
بيان الإمام الخميني	١٧
أعمال المؤتمر الثالث (لبيب بيضون)	٢١
نهج البلاغة بعد ألف عام (محمّد علي اسبر)	١٠٧
الضمان الاجتماعي كما يصوّره الإمام علي«ع»(الشيخ التسخيري)	١٢٥
نقض شبهة الإضافات في نهج البلاغة (السيد عبدالزهراء الخطيب)	١٣٩
خواطر مستوحاة من مطالعة نهج البلاغة (الشيخ توري)	١٤٩
تساوي القوي والضعيف في نهج الإمام علي«ع» بالحق (الشيخ يحفوفي)	١٥٩
المرأة في الاسلام ومن خلال نهج البلاغة (لبيب بيضون)	١٧٩
من وحي نهج البلاغة (حسين مسعودي)	٢٣٣
الزهد في نهج البلاغة(عيسى سليمان حبيب)	٢٤١
الفقر، اسبابه وعلاجه (لبيب بيضون)	٢٥٩
الدرس اللساني المستنبط من الرسالة الإلهية في نهج البلاغة (الراجي الهاشمي)	٣٣٣
الفقر، مكافحته وعلاجه (محمد خير الحلواني)	٣٤٧
مكانة الطبقة العاملة ودورها في وقاية المجتمع (محمدبامبا انجاي)	٣٦٧

« تحية لأمير المؤمنين في ذكرى مولده »

آيات فضلك من بياني أكبر ... ماذا أقول مرتلاً ياحيدر
منك البلاغة والبيان وكلتُنا ... من بحر علمك نستمد ونزأر
فبأي إنسادٍ أفيك محبتي ... وكثير فضلك لايعد ويحصر
ياسيد البلغاء يامن خصَّه ... طه الأمين بما يحب ويؤثر
كم شاعرٍ قبلي أمامك لم يجد ... قولا جليّاً عن نداك يُعبر
يتسابقون الى عُلاك وكلهم ... دون الحقيقةِ عاجز ومقصِّر
ملكت مَهابتُك العقول وربما ... يُعفى المبين متى يهاب ويعذر
عفواً أمير المؤمنين إذا كبا ... شعري. فعجزي عن سناك مبرر
لو بتُّ أُنشد ماحييتُ قصائداً ... كيما أفيك . فإنني لاأقدر
فإذا عثرت فان وجدي سابق ... وإذا عذرت فإن حلمك أكبر
حسبي اعتزازاً أن كل خلية ... مني تسر على هداك وتجهر

* * *

وافيت في ذكراك محفل اخوة ... بهم الزمان مؤرج ومعطر
عرفوك معرفة البصير فهلّلوا ... شغفاً بحبك في الحياة وكبروا
وسعوا اليك فكل همس صيحة ... لك . ياإمام. وكل أرض منبر
بجباههم أثر السجود مُترجمٌ ... وبنسكهم شرف اليقين مُفَسَّر
وعلى المحبة والمودة والوفا ... لزموا هداك بأكبد تتفطر

* * *

ياسيدي سبل النجاة عزيزة ... إلا لديك ونحن باسمك ننصر
أيفوز في الدارين من لم يستنر ... بضيائك الوضاء ساعة يُحشَر

* * *

ياباب علم الهاشمي محمد ... منك المكارم في الزمان تحدّر
جئنا نشارك خاشعين بمولد ... أطللت فيه على البرية تُقمِرُ

لما طلعت فكنت أول مؤمن ... سمع النداء شبابه المتفجرُ
ووقفت للاسلام حصناً واقياً ... فيه الشهامة والرجولة تزخر
يا هول ماشهدت وماحملت وما ... لاقت بسيفك في المعارك (خَيْبرُ)
ماذوالفقار وَحدُّه ومضاؤه ... لولا يداك . وأن زندك مُشهِر
ياسيدي عذراً فإني هائم ... بجليل قدرك عاجز مُتَعَثِّر
لاالشعر ينصف إن ذكرتك مادحاً ... منك الخصال. ولا الملاحم تُسفِر
لكنها هبة الفقير سكبتها ... من جا نحيَّ... ولايلام المعُسر

* * *

يا أخوة نهج البلاغة ضَمَّهم ... للمكرمات فمرشد ومُبَشِّر
منكم اليكم جئت أحمل مهجتي ... مهراً لحبي والمحبة تمهر
حسبي إذا ذكر الذين تشرفوا ... بلقائكم أني أعَدُّ وأذكرُ

عبدالرحيم الحصني

« تحية للإمام الخميني »

ركن الإمامة أيُّ شعرٍ يُنشدُ ... وأنا عليك من البلاغة أُحسدُ
تتألق الصور الحسان بخاطري ... فتهون دونك في الجمال فتخمدُ
وأنا الذي دمه القصيد وحُبُّه ... الحب الوحيد وقلبه المتوقد
في كل لحن من نشيدي عازفٌ ... وبكل روضٍ من صداي مغرِّدُ
يا ابن الذين تواكبت شهداؤهم ... ودم الحسين لهم يمدُّ ويرفدُ
وهناك - فاطمةٌ - ترى أبناءها ... بدمٍ يطلُّ وآخر يترصد
نور النبوّة في جبينك شعلةٌ ... حسرت ظلام الامس فانبلج الغدُ
وافيت أرضك هائما ومهنِّئاً ... والله يعلم والمحبة تشهدُ

عبدالرحيم الحصني

المقدّمة

نهج البلاغة، هذا السفر الخالد

إن كتاب نهج البلاغة هو ينبوع متدفق جيّاش، يزداد تدفّقاً كلّما نقّبت فيه كما ظهر مدى اتصاله ببحار المعارف الالهية أيضاً. فالكتاب ليس رائداً لجيل أو قرن فحسب وإنّما هو رائد لكلّ الأجيال ولكلّ القرون. و يعود تدفّق نهج البلاغة وخلوده إلى شخصية من أوجده، فهو ظلٌّ رقيقٌ لشخصية الامام علي (ع) المشرقة. وليس مضيّ الزمان هو الذي أضفى على السفر بهاءً وعظمة وإنّما هي شخصية الامام الجليلة التي أضفت على تلكم الكلمات روحاً وروعةً وخلوداً.

أجل، إنّ نهج البلاغة هو مجلي للحبّ ومنار للمعرفة، ودليل للسياسة، ونبراس للسياسة، ومنشور للحكم، وميزان للعدالة ومثار للحماس، ومعدن للكياسة، ومنهل للتربية، ومحراب للعبادة، ومثال للفصاحة والبلاغة.

والغريب في أمر الكتاب أن المشاهد فيه تتغيّر بصورة تُريك أن الحقّ قد غلب كلّ الظنون الباطلة، و يعبّر الشيخ محمد عبده العلاّمة المصري الشهير في مقدمته لنهج البلاغة عن هذه الحقيقة بالقول:

«... فتصفّحت بعض صفحاته وتأمّلت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات وموضوعات متفرقات، فكان يخيّل إليّ في كلّ مقام أنّ حروباً شبّت وغارات

شنّت، وأنّ للبلاغة دولة وللفصاحة صولة، وأنّ للاوهام عرامة، وللريب دعارة، وأنّ جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام تنافح بالصفيح الأبلج والقويم الأملج، وتمتلج المهج براضع الحجج، فتفل من دعارة الوساوس وتصيب مقاتل الخوانس، والباطل منكسر ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وأنّ مدبّر تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، بل كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع أحسّ بتغيّر المشاهد وتحوّل المعاهد، فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها وتقوم منها مرادها، وتنفر بها عن مداحض المزالّ إلى جواد الفضل والكمال... وأحياناً كنت أشهد أنّ عقلاً نورانياً لايشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الالهيّ واتّصل بالرّوح الانساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد الفوز الأجلى...».

أجل، لقد اهتدى علي(ع) إلى الحقائق الثابتة وفلسفة الخلق بصورة تجد كلامه الشفّاف يخلّد الحياة وهو أيضاً خالد خلود الدهر. فلاغرو، إذ هو من كلام من تربّى في أحضان النبيّ(ص) وارتوى من معين الوحي ونما وترعرع في بيت القرآن... وهو من كلام من لمس كلام الله بكلّ كيانه، فتجسّد فيه الايمان وأصبح هو ذاته مجلى للحقّ وباب مدينة علم النبيّ(ص) إذن، فلاعجب أن يصدر منه كلام على مستوى نهج البلاغة... وهذا موضوع لانخوضه هنا.

فالمجاهدون والعلماء ومرابطو الملحمة، الخالدة، قدسلكوا هذا المسلك حريصين ومضحّين بكلّ ماعندهم من نفيس، فجعلوا تلك الموسوعات والمصادر الكبيرة في متناول من ينشد الحقّ، فجزاهم اللّه عنّا خير الجزاء.

وبصدد الخلود الذي يتمتّع به نهج البلاغة، فالكتاب جوهرة لا يعلوها غبار البلىٰ، يزداد لمعاناً وإشراقاً يوماً بعد يوم ونرى العالم يتعرّف عليه أكثر وأحسن، لأنّه من كلام إمام لمس الآلام كلّها وشعر بما يعانيه الانسان، وجرّب الأعاصير والفتن وخرج منها خالصاً مرفوع الرأس، وذلك بفضل مالديه من معرفة ونور إلهيّ كإمام. إنّ نهج البلاغة يحتوي على كلام الامام الذي صيغ في عبارات قصيرة جزلة رائعة

تصوِّر لك الكمال الانساني تصويراً دقيقاً، وتميِّز خطّ الفلاح من المسالك الوعرة والمهاوي والمهالك، ولذلك، ليس نهج البلاغة كتاب بلاغة فحسب بل هو في نفس الوقت نهج جهاد ونهج حياة ونهج فلاح.

ولكن من المؤسف أنّه مضى ألف عام على جوهرة مشرقة مثل نهج البلاغة وذخيرة زاخرة مثل هذا السفر الكريم ولكنّ الأمة الاسلاميّة لم تستفد منه حق الاستفادة، ومع أنّ العلماء تمتّعوا به وعانوا الكثير في سبيل سبر أغواره، نرى عامّة الناس في المجتمع الاسلامي وثقافتهم محرومة من بركات هذا النبراس حتى النصف الأخير من هذا القرن، حيث أنس العالم الاسلامي منذ ذلك الوقت باسم هذا الكتاب وتاسّى بتعاليمه أصحاب الحركات الفكريّة والثورية. على أيّ حال نأمل أن يكون نهج البلاغة نهج فلاح ونهج نجاح للامّة الاسلاميّة جمعاء.

مؤسّسة نهج البلاغة

فهل يمكن أن ننظر إلى مثل هذا السِّفر نظرة سطحية ونكتفي بقراءة ترجمة منه أو عبارة، أو خطبة، أو فصل، أو كتاب؟! إنّ الذي يمكنه أن يستند إلى نهج البلاغة و يستفيد منه هو من يستطيع أن يغور في أعماق بحره و يدرسه دراسة شاملة، وإن لم يكن شخصياً من أهل التحقيق، وليست لديه مقدرة علميّة فيجب أن لايحكم على مافيه إلاّ بالاستعانة بتفاسير أهل التحقيق وشروحهم، شأنه في ذلك شأن كلّ المصادر والينابيع الاسلامية، حيث يمكن الاستنباط منها بعد دراسة دقيقة وشاملة لجميع جوانبها.

إنّ نهج البلاغة الذي هو من أعلى المصادر الاسلامية شأناً في الثقافة الاسلاميّة يشبه القرآن الكريم إلى حدّ، فيجب أن تتوفّر عند الباحث تلك المقدرة العلمية حتى يستطيع دراسة كلّ أبعاده وزواياه وسبر أغوار كلام الامام، ومن ثمّ يستنير به في فلسفته الالهية والايدئولوجية الاسلامية ويهتدي إلى صراط للحياة السعيدة... وهذه مهمّة تفوق طاقة إنسان واحد، فيجب أن يكرّس رهط من العلماء جهودهم في سبيل هذا المنشور.

لقد تألّم المفكّر الاسلامي الكبير، العلاّمة الشهيد مرتضى مطهري عندما وجد أنّ نهج البلاغة ظلّ مجهولاً ومهجوراً على رفوف المكتبات، ولم يتجاوز المعاهد العلمية إلى أوساط العامّة، وكان يرى تأسيس مؤسّسة يجتمع فيها جماعة من العلماء حتى يعملوا

للتعريف بنهج البلاغة في أوساط الناس كما هو حقّه... ومن المؤسف أنّه أسست في النظام البائد، مؤسّسات للكتب الأسطورية مثل الشاهنامه و بنفقات باهظة كانت تفرض على الشعب المحروم في الوقت الذي ليس أنّهم لم يؤسّسوا مؤسّسة أو مجمعاً يخصّ القرآن العظيم ونهج البلاغة فحسب، بل اعتبروا البحث والتحقيق عن القرآن ونهج البلاغة جريمة نكراء عاقبوا عليها أشدّ عقاب.

وأخيراً وفي عام(١٣٥٥هـ. ش) و بإرشاد من الأستاذ الشهيد مرتضى مطهري تأسّست مؤسّسة نهج البلاغة، واجتمع فيها إخوة مخلصون و بدأوا العمل لتحقيق الأهداف التالية:

١ ــ تصنيف المعارف العلوية السامية التي يحتوي عليها نهج البلاغة.

٢ ــ إعداد البطاقات عن المواضيع المستخرجة من نهج البلاغة.

٣ ــ إعداد تفسير موضوعي عن المعارف الواردة في نهج البلاغة.

٤ ــ إعداد دروس في الحقول المختلفة من نهج البلاغة من أجل استفادة كلّ الفئات في المجتمع.

٥ ــ تأسيس مؤسسة للمراسلة ونشر دروس عن نهج البلاغة، وسائر المعارف الاسلامية من أجل التعريف بالاسلام من نافذة نهج البلاغة والمصادر الاسلامية الأخرى.

٦ ــ طبع نصّ من نهج البلاغة، طبعة محقّقة على أحسن المناهج المتّبعة في تحقيق النصوص.

٧ ــ إعداد ترجمة فارسية من نهج البلاغة ترجمة دقيقة تخلو ـ قدر المستطاع ـ من كلّ عيب ونقص.

٨ ــ ترجمة نهج البلاغة إلى اللغات العالمية الحيّة.

٩ ــ نشر الترجمات القديمة الموجودة من نهج البلاغة.

١٠ ــ تحقيق ونشر شروح نهج البلاغة التي ظلّت غير مطبوعة حتى الآن.

١١ ــ تأسيس مكتبة خاصّة يجمع فيها كلّ ما كتب حول نهج البلاغة وشروحه وترجماته الموجودة في مكتبات إيران والعالم.

١٢ ــ إعداد الأفلام والميكروفلمات عن مخطوطات نهج البلاغة وشروحه وترجماته، الموجودة في مكتبات ايران والعالم.

١٣ ــ الاتصال بالمجامع الاسلامية والعلمية في ايران لتعريف نهج البلاغة أحسن فأحسن.

١٤ ــ الاتصال بالمجامع الاسلامية والعلمية والفكرية في العالم لنفس الغرض.

لقد تأسست المؤسسة كما أشرنا إليه بأقل إمكانيات، حيث بدأ الاخوان الزملاء العمل فيها بإعداد البطاقات التي بلغ عددها أكثر من ٥٠٠٠ بطاقة حول ١٢٠ عنواناً من العناوين الأصلية والفرعيّة. وأثناء تصاعد الثورة، إنخرط فيها الاخوان العاملون في المؤسّسة كلٌّ في خندق، حتى انتصرت الثورة الاسلامية في ايران بعون الله تعالى وبقيادة الامام الخميني وجهود الأمة المسلمة في هذا البلد، حيث دفن الطاغوت في مزابل التاريخ ولذلك كانت المؤسسة عاطلة طوال عامين ولم تنجز أيّ شيء. وكان الثوريون الحقيقيون يرون أنّ الثورة الثقافية الاسلامية هي من أهم الأمور بعد الثورة يجب أن نعالجها ونحقّقها، وجيل الشباب بعد الثورة، الشباب الذي تحدّى الاضطهاد وهرب من بيداء الثقافة الاستعمارية، كان متعطشاً للوصول إلى معين الثقافة الاسلامية الصافي، حيث كانت أدنى غفلة تكفي حتى ينتهز العدوّ الفرصة لتحقيق أهدافه.

ولذلك وفي عام (١٣٥٨هـ.ش). استأنفت المؤسسة نشاطاتها وهذه المرّة بكلّ إرادة وعزم مساهمة منها في الثورة الثقافية، سادّة بذلك بعض الفراغ الموجود في الدراسات الاسلامية.

المهرجان الألفي لنهج البلاغة

كانت السنة الألف لتأليف نهج البلاغة قدحلّت وكانت أغلى فرصة تسنح ليجتمع أولئك المفكّرون والباحثون الذين قضوا سنين طوالاً في دراسة هذا الكتاب والبحث عن مضامينه السامية، و يقدّموا نتائج جهودهم لعشاق نهج البلاغة. وعلى هذا قرّرت المؤسسة إقامة مهرجان بمناسبة مرور ألف عام على تأليف نهج البلاغة. والجدير بالذكر أنّ المؤتمرات والمهرجانات الثقافية التي أقيمت في النظام البائد، كانت على أساس التقاليد الطاغوتية التي لم تكن في الواقع إلاّ ستاراً للجرائم والخيانات.

إن كسر القوالب الطاغوتية هو من المهمات الضرورية للثورة الثقافية الاسلامية،

فأزمعت المؤسسة أن تقيم المهرجان بطابع إسلامي و بأقل كلفة. إننا وجّهنا الدعوة إلى العشرات من العلماء الملتزمين والمعنيين بالدراسات الاسلامية، ووصلت إلينا منهم حوالي ٢٠٠٠ صفحة من المواضيع المختلفة حول نهج البلاغة، طبعت منها في المؤسسة حوالي عشرين رسالة بين فارسية وعربية وانكليزية، كما وزعّنا عشرين مقالاً بالطباعة العادية، حتى ننشرها فيما بعد في مجلدين كذكرى لهذه المناسبة العزيزة.

مع انعقاد المهرجان الألفي لتأليف كتاب (نهج البلاغة) وافتتاحه بالبيان التاريخي الهام الموجه من قبل القائد الأعلى للثورة الاسلامية الايرانية...سماحة الامام الأكبر الخميني دام ظله ... وكان البيان في الواقع يحمل تأييده الكامل ومساندته المتواصلة لمؤسسة (نهج البلاغة) والحث بها للعمل في اطار هذا الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه... استقبلت الجماهير الحاضرة المحتشدة في قاعة الاحتفال، على اختلاف اتجاهاتها البيان بكل حفاوة وتكريم... وفي الوقت نفسه اخذت المؤسسة على نفسها اعادة اقامة هذا المهرجان في كل عام، عند ذكرى ميلاد الامام علي عليه السلام... وذلك بوضع دراسات وبحوث تتناول كافة جوانب الكتاب الفكرية الحيوية المتنوعة.

وعلى هذا بحول الله وقوّته اقامت المؤسسة ثلاثة مهرجانات عامة مكللة بالتوفيق والنجاح، وهي مازالت على عزمها في استمرار اقامة المهرجانات في كل عام ان شاءالله تعالى.

* * *

انّ الكتاب الذي بين يديك يضم مختاراً من البحوث والدراسات العلمية والقضايا الفكرية التي ألقيت خلال هذه المهرجانات الثلاثة باللغة العربية، نقدمها الى ابناء لغة الضاد... لغة القرآن الكريم... لغة نهج البلاغة... لتكون فائدتها عامة والاستفادة بها شاملة للجميع.

وختاماً نسأل المولى سبحانه... أن يكلل أعمالنا بالنجاح والفوز... و يوفقنا الى مافيه خير البلاد والحضارة... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

مؤسسة نهج البلاغة

ايران طهران

نص النداء الذي وجهه الامام الخميني قائد الثورة الاسلامية ومؤسس الجمهورية الاسلامية الى مؤتمر الفية نهج البلاغة.

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أي شيء يريد مؤتمر الفية نهج البلاغة أن يتحدث... وأي شخص هذا الذي يريد أن يعرّفه المؤتمر؟!

أيستهدفُ علماء العالم الكبار أن يعرّفوا مولانا أمير المؤمنين الى الآخرين، أم يعرّفوا نهج البلاغة؟!

بأية مؤونة و بأي رصيد نريد أن نلج هذا الوادي؟

أنريد أن نتحدث عن شخصية علي بن أبي طالب وعن حقيقته المجهولة، من خلال رؤيتنا المحجوبة المهجورة.؟!

ترى، هل إن علياً -عليه السلام- كان من عظماء الدنيا ليحقّ للعظماء أن يتحدثوا عنه، أم ملكوتياً ليحقّ للملكوتيين أن يفهموا منزلته؟!

بأي رصيد يريد أهل العرفان أن يعرّفوه غير رصيد مرتبتهم العرفانية، و بأية مؤونة يريد الفلاسفة أن يفهموه سوى مالديهم من علوم محدودة؟!

كم استطاعوا حتى الآن أن يفهموه كي يميطوا اللثام عن شخصيته أمام المهجورين؟!.

مافهمه العلماء والفضلاء والعرفاء والفلاسفة عن هذا المظهر التام الإلهي، بكل مالديهم من فضائل وعلوم سامية، انّما فهموه من خلال حجاب وجودهم ومرآة نفوسهم

المحدودة، وعلي غير ذلك.

من الأولىٰ -إذن- أن لانلج هذا الوادي، وان نقول: إن علياً كان عبدالله، وهذا أعظم شاخص يمكن أن نذكره عنه، وكان ربيب النبي الأعظم، وهذه من أكبر مفاخره.

من الذي يستطيع أن يدّعى أنه عبدالله وانه متحرر من كل عبودية أخرى غير الأنبياء العظام والأولياء الكرام؟! وعليّ هو ذلك العبد المتحرر من كل عبودية غير عبودية الله، وهو الذي اخترق حُجب النور والظلمة ووصل الى معدن العظمة، وحاز بذلك قصب السبق.

أي شخص يستطيع أن يدّعي أنه تربّىٰ في حجر الرسول الأعظم وتحت رعايته وفي ظلّ تربية الوحي والموحىٰ إليه، منذ صباه وحتى آخر عمر صاحب الرسالة سوى علي بن أبي طالب؟! فهو الذي تصل في أعماق نفسه وروحه الوحي وتربية صاحب الوحي.

انه لذلك عبد الله حقاً وربيب ذلك العبد الأكبر لله.

أما كتاب «نهج البلاغة»، المنبثق عن روحه لتعليمنا وتربيتنا، نحن الراقدون في حضيض الذات والغارقون في حجاب الذاتية والأنانية، فهو بلسم للشفاء ولعلاج الأمراض الفردية والاجتماعية.

انّه مجموعة لها أبعاد تسع أبعاد الانسان والمجتمع الانساني الكبير وتمتدّ هذه الأبعاد امتداد تاريخ البشرية، وعلى امتداد المجتمعات والدول والشعوب، وعلى امتداد كل الممارسات الفكرية والفلسفية والتحقيقية الرامية الى التعمّق في هذا الكتاب.

فيا أيّها الفلاسفة والحكماء... تعالوا للتحقيق في جمل الخطبة الأولى من هذا الكتاب الإلهي، وسخّروا أفكاركم العميقة واستعينوا بأصحاب المعرفة لتفسير هذه الجملة القصيرة من قوله: «مع كل شيء لابمقارنة وغير كل شيء لابمزايلة» وحاولوا أن يكون فهمكم لها فهماً واقعياً يرضي ضمائركم ودون أن تسلكوا طرقاً ملتوية عاجلة لارضاء أنفسكم بفهمها، كي تتضح أمامكم أبعاد رؤية ربيب الوحي، وكي تعترفوا بقصوركم وقصور غيركم.

هذه العبارة ونظائرها وردت في كلمات أهل بيت النبوة لتبيّن وتفسر كلام الله في سورة الحديد للمفكرين في آخر الزمان، حيث يقول: «وهو معكم أينما كنتم».

من المؤمّل أن تستطيعوا، أنتم أيها العلماء والمفكرون الرساليون المجتمعون في المؤتمر

الموقّر لالفية نهج البلاغة أن تبينوا، قدر ماتيسر، الأبعاد العرفانية والفلسفية والأخلاقية والتربوية والاجتماعية والعسكرية. والثقافية وغيرها من أبعاد هذا الكتاب، وأن تعرّفوه على المجتمعات البشرية، وتعرضوه عليها، فهو متاع زبونه الانسان والعقل المنير.

صلوات الله وسلامه على الرسول الأعظم، مربّي مثل هذه الشخصيات الإلٰهية، وهاديها الى كمالها الانساني اللائق.

وسلاماً وتحية لمولانا أميرالمؤمنين، الانسان النموذج والقرآن الناطق.

سيبقى اسمه باقياً مابقي الدهر. فهو قدوة الانسانية ومظهر اسم الله الأعظم.

وسلاماً لكم أيّها العلماء... يامن تفتحون الطريق، بجهودكم القيّمة، لتحقيق الأهداف السامية لهذا الكتاب المقدس.

والسلام على عباد الله الصالحين.
٢٧ اردیبهشت ١٣٦٠، ١٢ رجب ١٤٠١
روح الله الموسوي الخميني

أعمال المؤتمر الثالث

للمهرجان الألفي لنهج البلاغة

قرّرها: الأستاذ لبيب وجيه بيضون

بعد اشتراكي في المهرجان الألفي لنهج البلاغة قبل عامين، وجهت لي الدعوة من مؤسسة (بنياد نهج البلاغة) في طهران، لحضور المؤتمر الثالث لنهج البلاغة. وقد أجبت دعوة هذه المؤسسة واشتركت في احتفالها.

بنياد نهج البلاغة:

هي مؤسسة عامرة قام بتأسيسها منذ سبع سنوات الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري، وذلك حين شعر رحمه الله بالحاجة الملحة الى هذه المؤسسة للعناية بكل مايتعلق بنهج البلاغة، باعتباره منبع إلهام الأمة والثورة.

ولمّا اندلع فجر الثورة الاسلامية المباركة كانت هذه المؤسسة موضع عناية المسؤولين ودعمهم المادي والمعنوي، حتى بدأت تؤتي قطوفها يانعة باذن الله.

وبعد وفاة الشهيد مطهري تولى قيادة هذه المؤسسة عدة من الأفاضل الذين كتبوا على انفسهم مهمة ترويج الدين والشريعة وعلوم أهل البيت(ع).

بعض انجازات البنياد:

١- وقد دأب هؤلاء الأفاضل تحت اشراف العلامة مطهري على وضع تصنيف مبتكر لعلوم نهج البلاغة، فقسموا مواد النهج الى ستة عشر باباً رئيسياً كمايلي:

١- معرفة الله
٢- النبوة
٣- القرآن والاسلام
٤- الامامة
٥- المعاد
٦- الانسان
٧- المسائل المعنوية (الأخلاق)
٨- العلم والمعرفة
٩- علوم الطبيعة
١٠- علم الحياة
١١- المسائل الاجتماعية
١٢- المسائل الاقتصادية
١٣- الدنيا والآخرة
١٤- الجهاد
١٥- الحقوق المتقابلة
١٦- الحق والباطل

و يتفرع كل باب من هذه الأبواب الى عدد من الفصول، ومجموع الفصول هو ١٦٠ فصلاً. و يندرج تحت كل فصل الفقرات المتعلقة به، وقدبلغ مجموع هذه الفقرات خمسة آلاف فقرة.

ولبيان هذا التصنيف رُسمت ست عشرة لوحة توافق الأبواب السابقة. وعلى كل لوحة كتبت الفصول المتفرعة عنه، وبجانب كل فصل عدد الفقرات المتعلقة به، ويمثل هذا العدد بخط يتناسب طوله مع عدد الفقرات.

و بناء على هذا التصنيف وضع (ارشيف) النهج المؤلف من خمسة آلاف بطاقة

كتبت على كل بطاقة فقرة.

وقد اعتمد البنياد لانجاز هذا الارشيف على كتاب نهج البلاغة.

٢- وقد أسس البنياد مكتبة حديثة ضمت كل الكتب المتعلقة بنهج البلاغة اضافة الى الكتب الاسلامية الاساسية. وهي مكتبة تتسع باستمرار لتغطي حاجات الباحثين في علوم النهج ومعازفه.

٣- وسعياً وراء دراسة علوم النهج وتقديمها لجمهور المسلمين ليستفيدوا من معارفها، أقامت المؤسسة المهرجان الألفي الأول والثاني والثالث. وقدجعلت كل المواضيع التي قدمت للمهرجان الألفي الاول، وترجمت بعضها الى العربية، وهي تعمل الآن على طباعة المواضيع اللاحقة.

٤- وقد عكف الدكتور جواد مصطفوي صاحب كتاب (الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة في شروحه)، على وضع نسخة محققة من نهج البلاغة، انطلاقاً من النسخ المخطوطة للنهج الموجودة في ايران وعددها ستة: نسختان منها في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهري في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري، وقدطبعها الشيخ حسن السعيد و يرجع تاريخها الى ٤٩٤ هـ وهي أقدم نسخة معتمدة من النهج.

وسوف يطبع البنياد هذه النسخة المحققة فور انتهاء وضعها.

هذا وان بنياد نهج البلاغة يعمل جاهداً على تحقيق أغراضه واستكمال أهدافه، ليعطي نهج البلاغة بعض مايستحقه من الاهتمام والتقدير، ويميط اللثام عن كنوزه الدفينة التي أهملها السابقون، مع أن فيها الدواء الشافي لكل عللنا السابقة وأمراضنا الحاضرة.

ان نهج البلاغة هو نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الأخلاق، نهج العزة. انه المنهل الصافي لفهم مبادئ الاسلام، والطريق المستقيم لمعرفة حقائق الايمان.

ندوة في الفندق مع الدكتور جواد مصطفوي:

ولـمَّا رجعنا الى فندق آزادي، فوجئت بوصول أخي العزيز الدكتور السيد جواد مصطفوي من مشهد، وجلسنا بحضور الدكتور رفيع نتجاذب وطرف الأحاديث.

(تجريش). و يعتبر هذا الفندق من أكبر فنادق طهران، وهويتألف من ٢٢ طابقاً. وفي الطابق الأول يتمّ الغداء والجلوس. و يوجد في الفندق مكتبة ومحل لبيع الزهور ومحل لبيع الصناعات اليدو ية. وقدأعطى كل شخص غرفة بسرير عريض وتلفزيون. و يوجد على جدار كل غرفة كتابة بالزياتي مع تزينيات ملونة وهي شطرة من بيت شعر للشاعر سعدي الشيرازي وهي:

كس نديدم كه گم شد از ره راست

وتعني: مارأيت أحداً يضل اذا سار في الطريق المستقيم.

وجاء مساء حجةالاسلام دين پرور رئيس بنياد نهج البلاغة للسلام علينا.

يوم الاثنين:

انقطع المطر الذي نزل ليلاً، وانقشع السحاب نسبيّاً.

زيارة بنياد نهج البلاغة في مقره الجديد:

ذهبنا صباحاً لزيارة بنياد نهج البلاغة في مقره الجديد وسط العاصمة.

وهناك تعرّفنا على بعض الأخوة العاملين في المؤسسة.

زيارة المكتبة:

وقد أفردت غرفة كبيرة للمكتبة، وهناك اطّلعت، على بعض الكتب المتعلقة بنهج البلاغة، منها:

١- غرر الحكم ودرر الكلم من كلام أميرالمؤمنين علي(ع) الذي جمعه الشيخ عبدالواحد الآمدي، وفيه أحدعشر ألف كلمة. وهويزيد على حجم نهج البلاغة.

٢- بهج الصبّاغة في شرح نهج البلاغة تأليف العلامة الشيخ محمدتقي التستري و يقع في ١٣ مجلداً.

٣- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة تأليف الشيخ محمدباقر المحمودي - طبع النجف، و يقع في سبعة مجلدات.

٤- نهج البلاغة منظوم، من شعر محمدعلي الأنصاري، و يقع في عشرة مجلدات.

قال الدكتور مصطفوي اننا في ايران نملك عدداً كبيراً من نسخ نهج البلاغة، ولكن المعتمد منها ست نسخ، اثنتان في مكتبة مرعشي في قم، ونسخة في مدرسة نواب في مشهد، ونسخة في مدرسة مطهري في طهران، ونسخة في مكتبة نصيري طبعها الشيخ حسن السعيد، و يرجع تاريخها الى سنة ٤٩٤ هـ وهي أقدم النسخ.

ثم قال: وانني الآن عاكف على تحقيق النسخ المطبوعة على أصولها المخطوطة، وانني أجد كثيراً من الأخطاء، حتى أنني أجد في كل صفحة غلطة أو أكثر.

وقد ضبطت مثلاً ٣٨ غلطة في عهد مالك الأشتر لوحده.

ثم قال حجة الاسلام مصطفوي: من الملاحظات التي عثرت عليها:

١- قول الامام(ع): وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو، ذكرها ابن أبي الحديد: كالضوء من الضوء.

٢- قول الامام(ع): والإمامة نظاماً للأمة، يوردها ابن أبي الحديد: والأمانة نظاماً للأمة، ولكنه يشرح الأمانة بأنها الامامة.

٣- قول الامام(ع) عندما مرت امرأة فأعجبت القوم: وانما هي امرأة كامرأة. وقد ذكرها بعضهم: وانما هي امرأة كامرأته. والأول أفصح.

برنامج المؤتمر الثالث للمهرجان الألفي لنهج البلاغة

اليوم الاول
الاربعاء في ١٣ رجب ١٤٠٣هـ
المصادف لميلاد الامام علي عليه السلام

البرنامج الافتتاحي:

تلاوة آيات من القرآن الكريم
كلمة حجة الاسلام الشيخ مهدوي كني
كلمة حجة الاسلام مشكيني
نشيد بمناسبة مولد الامام علي(ع)

* * *

كلمة لحجة الاسلام دين پرور
نشيد باللغة العربية عن مولد الاسلام
قصيدة للشاعر السوري الأستاذ عبدالرحيم الحصني
كلمة للأستاذ لبيب بيضون حول بنياد نهج البلاغة وأعماله

* * *

محاضرة لآية الله خزعلي، تحت عنوان: (الخطابة بمنظار نهج البلاغة).

اليوم الثاني
الخميس في ١٤ رجب ١٤٠٣هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم

* * *

ندوة حول:
(مكافحة الفقر بمنظار نهج البلاغة) اشترك فيها:
الدكتور محمد خير الحلواني (من سوريا)
الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سوريا)
الاستاذ لبيب بيضون (من سوريا)
حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور

* * *

محاضرة للدكتور الراجي التهامي الهاشمي تحت عنوانه:
(اللغة في نهج البلاغة)
محاضرة للاستاذ جوادي آملي تحت عنوانه:
(علي والفلسفة الإلٰهية)

اليوم الثالث
الجمعة في ١٥ رجب ١٤٠٣هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم
نشيد

* * *

كلمة الاستاذ رزمجو: أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة
ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة) اشترك فيها
١- الاستاذ لبيب بيضون
٢- الدكتور جواد مصطفوي
٣- الاستاذ عميد زنجاني

* * *

محاضرة للاستاذ جلال الدين فارسي بعنوان:
(الامام علي (ع) والقرآن)

اليوم الرابع
السبت في ١٦ رجب ١٤٠٣هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم
نشيد

* * *

كلمة للدكتور سيد جواد مصطفوي: الاتحاد في نهج البلاغة
كلمة الشيخ محمد سليمان اليحفوفي: التساوي بين القوي والضعيف في الحق في نهج البلاغة
كلمة حجة الاسلام زين العابدين قرباني: عوامل التعاون بين الشعب والحكومة من منظار نهج البلاغة
كلمة الاستاذ پرورش وزير التربية والتعليم بعنوان: الوجه الأعلى.

* * *

اليوم الخامس
الأحد في ١٧ رجب ١٤٠٣هـ

أعمال المؤتمر:

تلاوة آيات من القرآن الكريم
نشيد لرجال الشرطة

* * *

كلمة حجةالاسلام قراءتي: التقوى في نهج البلاغة
ندوة حول (الحرب والصلح) اشترك فيها:
الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي
حجة الاسلام السيدمحمدباقرالحكيم
محاضرة للاستاذ فلسفي بعنوان:
(كلمة حق يراد بها الباطل)

* * *

كلمة الختام

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤتمر في يومه الأول:

خصصت حسينية الارشاد الفخمة لاقامة المؤتمر هذا العام. حيث يبدأ الاحتفال الساعة الرابعة بعد الظهر و يستمر ثلاث ساعات أو أكثر. دخلنا الحسينية وقدزينت بأكاليل الورود، احتفالاً بمولد أميرالمؤمنين الامام علي(ع) في ١٣ رجب. وقدرصع محراب الحسينية بالقيشاني الذي كتبت عليه الآيات والأحاديث والأشعار. وسلطت عليه الأضواء. وعلى جانبيه آلة التصوير التلفزيوني. وفي أعلى المحراب كتب على هيئة هلال لاإله إلاّ الله.

وتحت الهلال كتبت الآية: (ولتكن منكم أُمة يدعون الى الخير).

وقد خصصت للنساء سقيفة خاصة. وتتسع الحسينية لخمسة آلاف شخص.

وقد تضمن البرنامج الافتتاحي هذا اليوم:

(١) القرآن الكريم: تلاه شاب عمره نحوستعشرة سنة، وصوته وأداؤه حسن، وقدذُكر أنه كان الأول في مسابقة قراءة القرآن الكريم، وان الامام الخميني حفظه الله قدقدّم له جائزة سنية.

وقد اتبع هذا العام نظام الترجمة الآنية من اللغة الفارسية الى العربية، ممّا سهل لي تدوين المواضيع المختلفة، وكنت أتضايق من وضع السماعات على أذني ثلاث ساعات متواصلة.

(٢) كلمة حجة الاسلام الشيخ مهدوي كني: ومما جاء فيها: لقد كان خلق النبي (ص) القرآن، ونحن يجب ان يكون خلقنا نهج البلاغة. وفي نهاية كلمته تمنى ان يكون هذا المهرجان منشأ للأخوة والوحدة والصفاء بين المسلمين.

(٣) كلمة آية الله مشكيني: وقد تليت بالنيابة عنه، وجاء فيها:

يا علي، لقد ولدت في بيت الله، في الكعبة، وطهرت الكعبة من رجس المشركين، ثم استشهدت أيضاً في بيت الله، في المحراب.

أنت الذي قلت: ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليَّ الطير. وحقاً مهما حاول الانسان الوصول اليك والى علومك فانه لا يصل من شدة علوك. لا أمدحك بأنك خليفة، فالخلافة ليست شيئاً في جنبك. ان عظمتك لها جوانب لا تحصى، ومن أبرزها أن ذرية الامامة منك وآخرها الامام المهدي الذي ينتظر العالمُ ظهوره.

ليستلهم المسلمون من شخصيتك معاني الصبر والتضحية.

ان الملايين من المسلمين تتوجه اليك مستلهمة من هديك ما يخرجهم من مصاعبهم ومعضلاتهم.

(٤) نشيد: ثم اصطفت ثلة من طلاب الابتدائي وأنشدت أبياتاً عن الامام علي (ع) وعن نهجه. وكان كل مقطع ينتهي بكلمة (ياعلي) في نغم عذب شجي.

(٥) كلمة لحجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور.

بدأ الكلمة بحمد الله والصلاة على رسوله، ضمن مقطع من نهج البلاغة. ثم شكر المشتركين في المؤتمر، وهنّأ الحضور بمولد أمير المؤمنين علي (ع) ... ثم قال:

ان مفاهيم نهج البلاغة تستطيع ان تبني الانسان الكامل الصالح.

لقد حاول البعض التشكيك بنهج البلاغة حتى يبعدوا نهج البلاغة وصاحبه عن ساحة الوجود وميدان المجتمع.

كي يفهم أفراد المجتمع ما هو نهج البلاغة يجب أن يتوجه كل فرد الى نهج البلاغة، ليعود نهج البلاغة الى المجتمع. ومن هنا كان لزاماً ان توجد مؤسسات ومؤتمرات لنهج البلاغة. وأتمنى أن يبنى هذا العمل على أساس علمي وفني. وكنا نبحث عن جهة تنهض بهذه المهمة. كنا ننتظر الأوامر من القيادة لكي تأمرنا بهذا العمل. وقد صدرت هذه الأوامر فعلاً من القائد الكبير، وأوكل الامام الخميني مهمة نهج البلاغة الى هذه المؤسسة.

نأمل من المشتركين في هذا المؤتمر أن يدركوا أبعاد نهج البلاغة الفكرية

والثقافية والاجتماعية والعسكرية، وان يعرضوا هذا الكتاب على المجتمعات الفكرية، لأنه موجه الى كل الناس، والى كل ذي عقل وفكر.

إننا في مؤسسة نهج البلاغة نفكر في إعداد موسوعة علمية، تستطيع ان تعرّف القارىء بموضوعات نهج البلاغة، ونحن جادون في هذا العمل، رغم مايحتاجه من جهود واسعة وأعمال شاقة.

وقد وضعنا تصنيفاً يقسم موضوعات نهج البلاغة الى ٣٠٠ موضوع، بحيث نعطي لكل عالم موضوعاً ليحققه و يبحث فيه. وان نتائج التحقيقات والدراسات تعرض على هذا المؤتمر وأمثاله، ثم تطبع وتقدم للجمهور.

وبالنسبة لهذا المؤتمر، فقد جرى الاهتمام بعدة موضوعات، ستقفون عليها من خلال الكلمات والمحاضرات والندوات التي ستقام.

وان المسائل المطروحة للبحث ليست بعيدة عن حاجه المجتمعات الاسلامية في الوقت الحاضر.

أشكر كل من ساعدنا في هذا المؤتمر، ولاسيما وزارة الخارجية ووزارة الارشاد الاسلامي.

(٦) نشيد عربي: ثم انتظم أحدعشر طالباً ابتدائياً، يوشحون صدورهم بالعلم الاسلامي الايراني، وقدلبسوا على رؤوسهم قبعات عسكرية مبرقعة، و بدأو ا ينشدون:

ظهر الدين المؤيد بظهور الهادي أحمد

(٧) قصيدة للشاعر السوري الاستاذ عبدالرحيم الحصني، وجاء فيها:

آيات فضلك من بياني أكبر ماذا أقول مردداً ياحيدرُ
منك البلاغة والبيان وكلنا من بحر علمك نستمد ونزأر
فبأي قافية أفيك محبتي وكثير فضلك لايعدّ ويحصر
ياسيد البلغاء يامن خصّه طه الأمين بمايُحَبّ و يؤثر
كم شاعر قبلي أمامك لم يجد قولاً جلياً عن نداك يعبر
يتسابقون الى علاك وكلهم دون الحقيقة عاجز ومقصر

ملكت مهابتك العقول وربما ... ذُلّ المدين متى يهاب و يعذر
عفواً أميرالمؤمنين اذا كبا ... شعري فعجزي عن سناك مبرر
لوبتّ أنشد ماحييت قصائداً ... كيما أفيك، فانني لاأقدر
فاذا عثرتُ فان وُردي دافق ... واذا حكمتَ فان حلمك أكبر
حسبي اعتزازاً أن كل خلية ... مني تُسِرُّ على هداك وتجهر
وافيت في ذكراك محفل إخوة ... بهم الزمان مؤرّج ومعطر
عرفوك معرفة البصير فهللوا ... مشغفاً بحبك في الحياة وكبروا
وسعوا إليك فكل همس صيحة ... لك يا إمام، وكل أرض منبرُ
بجباههم أثر السجود مترجم ... ولنسكهم شرف اليقين مقدّر
وعلى المحبة والمودة والوفا ... لزموا هداك بأكبد تتفطر
ياسيدي سبل النجاة عزيزة ... إلا لديك ونحن باسمك نفخر
ياباب علم الهاشمي محمد ... منك المكارم في الزمان تحدّر
جئنا نشارك خاشعين بمولد ... اطللت فيه على البرية تقمر
لماخلصت فكنت أول مؤمن ... سمع النداء شبابه المتفجر
ووقفت للاسلام حصناً واقياً ... فيه الشهامة والرجولة تزخر
ياهول ماشهدت وماحملت وما ... لاقت بسيفك في المعارك خيبر
ماذوالفقار وحدّه ومضاؤه ... لولا يداك وأن زندك مشهر
ياسيدي عذراً فاني هائم ... بجليل قدرك عاجز متعثر
ياإخوة نهج البلاغة ضمهم ... للمكرمات فرشد ومبشر
منكم إليكم جئت أحمل مهجتي ... مهراً لحبي والمحبة تُمهر

(٨) كلمة الاستاذ لبيب بيضون عن أعمال بنياد نهج البلاغة وضرورته، وقيمة نهج البلاغة وصلته به. وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله

أهدي سلامي وأبعث تحياتي وأزف أشواقي...

الى من دكّ عروش الطاغوت والكفر، على أنغام الفتح والنصر

الى من طارد فلول الباطل والضلال ليبني صروح الايمان والكمال

الى باعث الأمجاد بالهمم الشداد، على طريق الحق والسداد

الى أمين الأمة وإمام الكلمة

روح الحق وريحانه، ورحمته ورضوانه

(روح الله الخميني)

الى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين والسجاد، وأبي ذر وعمار والمقداد.

الى اللبوات الصامدات، والشريفات الفاضلات، حفيدات فاطمة الزهراء وزينب الكبرى، عقيلة الهاشميات اللواتي شيدن حميد الخلال والخصال، في نفوس الشبان والاطفال، حتى قدموا للحياة الرجال، ودفعوا الى الوغى الابطال، فلقنوا دروس الكرامة للاجيال، وأحيوا في القلوب جُذوة الآمال.

الى شهداء الصدق الذين لم ير الكون مثلهم بذلاً ولا رأى الثقلان آثروا الموت ليبقى الدين والاسلام راسخ البنيان، واستجابوا لنداء الله، خالق البرايا والأكوان. الرحمنُ علّمَ القرآن، خلق الانسان، علّمه البيان. الذي خلق الارض، ورفع السماء، ووضع الميزان: بأن المجرم المعتدي في جهنم يتقلب في النيران. والشهيد في مقعد صدقٍ عند ربه خالد في الجنان.

* * *

تحيات من شعب سورية الى شعب ايران، تأكيداً للجهاد المشترك ضد العدوان... ومن جبل قاسيون الى جبل شميران، ذروة الشمم والاسلام، وقمة الولاء والايمان، في يوم مولد الامام، أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

وبهذه المناسبة الكريمة ألقي عليكم بعض الاشعار من ملحمة نظمتها في مدح اميرالمؤمنين والأئمة الاطهار، وهي بعنوان (القصيدة العصماء). قلت:

دعِ الجدالَ ولاتسأل عن السبب ... فدونك الحقَّ آلَ البيت فاحتسب
آلُ الرسول ومن في الناس غيرهمَ ... جنى قطوف الهدى والعلم والادبَ
باكورة المصطفى في روضهم زخرت ... بكل زوج بهيج اللون مرتغب
فأصبحوا في المعالي دوحة جمعت ... مآثر الحق والأمجاد والحسب
في وجههم آية التوحيد مشرقة ... وفي الصدور معين غير منتضب
لاترج غيرهم في كل معضلة ... كيلاتعيش رهين الشك والريب
إن غاب عنك بريق الحق في زمن ... وجدت فيهم منار الحق لم يغب
تبدل الحق تبديلاً ومابرحوا ... رمز الحقيقة في الأزمان والحقب
هم للنبوة فجر مونق أبداً ... وللرسالة نبع دائم الصبب
صلى الاله عليهم حين طهرهم ... من كل رجس فحازوا عالي الرتب
هم الأمان من البلوى وحبهم ... حصن حصين يقي من اعظم الكربَ
هاج المحيط فكل السفن غارقة ... إلا سفينتهم طافت ولم تُصَبَ
هم حجة الحكم أقضى الخلق قاطبة ... يجلون غامض ماقدغاب في الحجب
في كل حكم لهم آي ومعجزة ... وكل قولهم آيٌ من الكتب
أصل الندى والإبا والكل فرعهم ... والصفح عندهم فرض ولم يجب
تاريخهم دوحة للحق باسقة ... إن هزّها سغب جادته بالرطب

* * *

معادن العلم والتقوى وحسبهم ... صنو النبي وباب العلم والأدب
من فيضه قدأفاضت كل مكرمة ... وينتمي لعلاه كل فتسب
قُلهُا مدوية بالحق صارخة ... نصّت بصحتها الآيات في الكتب
من لايوالي علياً في عقيدته ... فلاوربك لاينجو من العطب
هو العلي على كل وليس له ... نجم يطاوله في الأنجم الشهب
هو الأمير وساقي الحوض منفرداً ... هو الامام بلاشك ولاريب
أعداؤه شهدوا بالحق اذ عجزوا ... أن ينكروا فضله في كل منقلب
وكيف يُنكَر فضل للفتى شهدت ... به الأعادي على رغم من الكذب

قد حاولوا كتمها دوماً وما علموا ... أن الروائح ما إن تخفها تطب
وكيف يمكنهم طمساً لشمس ضحى ... تختال مشرقة مشبوبة اللهب
نهاية المنتهى فالكل يطلبه ... لنفسه نسباً في كل منتسب
وكل نابغة من بعده ظهرت ... كأساً قد ارتشفت من بحره الرحب
مجامع العلم دانت في القياد له ... وغيره قطرة في العلم لم يُصب
هو المفضل قطعاً لا مثيل له ... إمام كل الورى في كل مطلب

المهرجان الألفي لنهج البلاغة:

أيها المستمعون الاكارم

لقد أتاحت لي مؤسسة نهج البلاغة اللقاء بكم منذ سنتين في المهرجان الألفي الأول لنهج البلاغة. وهناك تعرفت على هذه المؤسسة الكريمة، التي تعمل برئاسة أخي حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور، تلك المؤسسة التي يمتد تاريخ تأسيسها الى سبع سنوات خلت، حين شعر الاستاذ الشهيد مطهري رحمه الله بالحاجة الملحة الى هذه المؤسسة، فأنشأها بتوجيهه ورعايته لشعوره بقيمة نهج البلاغة في حياة الأمة والثورة.

ولما اندلع فجر الثورة الاسلامية المباركة، كانت هذه المؤسسة موضع عناية المسؤولين ودعمهم، حتى بدأت تؤتي قطوفها يانعة باذن الله.

بنياد نهج البلاغة:

البنياد كلمة فارسية اشتقت من الكلمة العربية (البنيان) وتعني البناء والانشاء والتأسيس.

يقول النبي الاكرم(ص): «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وإن اعضاء مؤسسة نهج البلاغة هم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، لخدمة ونشر كلمة الله من طريق ولي الله الامام علي(ع)، الذي كان كلامه بعد النبي(ص) فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق.

و ينضم الى أسرة بنياد نهج البلاغة هذا العام، ثلة مؤمنة من مفكري وعلماء الدول العربية والاسلامية، الذين جاؤوا الى طهران قلب الاسلام، ليقدموا ماتجود به

قرائحهم من علوم نهج البلاغة وفنونه، يريدون بذلك اظهار بعض جوانب هذا المحيط الزخار، الذي أنعم الله به علينا نحن المسلمين، بعد النعمة الكبرى التي جاء بها النبي(ص) من قرآن وحديث.

وكما كان الامام علي(ع) نفس رسول الله وصنوه ونظيره، فان كلام علي(ع) هو نفس كلام النبي(ص) وصنوه ونظيره، لايفترقان مدى الدهر، كما أخبر العزيز الخبير، حتى يردا حوض الكوثر.

ان الملاحظ في تاريخ الاسلام، ان المسلمين لم يعطوا نهج البلاغة حقه من الرعاية والدراية، والتفهم والدراسة، وهذا من قلة حظهم وسوء طالعهم. ولاعجب في ذلك، فمتى كانوا قدأنصفوا أهل البيت(ع) وعرفوا حقهم في حياتهم، حتى يعرفوا حق علومهم وكلماتهم؟ تلك الكلمات النصوح التي لواسترشد بها المسلمون وساروا على هديها والتزموا بنصائحها، لما ضلوا عن الطريق، ولما استوجبوا من ربهم عذاب الحريق، ولكانوا خير أمة أخرجت للناس، لان التمسك بالثقلين وهما القرآن والعترة، هو النجاة من الغرق والأمان من الضلال والهلاك. وما رأيت أحداً التزم بصراطهما المستقيم، وسار على هديهما القويم، فضاع عن جادة الصواب، وخسر نفسه يوم الحساب.

وكماقال الشاعر سعدي الشيرازي:

كس نديدم كه گم شد از ره راست.

(مارأيت أحداً يُضلّ في الطريق السّويّ)

قيمة نهج البلاغة

من هنا تأتي قيمة نهج البلاغة، فهو باب الاسلام الكبير، الذي نستطيع منه أن نطلّ على حديقة الاسلام ونقطف زهوره وورده. إنه نهج الحياة، نهج السعادة، نهج الدين، نهج الاخلاق، نهج العزة والكرامة. انه المنهل الصافي لفهم الاسلام، والطريق المستقيم لمعرفة الايمان.

اما من الناحية الثورية، فقد كانت حياة علي (ع) كلها ثورة، ثورة ضد الكفّار في حياة النبي (ص)، وثورة ضد المستكبرين ومن أجل نصرة المستضعفين من بعده. لذا كان كتاب نهج البلاغة كتاب الثورة الصحيحة في جميع أبعادها، في تحقيقها وايجادها، ثم في ترسيخها والمحافظة على مكتسباتها وانجازاتها.

ان نهج البلاغة هو سبيل تحرير النفس ودفعها الى الاسلام الصحيح ليحقق قوته و ينشر نوره. وان الثورة الايرانية بعد أن قامت بواجبها الاول في تحرير الأرض والوطن من أرجاس المعتدين البغاة، عليها أن تنصرف الى تحرير النفس وتربيتها على الحق وتزو يدها بروح الاسلام، إذ بقوة النفس نستطيع الجهاد والكفاح والانتصار على الأعداء، كما نستطيع نشر عبير الاسلام في أرجاء الارض.

مسؤولية مؤسسة نهج البلاغة:

وتظهر هنا أهمية مؤسسة نهج البلاغة والمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقها، فإنَّ من أول أهدافها استقطاب علوم النهج ومعارفه وكل مايمت اليه بصلة، ودراسة تلك الأفكار، ثم طبعها ونشرها وتقديمها الى الجمهور الاسلامي وغير الاسلامي في كافة أنحاء المعمورة، حتى يطّلع عليها القاصي والداني، فتكون للمؤمن زيادة في ايمانه، ولغير المسلم دعوة له الى الايمان والاسلام.

وان ماحققته مؤسسة نهج البلاغة في السنوات الوجيزة من عمرها، لتعتبر مفخرة للفكر والاسلام. فبعد أن طبعت كل الدراسات المتعلقة بالنهج، أقامت المهرجان الألفي لنهج البلاغة عام ١٤٠١هـ حيث اشترك فيه عشرات العلماء والمفكرين، وكان تظاهرة ثقافية اسلامية لم يشهد لها مثيل في البلاد الاسلامية عدا عن البلاد العربية. وقد طبع البنياد كل المواضيع التي ألقيت في ذلك المهرجان. ثم وضع خطة مستقبلية لاستكمال البحوث الشاغرة التي لم يتناولها الأقدمون بالدراسة رغم قيمتها واهميتها، ليستكمل الدراسات النهجية، فتصبح الاستفادة كاملة من النهج. وذلك اضافة الى تأسيس مكتبة عامرة، كانت غرساً في الماضي، ثم أضحت دوحة يتفيأ ظلالها الدارسون والباحثون كلما أرادوا.

علاقتي بنهج البلاغة

أرجع للحديث عن علاقتي بنهج البلاغة، وما استطعت أن أقدمه في هذا المجال.

لقد كان والدي وهو يودع الدنيا يقول: عار على المسلمين أن يصنّف قرآنهم رجل أجنبي مثل جول لابوم، وعار على الشيعة أن لايوجد فيهم من يصنف نهج البلاغة. لقد تأثرت كثيراً من كلام والدي المرحوم، وقررت بعد وفاته أن أحقق رغبته، فعملت

من عام وفاته في ١٣٨٩هـ وحتى عام ١٣٩٨هـ، حتى ألفت كتاب (تصنيف نهج البلاغة) وهو كتاب يبوّب مواد النهج حسب الموضوع، بحيث يسهل على القارئ التعرف على علوم النهج وموضوعاته، و يعطيه المادة اللازمة لكل موضوع. وقد طبعت هذا الكتاب في دمشق، وصدر في ١/رمضان المعظم سنة ١٣٩٨هـ، ووصلت بعض النسخ منه الى ايران.

وكان تأليف هذا الكتاب سبباً لدعوتي الى المهرجان الألفي لنهج البلاغة، حيث قدّمت موضوعاً علمياً حول نهج البلاغة، يتناسب مع اختصاصي، وهو (علوم الطبيعة في نهج البلاغة). وقد طبع البنياد هذا الكتاب ثم ترجمه الى اللغة الفارسية.

أما هذا العام فقد اشتركت بموضوعين هما:

الاول: المرأة في الاسلام ومن خلال نهج البلاغة ـ ٥٠ صفحة

الثاني: الفقر ـ أسبابه وعلاجه

وسوف يقف الاخوة المستمعون على مضمون هذين الموضوعين في الندوات القادمة إنشاء الله.

والى اللقاء في الأيام القادمة، والسلام عليكم ورحمة الله.

٩ ـ محاضرة لآية الله خزعلي حول:

(الخطابة بمنظار نهج البلاغة)

يتميز الانسان بنعمة البيان، وهو انواع:

١ـ بيان عادي كالكلام الذي يدور بين الناس.

٢ـ الكلام الذي يبين الحقوق والقوانين، وهذا يجب أن يكون دقيقاً و واضحاً.

٣ـ بيان الخطابة: وهو يستهدف نقل الفكر الى المستمعين بشكل دقيق، ويجب ان يكون طرح هذا البيان وفق العواطف التي تؤثر في المستمع بشكل عميق، بحيث تدفعه الى العمل والتطبيق.

الخطيب هو الذي يستطيع ان يعطي مثل هذا التأثير.

لقد استخدم الخطباء والمتكلمون نهج البلاغة لمثل هذا التأثير. واعترفوا بعجزهم أمامه، وقالوا ليس هناك نظير لمثل هذا الكلام، إنّه فوق كلام الناس. فلننظر قيمة

كلام علي(ع) وتأثيره.

الجاحظ أعجب بقول الامام(ع): «قيمة كل امرىء مايحسنه» وقال في كتابه البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧ مانصه:

فلولم نقف من هذا الكلام إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية، وغير مقصرة عن الغاية.

وفي هذه الكلمة الثمينة قال الشريف الرضي في النهج (الحكمة ٨١): وهي الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن اليها كلمة.

أما طه حسين فحين يصل الى موقعة الجمل، يضع اصبعه على أولئك الذين لم يعقلوا الاسلام بشكل جيد، ووقفوا ضد علي(ع). انه يقف أمام مسألة طلحة والزبير واختلافهما مع الامام، و يتعجب من هذا الاختلاف. و يذكر قول الامام (ع) عن الحق:

«لايمكن معرفة الحق من أفواه الرجال، انما اِعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله.»

ثم يقول: انني لم أسمع اعظم من هذا الكلام.

أما الشريف الرضي فقد كان أديباً و بليغاً، وحين يصل الى الخطبة ١٦ من نهج البلاغة، وفيها قول الامام(ع) عن الحق والباطل:

«حق و باطل، ولكلٍ أهلٌ، فلئن أمِرَ الباطل لقديماً فعل، ولئن قلّ الحق فلربما ولعل، ولقلما أدبر شيء فأقبل.»

يقول: ان في هذا الكلام الأدنى من مواقع الاحسان مالا تبلغه مواقع الاستحسان. وان حظ العَجَب منه أكثر من حظ العُجب به، وفيه زوائد من الفصاحة لايقوم بها لسان ولايطّلع فجّها إنسان، ولايعرف ماأقول إلا من ضرب في هذه الصناعة بحق، وجرى فيها على عِرق (ومايعقلها إلا العالمون).

ان هذا الكلام يحيّر الشريف الرضي و يأخذ بلبه، و يؤكد أن هذا البيان لايمكن أن يأتي به غيرالامام علي(ع).

وفي آخر الخطبة ٢١ من النهج، وفيها قوله(ع): «فان الغاية أمامكم، وان وراءكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا، فانما ينتظر بأولكم آخركم.»

يقول الشريف الرضي: ان هذا الكلام لووُزن، بعد كلام الله سبحانه، و بعد كلام رسول الله(ص)، بكل كلام لمال به راجحاً، و برز عليه سابقاً.

فأما قوله(ع): «تخففوا تلحقوا» فما سُمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة! وأنقع نطفتها من حكمة.

وقد أثر عن النبي(ص) قوله: ان من البيان لسحراً. وقصة ذلك أن عمرو بن الأهتم التميمي كان مع الزبرقان بن بدر وجماعة من دهاة العرب بحضرة النبي(ص). فقال(ص): انني سمعت بأن الزبرقان أفصح العرب فماتقولون فيه؟ فقال عمرو: مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لماوراء ظهره. فقال الزبرقان: يارسول الله، انه ليعلم مني اكثر من هذا، ولكنه حسدني. فقال عمرو: أما والله يارسول الله إنه لزَمِرُ المروءة (أي قليلها)، ضيق العَطَن (أي بخيل)، لئيم الخال، أحمق الوالد. وما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولقد رضيت فقلت أحسن ماعلمت، وسخطت فقلت أسوأ ماعلمت.

فقال رسول الله(ص): «إن من البيان لسحراً، وان من الشعر لحكماً».

ومن أكثر خطب الامام(ع) تأثيراً الخطبة الغراء رقم ٨٢، ومطلعها: أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار... وآخرها: قبل الضنك والمضيق، والروع والزهوق، وقبل قدوم الغائب المنتظر وإخذة العزيز المقتدر.

قال الشريف الرضي بعد هذه الخطبة: وفي الخبر أنه لما خطب(ع) بهذه الخطبة، اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب.

ومن ذلك الخطبة رقم ١٩٣، حين سأله همام عن صفات المتقين، فأجابه قائلاً: ياهمام اتقِ الله وأحسن (فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). لكن همام الذي كان يعرف علوم علي(ع) لم يقنع بهذا الجواب وسأله ثانية. فلما ذكر له صفات المتقين بالتفصيل خرّ صعقاً. قال(ع): أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.

هذا وان كلام علي(ع) يمثل قمة البلاغة، وفي ذلك يقول ابن ابي الحديد: انظر الى البلاغة كيف تنتظم فيها الكلمات...

ومن ذلك قوله(ع) في وصف عثمان وصحبه: بين نثيله ومعتلفه. فكأنه يقول: ان هؤلاء قد أضاعوا القيم الانسانية، وأصبحوا كالحيوانات، ليس همهم إلّا اشباع شهواتهم.

ومن ذلك قوله(ع) في آخر الخطبة الشقشقية: «وما أخذ الله على العلماء ان لايقاروا على كِظة ظالم ولاسغب مظلوم». فأين علماء المسلمين اليوم من هذا، وبعض الدول

الاسلامية تنتج عشرات الملايين من براميل النفط، وهناك كثير من بيوت المسلمين ليس عندهم نفط ليوقدوا السراج في الليل. هذا أبشع الظلم.

وقال(ع) في الخطبة رقم ٣١ عن عثمان: «استأثر فأساء الأثرة». وان عظمة ايران اليوم أتت من أن عالماً عظيماً لم يخف الطاغوتيين، ولم يطلب لنفسه شيئاً، بل قام ليهلك الأعداء والكفار، ليثبت أن الاسلام أكبر من كل طواغيت الارض.

وقال(ع) في ذم أهل البصرة بعد موقعة الجمل: «كنتم جند المرأة، واتباع البهيمة. رغا فأجبتم، وعقر فهربتم».

ولننظر الى هذه الكلمات التي قال فيها الرضي بأنها لم تسمع من غير علي(ع). وقال ابن ابي الحديد فيها: انه يتصرف بها فينظمها كالقلادة والعقد، بياناً لبراعته وقوة تأثيره فيها:

«ولكن إلق الزبير، فانه ألين عريكة، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فماعدا مما بدا؟!».

ومؤدى هذا الكلام أن الامام(ع) أراد أن يحل المشكلة مباشرة بينه و بين الزبير بدون تدخل الغير.

ثم لننظر الى قول علي(ع) لأصحابه حين منعهم معاو ية الماء:

«قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، وتأخير محلة، أو روّوا السيوف من الدماء تروو ا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين». (الخطبة رقم ٥١).

فهو(ع) لم يقابل معاو ية بالمثل حين ملك مشرعة الفرات، لأنه مقيد بما جاء به الاسلام.

ان طريقنا هو طريق علي(ع).

واعلموا أيها الطغاة البغاة أنكم ستواجهون دائماً من يقولون: لاإله إلا الله، وسوف يلقنونكم درساً لا تنسونه أبداً.

ان الامام(ع) في كلامه لكميل بن زياد يقسم الناس الى ثلا ثة أصناف:

١- همج رعاع

٢- حملة للدين غير ملتزمين به.

٣- العلماء الربانيون الأتقياء.

والامام (ع) باعتباره عالماً ربانياً زهد بالحياة، ولكن زهده لم يدفعه الى الانعزال

عن الدنيا، بل انه مع زهده مارس الحياة بكل مرافقها، مارسها كما أراد وليس كما تريد. وكان من مبدئه ان يشارك الفقراء والعاجزين والمستضعفين، حتى يحس بأحاسيسهم و يستطيع مد يد العون اليهم، وفي ذلك يقول(ع): «أأقنع من نفسي أن يقال هذا أمير المؤمنين ولاأشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون لهم قدوة في جشوبة العيش.» لقد كان همّه أن يشارك الناس في كل محنهم ومشاكلهم. ونحن عاملون على نهجه وسائرون على هديه.

اللهم ألهمنا السير على هدى علي(ع) وأن نخلّص كل المستضعفين في العالم، كما كان يفعل علي(ع).

* * *

المؤتمر في يومه الثاني:

١- القرآن الكريم

٢- نشيد وقد أنشده سبعة طلاب من الحلقة الثانوية.

٣- ندوة حول (مكافحة الفقر بمنظار نهج البلاغة)

اشترك فيها السادة:

الدكتور محمد خير الحلواني (من سورية)

الاستاذ عبدالرحيم الحصني (من سورية)

الاستاذ لبيب بيضون (من سورية)

حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور

وسوف اقتصر على الكلمتين الاخيرتين.

٤- كلمة الاستاذ لبيب بيضون: وهي معالجة للسؤال التالي:

الى جانب دعوة الاسلام الى مكافحة الفقر، نجد ثمة دعوة الى الزهد والترفع عن متاع الدنيا. فكيف نوفق بين الدعوتين؟

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على الوجوه الغر الميامين، من أتباع أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، تحت لواء الحمد الى جنات النعيم. حشرنا الله واياكم في زمرة محمد وآل محمد، صلوات الله عليهم اجمعين.

للجواب على هذا السؤال حول مكافحة الفقر والدعوة الى الزهد، لابد أن نلاحظ أن للفقر معاني مختلفة،وللغنى معاني مختلفة ايضاً. ولذلك نحن نقول: الفقر الممدوح والفقر المذموم، ونقول الغنى الممدوح والغنى المذموم.

فالشارع الحكيم لايستنكر الفقر ويحاول مكافحته إلا عندما يكون هذا الفقر سبباً لقلة الدين والخروج عن مرضاة الله تعالى. لذلك كان الفقير المتعفف الصابر ممدوحاً، ومفضلاً على غيره.

وكذلك فإن الشارع الأقدس لم يستنكر الغنى ويحاول مكافحته، إلا عندما يكون هذا الغنى لغير الله، أما اذا استخدمه صاحبه لطاعة الله كان ممدوحاً.

وعليه فان معيار التفضيل في الاسلام هو في مدى ارتباط الانسان بالله، سواء كان في حالة اليسر أو في حالة العسر. وما الغنى والفقر إلا شكلان من أشكال الامتحان الالهي للانسان، ليظهر مدى توجهه الى الله وارتباطه به.

وعلى هذا النحو فاننا لانرى أن معنى الزهد الذي دعا إليه النبي(ص) والامام(ع) هو الخلو من متاع الدنيا وملذاتها، وانما هو أن لايرى الانسان لتلك المتع أي قيمة في نظره اذا ما قورنت بطاعة الله تعالى، فيستخدمها لخدمة الله وارضائه. فاذا هو خرج من عبودية المادة الى عبودية الله كان زاهداً حقيقياً، ولو كان يملك الدنيا بأسرها.

وعلى العكس من ذلك، اذا كان المرء فقيراً وكانت نفسه متعلقة بالدنيا، لم يكن فقره ليدل على أي معنى من معاني الزهد.

أما الغنى الحقيقي فهو ليس غنى المال، انما هو اليقين بالله. فالمؤمن يستمد غناه الحقيقي من الله، و يتوثق ذلك الغنى كلما ازداد يقينه بالله.

وتبدو النوازع التي تسيطر على نفس الانسان وفق اتجاهين: نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. و بقدر تحرر الانسان من ربقة الشهوات وتوجهه الى الله يصبح غنياً. لأنه عند ذلك يستغني عن كل شئ في الوجود ماخلا خالق الوجود. وعندها تصبح كل الأشياء في نظره حقيرة أمام الله تعالى.

يقول الامام علي(ع): «إنَّ مِن حق من عظم جلال الله سبحانه في نفسه، وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده كلُّ ماسواه. وإن أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه، ولَطُف إحسانه اليه. فانه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا ازداد حق الله عليه عِظماً» (الخطبة ٢١٤ نهج)

وفي هذا المعنى أروي لكم القصة التالية:

ان شخصاً سمع بزاهد، فأراد أن يزوره، ولما قدم عليه وجده يعيش في قصر فخم، ومن حوله الرياش والخدم. فقال له: عجبت من أمرك، وقد سمعت أنك زاهد، وما أرى آثار ذلك عليك!. فقال الزاهد: ليس الزهد أن لا تملك المال. وانّما الزهد الا يملكك المال. ولقد أنعم الله عليّ بهذه الخيرات التي ترى، وأنا أعمل على إنفاقها في سبيل الله، وأسخرها لقضاء حوائج عباد الله، وأرى أن وجودها عندي وعدم وجودها سيان.

و يسمى الفقر الذي يصبح فيه الانسان غير مفتقر إلا الى الله (فقر الصالحين) وهو أرقى درجة يبلغها المؤمن في معارج الفضيلة والصلاح والسمو والفلاح، حيث يترفع عن مؤثرات الدنيا الفانية، زاهداً بمظاهرها الزائلة.

لنستمع الى الفيلسوف الاسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال، الذي كتبت بعض أشعاره على محراب هذه الحسينية، يصف لنا هذا النوع من الفقر، الذي هو الغني الحقيقي، فيقول:

يا عبيد الماء والطين اسمعوا ... ماهو الفقر الغني الأرفعُ
هو عرفان طريق العارفين ... وارتواء القلب من عين اليقين
ذلك الفقر عزيز في غناه ... هامة الجوزاء من أعلى خطاه
يَرعش الدهرُ اذا دوّى صداه ... ليس غير الله في الكون إله
فقرنا ليس برقص او غناء ... ليس سكر النفس في موت الرجاء
فقرنا معناه تيسير الجهود ... فقرنا معناه تسخير الوجود
فقرنا العادي سراج لوظهر ... يخجل الشمس و يزري بالقمر
إنه إيمان بدر وحنين ... إنه زلزال تكبير الحسين
قم وابلغ نوره للعالمين ... قم وأسمعه البرايا أجمعين

ان هذا الفقر هوالذي دفع الى الجهاد أهل بدر وحنين، وهو الذي دفع الى كربلاء الشهادة مولانا الحسين، وهوالذي يدفعكم اليوم الى تطهير الأرض الاسلامية من رجس الكافرين والمنافقين.

* * *

ولقد ضرب الامام علي(ع) أروع مثل على هذا النوع من الزهد، حين طلق الدنيا ثلاثاً، حتى أصبحت في نظره لا تعادل عفطة عنز، والعفطة ماتنثره العنزة من أنفها اذا عطست. وقد حكى ذلك علي(ع) في آخر الخطبة الشقشقية في معرض حديثه عن الخلافة فقال:

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وماأخذ الله على العلماء في أن لايقارّوا على كظة ظالم ولاسغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها (يشبه الخلافة بالناقة)، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

صدق ولي الله
والسلام عليكم ورحمة الله

٥ ـ كلمة حجة الاسلام السيد جمال الدين دين پرور:

كيف كافح الامام(ع) الفقر؟
لمكافحة الفقر ركّز الامام علي(ع) على ثلاث نقاط هي:
١ـ التشديد على انفاق المال، والوقوف بوجه سوء الاستفادة المالية.
٢ـ التوزيع العادل
٣ـ المحاسبة الدقيقة في الامور المالية

النقطة الاولى: التشديد على انفاق المال

كان الامام علي(ع) يدقق في انتخاب الاشخاص المناسبين لتعيينهم كولاة. وبعد تعيينهم كان يدقق ويراقب عملهم دائماً، حتى لايضيع بيت المال هدراً. وكان ينظر باستمرار الى كيفية انفاقهم لبيت المال.

قال (ع) في الرسالة ٤٠ من النهج لأحد ولاته:

«أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد اسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك... الى ان يقول: فارفع إليّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام».

والامام(ع) يدقق كثيراً على كل والٍ، مع أنه هو الذي ولاّه، حتى يحفظ المال

وحق اصحاب المال.

النقطة الثانية: التوزيع العادل

التوزيع حسب حاجات الأفراد في المجتمع.

ان الامام(ع) في الخطبة ١٠٤ يؤكد على هذه المسألة فيقول:

«وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه الى من قبلك من ذوى العيال والمجاعة، مصيباً به مواضع الفاقة والخلات. ومافضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا»

وفي الرسالة ٢٥ يقول لأحد جباته المسؤول عن جمع الصدقات:

«ثم احدُر الينا (أي سق الينا سريعاً) ما اجتمع عندك، نصيّره حيث أمر الله به»

ولا تظن ان هذا المال هو تحت تصرفك تصرفه حيث شئت، انك مسؤول فقط عن جمع المال، ثم ترسله الى بيت المال، حتى نوزعه على أهله بمعرفتنا، وفق الموازين الشرعية.

النقطة الثالثة: المحاسبة الدقيقة

أذكر جملاً رائعة انتقيتها من النهج، وهي تقع تحت عنوان: من أين لك هذا؟ ومعناها أن الذين جمعوا الثروات وتركزت عندهم، هؤلاء يجب أن تدرس أوضاعهم بدقة، اذ كيف يجتمع عند شخص ملايين الليرات وغيره معدم؟! يجب أن ندرس المصادر التي جُمع منها المال، حتى لايكون جمعه من طريق الحرام غير المشروع.

رُفع الى الامام(ع) أن أحد ولاته قد أساء استعمال المال، فبعث اليه الامام(ع) هذه الجمل القوية الشديدة من الرسالة ٤١: «واختطفت ماقدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم، اختطاف الذئب الأزلّ (أي السريع) دامية المعزى الكسيرة، فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك -لاأبا لغيرك- حدرت الى أهلك تراثك من أبيك وأمك. فسبحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟ أو ماتخاف نقاش الحساب؟!».

من هنا يتبين أن المجتمع الاسلامي يجب أن يقوم على مراقبة دقيقة لصرف المال.

وقد أُحدثت في ايران مراكز عدة لمراقبة صرف المال، ومن هذه المراكز (ديوان

العدالة الادارية).

* * *

٦ـ نشيد عربي: ثم اصطف تسعة طلاب على صدورهم أعلام الثورة، وأنشدوا:

يا شعوب زمجرى واطردوا العـــدى

٧ـ كلمة الدكتور التهامي الراجي الهاشمي من المغرب العربي بعنوان:

(اللغة واللسانيات في نهج البلاغة)

ان لنهج البلاغة قيمة كبيرة في قلوب المراكشيين، وهو يدرس في كلية أصول الدين في تطوان، وفي كلية الشريعة الاسلامية في اغادير، وفي كلية الشريعة في العاصمة الروحية فاس، وفي كلية العقيدة الاسلامية في مراكش الحمراء.

اننا نستطيع أن نجد في نهج البلاغة كل ماتحتاجه النظريات اللسانية القديمة والحديثة. فنهج البلاغة رحب ومعانيه كثيرة، ولذلك اقتصرت في هذا المؤتمر على دراسة فقرة وردت عن القرآن.

يقول عليه السلام في الخطبة ١٩٦:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لايخبو توقده. وبحراً لايدرك قعره، ومنهاجاً لايضل نهجه، وشعاعاً لايظلم ضوؤه. وفرقاناً لايخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لاتخشى أسقامه. وعزاً لا تهزم أنصاره، وحقاً لاتخذل أعوانه»

لنحلل هذا النص لسانياً.

بدأ(ع) الفقرة بـ (أنزل) الفعل الرئيسي، وهو يعطينا (الانزال). وهو على مستويين، إما أن يكون موجهاً الى الأسماء، أو الى الأسماء ومادونه.

الفعل (أنزل) الى الاسماء، يستعمل كما استعمله الامام بعده (على). وفي القرآن أمثله كثيرة منها:

(هوالذي أنزل عليك الكتاب فيه آيات محكمات هن أمّ الكتاب، وأُخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ومايعلم تأويله الاّ الله، والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌّ من عند ربنا، ومايذّكّر إلاّ أُولوا الالباب) آل عمران ٧.

وأعطى الدكتور تهامي امثلة متعددة عن هذا الفعل (أنزل على) في الحالة العادية (نزل) والمضعفة (نزّل) والمزيد بالهمزة (أنزل) والمزيد بالهمزه مبني للمجهول (أُنزل)

وفي حالة الاستفهام (أأُنزل).

ثم حاول حساب نسبة ورود فعل (نزل) في أجزاء النهج الثلاثة. ولم أعد أفهم منه مغزى الموضوع والغاية منه.

٨ـ كلمة الاستاذ جوادي آملي (وهو من تلاميذ المرحوم العلامة الطباطبائي)، وهي بعنوان:

(علي والفلسفة الالهية)

الفلسفة تعني معرفة الشيء الموجود وتمييزه عن العدم. معرفة العالم العقلي يقال لها فلسفة. نتساءل لماذا كان زمام هذا البحث قد أعطي الى أمير من أمراء الكلام؟ لماذا نسبنا الفلسفة الى علي(ع)؟ لأنه عالم المعقول. اذا فسرنا الفلسفة بهذا الشكل وهي صيرورة الانسان عالماً عقلياً للعالم، فان علياً فيلسوف الهي.

استمع اليه وهو يتكلم عن الفلسفة الالهية فيقول:

«ما كنت لأعبد رباً لم أره».

وقوله: **«لوكشف لي الغطاء ماازددت يقيناً».**

انه يقول(ع) لوأزيح عن عيني ستار الغفلة الذي يتميّز به كل الناس لأنهم نيام، فلن ازداد يقيناً، لأنه لايوجد أمام عيني أي غطاء.

و بشأن الوحي والنبوة والرسالة يقول(ع):

«أشم ريح الوحي وأرى نور النبوة».

من هنا نجد أن علياً(ع) حكيم في معرفة الله، وهو شاهد في ذلك، وفيلسوف في معرفة المعاد، ومتأله في الوحي والنبوة، وشاهد (أي بلغ درجة الشهود في هذه المعرفة)، ولقد بيّن هذه الدرجة حين قال: **«سلوني قبل أن تفقدوني، فاني بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض».**

هذا الحكيم الالهي الكبير بيّن بهذا الشكل الفلسفة الالهية. لننظر في احدى خطب الامام(ع) في الالهيات، والتي قال عنها الشريف الرضي أنها تجمع من أصول العلم مالاتجمعه خطبة أخرى. وهي تتميز بأنها مرتبطة بأعمق المسائل الفلسفية. يقول(ع) (الخطبة ١٨٤): **«كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول».** هذا يعني أن كل مايمكن معرفته عن طريق العلم أو الشهود، فهو ليس بالله تعالى ـ كل ماهو

معروف من نافذة العرفان فهو مصنوع وليس بصانع. فالصانع هو الذي صنع العقل، وأعطى الارواح الفكر. واذا كان الله تعالى هوالذي صنع الفكر والشهود، فالشاهد لايمكن أن يلمّ به. ان الله تعالى ينبغي أن يعرف بآياته، وهو يقول (ويحذركم الله نفسه).

وفي الشطر الثاني من كلامه(ع) يقول: «وكل قائم في سواه معلول» أي أن كل شئ يقوم بغيره فهو معلول، أي يحتاج الى العلة.

هذه الكلمة تبطل كل ادعاءات الغربيين. فكل موجود ليس وجوده عين ذاته فهو معلول. وهو تعالى علة الكل، والكل معلول اليه.

هذا الأصل العام للعلّية شرحه(ع) في خطبة أُخرى رقم ١٨٢ حيث قال:

«فالويل لمن أنكر المقدر، وجحد المدبر. زعموا أنهم كالنبات مالهم زارع، ولااختلاف صورهم صانع. ولم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا، ولاتحقيق لما أوعوا (أي حفظوا). وهل يكون بناء من غير بانٍ، أوجناية من غير جان؟!».

ان مفكري العلية والملحدون عامة ليست لهم حجة فيما ادعوا، هذا تفسير لهذا الأصل العام الذين يتمثل في العلة والمعلولية.

الامام السادس(ع) في الكافي يفصح عن هذا المبدأ فيقول:

«أبى الله أن يجري الاشياء إلا بأسبابها. وجعل لكل سبب سبباً، ولكل مشرح علماً، ولكل علم باباً. من عرفه عرفه، ومن جهله جهله، ونحن الهداة».

ان نظام الحياة من وجهة نظر هذا الحكيم المتأله، أن الله علة، وكل شيء معلول.

ننتقل الى مسألة اخرى، وهي: كيف خلق الله العالم؟ هل عمل الله هو تحريك للمواد؟ هل العلية التي يتحدث عنها علي(ع) هي علة في محور الديالكتيك أم في محور الفلسفة الالهية السامية؟. هل عملُ الله بمفهوم الحركة وهو متحرك أيضا، أم أن الحركة لايمكن ان تنسب اليه؟. لاذاته تتحرك، ولا أوصافه تتحرك. وليس عمل الله متصف بالحركة.

يجيب الامام(ع) عن هذه المسألة في الخطب عامة وفي الخطبة السابقة بشكل خاص فيقول بأن الله فاعل لابالحركة. أي أنه لايتحرك هو، ولايعمل بحركة فكرية ولابدنية. لايفكر مثل الانسان المفكر الذي يتفكر بحركة فكرية ذاتية. والله سبحانه لايحتاج الى تحريك الأعضاء «فاعل لاباضطراب آلة، مقدّر لابجول فكرة»

فالله سبحانه لاتجري عليه الحركة والسكون. وهو سبحانه غير محكوم بقانون

الحركة. فهو لايتحرك وليست له حركة ولاسكون، فهذه الصفات من خصائص المادة، وهو خالقها. إنه ثابت، لاساكن ولامتحرك. يقول(ع):

«ولايجري عليه السكون والحركة. وكيف يجري عليه ماهو أجراه، ويعود فيه ماهو أبداه، ويحدث فيه ماهو أحدثه؟»

لايمكن لقانون أن يتحكم في رب العالمين وهو خالق العالمين.

إنها مدرسة علي(ع) الفكرية التي لا تمت الى المدارس الفلسفية الأخرى.

انه(ع) يثبت بنفس الطريقة والاثبات كل الصفات الذاتية. يقول(ع): داخل في الاشياء لابممازجة، وخارج عنها لابمباينة.

فهو سبحانه لايمكن الوصول الى كنهه، لأن الفكر والوصول الى النتائج هو من الله تعالى: داخل في الأشياء لابممازجة. وكل فكر هو خارج عن الله ليفكر في الله: وخارج عنها لابمباينة. لذا لايمكن فهم كنه الله، ولكن يمكن أن نفهم أنه ليس كمثله شيء.

واذا تجاوزنا هذا الحد، وجدنا قوله(ع) في الخطبة ٩٢:

«لايدركه بعد الهمم، ولاينالة حدس الفطن».

أي مهما حاول الحكيم أن يحلق بفكره، ومهما حاول العالم أن يمخر بحور الشهود، لايستطيع أن يجد شيئاً.

في أول خطبة له(ع) في النهج نقرأ أن الشيء المقرون بالأزلية وبغير المحدود، فهو ليس بالله ولامن صفات الله يقول(ع):

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له»

هذا الاخلاص يبينه بقوله: «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة». هذه القاعدة أخذها الفارابي فيما بعد وبنى عليها قاعدة= فاقد الشيء لايعطيه.

المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان، يستنبط من هذه الفكرة قاعدة الفكر الذاتي «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه».

أية صفة يجب أن تسلب عن الله تعالى. تلك الصفة التي تقول انني غير موصوف. أما الوصف الزائد الذي يشهد عليه الزائد والمزيد فيجب أن يسلب عن رب العالمين. «بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة».

ثم يقول(ع): «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه». أي قرنه بالغير. «ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار اليه، ومن أشار اليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه».

هذه الاستنتاجات تعبر عن شيء واحد، وهو أنه اذا وصف سبحانه بشيء زائد، فقد وصف بشيء موجود سوى الله. الوجود المحض ليس له ساحل ولا منتهى. الكمال المحض هو علم محض. والحياة الصرفة كمالاتها غير محدودة. وصفته بالكمالات هي أيضاً غير محدودة.

* * *

هذه فلسفة علي(ع) من الناحية النظرية.

أما فلسفته(ع) في القسم العملي فهي سامية المعنى بعيدة الغور.

فلسفته العملية قال عنها: ليس لله آية أكبر مني.

ان مقامه (ع) تجسد في قوله لابن عباس: ماقيمة هذا النعل؟ قال ابن عباس: لاقيمة لها. فقال (ع): والله لهي أحبّ إلي من امرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.

ان مكانته (ع) تتجسد عندما سأله أحدهم... قال صاحبه: ألف مثقال ذهب أو ألف مثقال فضة. فقال(ع): كلاهما عندي حجران. الذهب عند علي حجر وكذلك الفضة. حجر أصفر وحجر ابيض... هذه مكانة علي(ع).

بعض تلامذة علي(ع) حازوا مكانة علي(ع).

قال علي (ع) في الحكمة ٧٧: «آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبُعد السفر، وعظيم المورد».

هذا هو الذي يبين مقام علي(ع). أي سفر بعيد على علي(ع). انه السفر الى الله تعالى. انه نفس سفر النبي(ص).

سلوا نهج البلاغة قبل أن تفقدوه. أي سفر هذا؟ الذي يقول عنه علي(ع) انه بعيد. انه سير الى الله.

ولكن الامام(ع) يقول: «ان الراحل اليك قريب المسافة، وانك لاتحجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال». اذن فالطريق الى الله قصير. وهل مقصوده(ع) من بُعد الطريق هو السير الى الله.

ان الوصول الى الله ليس عسيراً ولاصعباً، لاسيما على علي(ع). لكن الصعب هو السير من الله الى الله. إنّ هذا مايتحدث عنه الامام(ع). وهذا مايقصده بقوله.

انه إيصال رسالة المعبود الى العباد. وهو وسيلة وليس هدفاً.

الانسان العارف هو الذي يعرف ان الحق في الله تعالى.

ان علياً(ع) أراد أن يعرف الأسماء الالهية على حقيقتها. لذلك كان سفره بعيداً.

ان الذي قد ابتعد عن كل أهوائه ليس صعباً عليه أن يطوي مسيرته الى الله.

ان علياً(ع) هو الذي قال: «الهي اني لم أعبدك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» فهو(ع) ليس له محبوب سوى الله.

أنقل لكم كلمة لثقة الاسلام الكليني في الكافي يقول: لما عزم(ع) محاربة... فتلا خطبة تحدث فيها وناجى ربه، عبَّأ بها جماهير الأمة.

في بداية الخطبة بعد الحمد قال: ان الله متفرد، لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ما كان... وهي خطبة طويلة. وبعد أن انتهى الكليني منها قال: وهذه الخطبة من مشهورات خطبه(ع)، وهي كافية لمن طلب علم التوحيد، اذا تدبرها وفهم مافيها.

يقول الكليني. فلواجتمعت ألسنة الجن والانس على أن يبينوا التوحيد بمثل ماأتى به علي(ع)، بأبي وأمي، لما قدروا عليه.

يقول المفيد تعليقاً على كلمة الامام(ع) السابقة: ان هذا الحكيم بهذا الابتكار الالهي قدرّ أكبر شبهة من شبهات الملحدين. انهم يقولون: اما ان الله خلق العالم من شيء فهو مادي، او خلقه من لاشيء، فلايدخل عليه (من). اذن من أي شيء، خلقه الله؟ اللاشيء ليس مادة.

يقول(ع): ان الله ليس من شيء ولا عمله من شيء. ان الله شيء، ليس من شيء، ولا خلق من شيء. يعلّق الداماد في شرح أصول الكافي على قوله(ع): من شيء، فيقول: ان (من شيء) ليس نقيضه لاشيء. إذا وجد أحدهما لايوجد الآخر. ان علياً(ع) يقول: لم يخلق الله العالم من شيء، ولا من شيء. فهما ليسا نقيضين. نقيض كل شيء نفيه.

قال(ع): ان الله لم يخلق الأشياء من أشياء أخرى. «ولا من شيء خلق ما كان».

ان علياً(ع) يقول عن القرآن: ان الله تعالى تجلى لهم في كتابه ولكن لايبصرون.

وان علياً(ع) قد تجلى للناس في كتابه، فاسألوا نهج البلاغة قبل ان تفقدوه.

يجب عليكم أن تفهموا ماقال علي(ع). لا تكتفوا بخطبه وحكمه ومسائله الاجتماعية. انها لازمة وليست كافية. وهذه المواضيع موجودة في الكتب الأخرى.

اننا نريد إثبات وجود الله بدليل العقل، وكذلك الوحي والمعاد. وهذه البراهين كلها موجودة في نهج البلاغة.

المؤتمر في يومه الثالث:

١- القرآن الكريم: وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت...

٢- نشيد

٣- كلمة الاستاذ رزجو تحت عنوان:

(أسباب التلاحم بين الحكومة والشعب في نهج البلاغة)

من وجهة نظر الامام علي(ع) الذي هو عصارة معارف الاسلام، ان حاكمية الله المطلقة على كل الوجود جارية ونافذة. ومن ذلك نجد أن ارادته نافذة على المجتمع البشري. يقول سبحانه:

(إن الحكم إلّا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه)

فالحاكمية تختص بالله وحده، سواء على مستوى الكون أو المجتمع وهدايته. لذلك كان وضع النظام من الله لهداية المجتمع، عن طريق الوحي النازل على الأنبياء.

يقول سبحانه:

(وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد-٢٥)

لذلك كان الحكام في نهج البلاغة بعد الله هم الأنبياء.

يقول (ع) في الخطبة الأولى من النهج: «واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على

الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم».

و بعد خاتم النبيين(ص)، فان أئمة الهدى هم الذين يتحملون قيادة المجتمع. ومن بعد غياب قائمهم المهدي(ع) يقوم العلماء المستكملون للشرائط باقرار الدين الصحيح والمحافظة على الاحكام الشرعية.

أما الارتباط بين الجماهير والحكومة، فهو ارتباط يشبهه الامام(ع) بأنه كالارتباط بين الراعي والرعية. وكلمة الراعي والرعية قداستفاد منها الطواغيت لينصبوا من أنفسهم ولاة أمور غير شرعيين. ان الارتباط الذي قصده الامام(ع) ليس كما أراده الطواغيت، بل هو ارتباط كما بين الأب وأبنائه في الاسرة الواحدة. لأن ارتباط الراعي بالرعية يختلف عن امتلاك الراعي لغنمه. ليس هذا هو المقصود من تشبيه الراعي والرعية. ومن هنا فان المجتمع المستعبد الذي يحكم فيه الحاكم بالدكتاتورية، فهو أشبه بحكم الراعي في قطيع الغنم. في هذه الحالة يصبح الأفراد مستعبدين من قبل الحاكم. أما في النظام الاسلامي فتلك العلاقة هي كالعلاقة بين الأب والابن. فجماهير الشعب هم عيال الله، الذين يتولى حاكميتهم الامام.

قال (ع):

«لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً»

ان هذه الحرية لا تتحقق إلا في ظل الحكم الاسلامي العادل، حيث يكون الناس سواسية كأسنان المشط. وهذا يؤدي الى ايجاد الثقة العميقة بين الرعية والراعي.

قال الامام علي(ع) في عهده لمالك الاشتر:

«ثم تفقد من أمورهم مايتفقد الوالدان من ولدهما»

وقال(ع): «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم»

وقال(ع): «فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعّر خدك لهم، وتفقد أمور من لايصل اليك منهم»

فانظر الى هذه المعاملة الانسانية التي فيها الرحمة واللطف، وتلك هي علاقة الوالي بالرعية.

وقال(ع): وصلّ بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وقال(ع): واخفض للرعية جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك .

ماأرأف هذا الموقف العطوف الرحيم بالرعية.

وكما ان العائلة السليمة يربط بين أفرادها الحب والوئام، وهذان يؤديان الى نمو

الشخصيات، وكما ان حب الوالدين يوسع مدارك الأولاد و يفسح لهم المجال في المجتمع، كذلك ينمي الراعي شخصية أفراد الرعية.

ان الراعي يوجد الغرص والامكانيات التي تسمح للفرد بالحركة.

ثم ان الامام(ع) يؤكد على العدالة الاجتماعية.

يقول(ع) في الخطبة ٢١٤: **وأعظم ماافترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضةً فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كل.**

فأهم الحقوق التي يؤكد عليها الامام(ع): حق الراعي على الرعية، وحق الرعية على الراعي. وأوجد الله سبحانه تشريعاً دقيقاً لهذه الحقوق.

وهذا مما يؤدي الى استقرار الفكر في المجتمع الاسلامي.

واذا كانت هناك ثقة كاملة، وأدى كل واحد واجبه من الراعي والرعية، تفجرت الطاقات.

وهذا مانجده في نهج البلاغة ولاسيما في عهد الامام لمالك الاشتر.

لنتكلم في واجبات الجهاز الحاكم تجاه الناس:

أكد(ع) على وجوب وجود القائد أو الحاكم العادل المتقي الجامع للشرائط.

ومن أهم واجباته ازالة الفوارق بين الطبقات، والوقوف ضد الانتهازيين والمنافقين في جهاز القيادة.

أول سمة للحاكم: العدل. والعدالة تجعل النفس سليمة مستقرة. بينما الظلم لايجعل نفس الظالم مستقرة، فما بالك بنفس المظلوم. ان طريق الجور ضيق ولايسع حتى الظالم نفسه.

العدالة ناموس الهي، فلايجوز لانسان واعٍ أن يقف ساكتاً أمام المظالم التي يراها بعينه. لايجوز ان يسكت باسم المصلحة تجاه هذا الظلم.

انطلاقاً من هذا المبدأ نفهم سبب تأكيد الامام على ضرورة تنصيب الامام العادل، وعلى ضرورة ان يكون الوالي معزولاً عن تأثير المتنفذين في المجتمع. بل أن يكون الوالي من الطبقة التي ليس لها سابقة في الظلم. وأن يكون بعيداً عن الكذب والبخل والرياء.

الصفة الثانية للحاكم هي: التقوى.

انظروا الى هذه العبارات في عهده(ع) لمالك الاشتر:

«ان شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام، فلايكونن لك بطانة، فانهم

أعوان الأئمة، واخوان الظلمة»

من هنا يتبين أن من أهم عوامل الثقة بين الحاكم والجماهير، وتحريك الجماهير للتعاون والتلاحم مع الجهاز الحاكم، هو وجود القيادة الصالحة، فهي أهم عامل لوجود التوازن والاستقرار في المجتمع.

ان النموذج الكامل لهذا القائد الصالح، هو صاحب الذكرى الذي أقيمت هذه الذكرى لدراسة كتابه. لقد جمع خصال الحق وكان تلميذ المصطفى (ص).

انه رجل السيف والقلم، والمنبر والحكم. لقد كان في تقواه وعدله شديداً الى درجة لم يستطع أخوه عقيل أن يطيقها. وقد بلغ (ع) في كل الكفاءات الانسانية القمة السامية. حتى اجتمعت فيه المتناقضات، من قوة وخشوع، وهيبة وتواضع، و بساطة وعظمة. لقد اجتمعت فيه كل هذه الخصال في مظاهرها الايجابية... بهذا أصبح علي إمام المتقين.

أما من الناحية السياسية، فان وجهه السياسي يختلف عن وجوه السياسيين الميكافيليين. لم يُضَحّ بشيء من أية قيمة من قيمه الانسانية. يعزل الولاة غير الصالحين. يرفض طلب ابن عباس في ابقاء معاوية على الشام وعدم عزله. يردّ الأموال المغتصبة غير الشرعية.

يقول (ع) فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان: «والله لووجدته قدتُزوّج به النساء، وملك به الاماء، لرددته. فان في العدل سعة. ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه اضيق».

مَن غير علي (ع) يستطيع أن يقوم بذلك؟

كان (ع) يتجول في الليل بحثاً عن الفقراء والمساكين ليساعدهم.

كان يعيش من كدّ يمينه وعرق جبينه، وماادخر شيئاً من حطام الدنيا. يصرح عن ذلك في كتابه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة حيث يقول:

«ألا وان إمامكم قداكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعمه بقرصيه. ألا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولاادخرت من غنائمها وفراً، ولاأعددت لبالي ثوبي طمراً، ولاحزت من أرضها شبراً»

وفي آخر هذه الرسالة يقول (ع):

«ولكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي الى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له في القرص، ولاعهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال الشاعر:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ الى القدّ

«أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها».

ولا ننسى خطابه لابن عباس في شأن الخلافة وقد رآه يخصف نعله بذي قار فقال(ع): والله لهي (أي النعل) أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفع باطلاً.

هذه الشدة في الله، تبين عظمة تقواه(ع). ولقد بلغ من شدة عدله(ع) أن انقلب عليه المنافقون، حتى أردوه في محرابه، ومع ذلك أشفق على ضاربه، وقال لهم: أطعموه مما تطعمونني وأشربوه مما تشربونني، ولا تمثلوا بالرجل.

لقد لازمت العظمة علياً حتى آخر لحظة من حياته.

* * *

٤ ـ ندوة حول (المرأة في نهج البلاغة)
اشترك فيها السادة:

الاستاذ لبيب بيضون
الدكتور السيد جواد مصطفوي
الاستاذ عميد زنجاني

٥ـ كلمة الاستاذ لبيب بيضون، وهي معالجة للسؤال التالي:

زعم بعض المتشككين أن الامام علياً(ع) قد تحامل على المرأة في بعض كلماته في نهج البلاغة، فما هو ردكم على ذلك ؟

الجواب: ان الحكم على أي قول ورد في القرآن أو في نهج البلاغة، لا يجوز إلا ضمن المبادىء الأساسية التي تبناها الاسلام.

ونضرب مثالاً مبسطاً على ذلك وصف القرآن للشعراء، حيث يقول:(والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون) فلو أنه وقف هنا في كلامه، فهل كان يقصد بالشعراء كل الشعراء، أم أنه يقصد عموم الشعراء. ولو كان يقصد بالشعراء كل الشعراء لما أتبعها بقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات). اذن

فالمؤمن غير داخل في كل الصفات المذكورة في الآيات، لأنه أصلاً منزه عن صفة الغواية والفساد.

وكذلك الأمر بالنسبة لبعض أقوال الامام علي(ع) في المرأة، التي جاءت لتبين عموم صفات النساء، المرتبطة بتكوينها العاطفي، السريع الانجراف الى الشر، اذا لم يكن لها ضابط من الدين.

من ذلك قوله(ع):

«المرأة شر كلها، وشر مافيها أنه لابدّ منها»

وقوله: **«وان النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها»**.

فهل يمكن أن يُدخل الامام(ع) في وصفه هذا للنساء ـ المرأة المسلمة المؤمنة... معاذ الله.

اجتمعت باحدى الفتيات المؤمنات في بلدكم فقالت لي: لماذا تحامل الامام(ع) على المرأة في نهج البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال: المرأة شر كلها، وشر مافيها أنه لابد منها!

فقلت لها:

١ـ أحسني ظنك بامامك يا آنسة، فالامام علي(ع) ليس عدواً لأحد، انما هو صديق للحق وعدو للباطل. مصداقاً لقول النبي(ص): **«علي مع الحق، والحق مع علي»**.

٢ـ إن غرض الامام(ع) من كلامه هذا إن صحت نسبته إليه، هو بيان الواقع لاأكثر ولاأقل. فنحن نرى النساء في العالم بدون مناقشة الأسباب، هن من أعظم أدوات الشر ومصادر الفساد.

ونجد نفس الغرض في قوله(ع): **«ان النساء نواقص العقول، نواقص الحظوظ، نواقص الايمان...»** فليس غرضه(ع) من هذا التشهير والتوهين من قيمة المرأة، بل هدفه بيان طبيعتها وحقيقتها.

وحين يشرح القول الأخير، يشرحه وفق ماورد في القرآن دون زيادة ولانقصان. فهل في هذا أي تحامل على المرأة.

٣ـ أنت تعلمين أن كل رجل عادي حين يعطي رأيه بالمرأة فانه يعطيه من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فاذا كانت زوجته سيئة ظن أن كل النساء سيئات، واذا كانت زوجته صالحة اعتقد أن كل نساء العالم صالحات.

والامام علي(ع) لولم يكن معصوماً، فان زوجته فاطمة الزهراء، كانت سيدة نساء العالمين، فكيف تكون نظرته الى المرأة من خلالها.؟

٤- ان النساء لَسْنَ من درجة واحدة في القيمة. ففيهن المؤمنة والكافرة، والتقية والفاسقة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقداوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لايقبل الشك، حتى أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر الكافرين، وكانت هي من أعظم المؤمنين، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى مراتب الجنان. يقول سبحانه:

(وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت: ربّ آبنِ لي عندك بيتاً في الجنة، ونجّني من فرعون وعمله، ونجّني من القوم الظالمين)(آخر سورة التحريم)

فاذا كان الامام علي(ع) يعلم هذا كله، ثم هو بعد ذلك يقول في نهجه: «المرأة شر كلها، وشرّمافيها أنه لابد منها» أو يقول: «النساء حبائل إبليس» فهو لايقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومثيلاتها من المؤمنات أمثال: خديجة ومريم وآسية، وانما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التي هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لأنها تنطلق في أعمالها بدافع من هواها ونزواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

إننا نفتخر بالمرأة الايرانية المؤمنة، التي تسعى في عملها على نهج مولاتنا زينب(ع)، والتي لم يخرجها تحررها عن ايمانها، نفتخر بها لأنها ركن أساسي من أركان البناء والثورة، وهي رغم ضعفها تقدم مثل الرجل أو أكثر منه، مصداقاً لقول إمام الامة وسليل الأئمة: «المرأة نصف المجتمع، ومربية النصف الآخر» بياناً لفضلها

يقول(ع): لايغدر من علم كيف المرجع.

هذا المعيار الذي وصفه الامام(ع) يشمل الرجل والمرأة.

العلم الذي يمثل قيمة عالية لايرتبط بالرجل وإنما بالجنسين معاً.

ان درس الحرية الذي أعطاه الامام(ع) هو للجنسين أيضاً، حيث قال: **لاتكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حراً.**

إلا أن المرأة من حيث تحمل المسؤوليات، يجب مراعاة طاقتها في تحمل تلك المسؤوليات، والرفق بها وعدم تحميلها أكثر مما تطيق. كما يفعل البعض في مجتمعنا اليوم حين ينادون بشعار: مساواة المرأة بالرجل.

يصور الامام(ع) هذاالمعنى الجليل بأربع كلمات فيقول:

«فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة».

ان للمرأة محدودية، ولا تستطيع أن تتحمل مسؤولية تتجاوز قدرتها، اذ أن هذا جفاء بها وجور عليها. ان المجتمعات التي تبرمج لسعادة المرأة يجب ان تأخذ هذه الناحية بعين الاعتبار.

من ناحية أخرى لقد راعى الاسلام العواطف الرقيقة للمرأة، وسرعة انفعالها. فعندما يفتح جنود الاسلام بلاداً فيها نساء، كان الامام(ع) يوصي جنوده بالنساء خيراً، واذا رأوا النساء يشتمنهم فلا يعتدوا عليهن، فيقول:

«ولا تهيجوا النساء بأذى، وان شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فانهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول».

المرأة عاطفية حقاً، وحين ترى أولادها قد ذبحوا تثور عاطفتها فتتفوه بما لا تعقل. فالامام(ع) يدعو جنوده أن لا ينفعلوا عند سماعها، بل يغضّوا عن قولها.

وفي وجهة نظري، ان الادراك الانساني مشترك بين الرجل والمرأة، لكن قدرة الادراك في المرأة تنصرف الى الجانب العاطفي. وكما أن الرجل يستخدم عواطفه وقوة ادراكه في شهوته وغضبه، فان المرأة تستخدم ادراكها في عواطفها. وهذا يقلل من النسبة المئوية لتعقلها، فتكون قدرة تعقل الرجل أكبر. ونقول: ان المرأة تستخدم قسماً من ادراكها لعواطفها.

وانهي موضوعي في الكلام عن حسن تبعل المرأة. ان الامام(ع) بالنسبة لشخصية المرأة، يعتبر المرأة بطلة اذا أحسنت تبعلها.

وبهذا يضع إطاراً جديداً للجهاد بالنسبة للمرأة فاضافة للجهاد الأكبر، هناك وقيمتها. والسلام عليكم.

٦ ـ كلمة الدكتور جواد مصطفوي الخراساني، بعنوان:
(نقص المرأة في نهج البلاغة)

أتكلم عن نقص المرأة الذي أشار اليه الامام(ع) بقوله:

«ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول»

فأقول: هناك عقلان:

١ـ العقل الذاتي: وهذا ينضج في البنت قبل الصبي، ولذلك كلفت البنت

بالصلاة قبل الصبي.

٢- العقل الكسبي: وهومايكتسبه الانسان من تفاعله مع الحياة والمجتمع. وهذا العقل تحرم المرأة من بعضه، نتيجة انصرافها في البيت الى تربية الأولاد بعد ولادتهم. وليس من العدل أن نحرم المرأة من عاطفة الامومة، ونطلب منها أن تذهب الى ساحة الحرب.

وعندما يقول الامام(ع) بأنه يوجد في المرأة نقص، وهو في الناحية الفلانية، فليس مراده مذمة المرأة أبداً، إنما غرضه بيان الواقع الذي نص عليه القرآن.

٧- كلمة الأستاذ عميد زنجاني، بعنوان:

ماهي الأمور التي يعرضها الامام في النهج لدفع الظلم عن المرأة

في البداية أقول: ان الامام(ع) حين يتكلم عن المرء في نهج البلاغة فانه لايقصد به الرجل فقط، وانما الرجل والمرأة.
نسوق أمثلة على ذلك:

يقول (ع):

قيمة كل امرىء مايحسنه
كل امرئ لاق مايفرّ منه
المرء مخبوء تحت لسانه
كفى بالمرء جهلاً ألايعرف قدره.

القيم السلبية والايجابية يتساوى فيها الرجل والمرأة.
الحقوق الانسانية يتساوى فيها الرجل والمرأة.

جهاد آخر بطلته المرأة، و يتمثل في تشكيل الحياة الاجتماعية الموطدة السعيدة. فالمرأة تستطيع أن تبث الحياة والاستقرار في الأسرة، وأن تنمي الأسرة وتحافظ عليها. و بذلك ينتج الوجود الصالح.

إن حسن التبعل يمثل الجهاد الثالث. وهو مفاد قوله(ع): «وجهاد المرأة حسن التبعل».

ومن أصول محافظة الاسلام على المرأة، ضمان أمنها، وقداهتم الامام(ع) بهذا الضمان، وأكد على هذا الأمان. يقول(ع) في الخطبة ٢٧:

«ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقُلُبَها وقلائدها».

ذلك أن معاوية غزا بخيله الأنبار وفعل مافعل بالنساء المسلمات والمعاهدات، فالامام(ع) يدعو أصحابه الى دفع مثل هذا الغزو، وعدم التعرض للنساء بأذى، فمن أبرز حقوق المرأة الأمان في الاسلام.

تلك كانت معاملة الامام علي(ع) للمرأة.

٨ـ كلمة الاستاذ جلال الدين الفارسي، تحت عنوان:
(نزول القرآن في نهج البلاغة)

ان المحدثين متفقون على أن أصحاب رسول الله كانوا متفاوتين في إدراكهم وفهمهم لمعاني القرآن. وكما كان أصحابه غير متساوين في حضور نزول القرآن، فانهم كانوا متفاوتين في معرفة القرآن وأسباب نزوله.

يقول سبحانه: (لنجعلها لكم تذكرة، وتعيها أذن واعية) (الحاقة ١٢)

نزلت هذه الآية في الامام علي(ع)، وهو المقصود بالأذن الواعية. ينقل ذلك الطبري وابن ابي حاتم وابن عساكر وغيرهم عن بريدة الأسلمي أن رسول الله(ص) قال لعلي(ع): ان الله امرني أن أدنيك ولاأقصيك، وحق على الله أن تعي، فنزلت الآية.

أنقل هذا المعنى من الدر المنثور المجلد ٣ ص ٢٦١، أسباب النزول للسيوطي ص ١٦٤، بعد نزول الآية (وتعيها أذن واعية) قال(ص): سألت الله أن يجعل أذن علي واعية. يقول علي(ع): وبعد ذلك لم أعد أسمع من رسول الله شيئاً فأنساه.

الثعلبي يروي هذا الحديث بشكل مسند لامرسل.

والآية السابقة في صدد سرد تاريخ الانبياء والأقوام المنقرضة، فيقول سبحانه: من أجل فهم وحفظ التاريخ المليء بالعبر، تاريخ الانبياء والشعوب، لابد من أن تكون للانسان اذن واعية.

ينتج من هذا أن علياً(ع) فهم واستوعب القرآن أكثر من غيره من الصحابة، ثم علّمه للآخرين.

السيوطي والزركشي متفقان على أن مصدر علوم القرآن جاء من علي(ع).

العلماء الآخرون كمجاهد قدتابعوا في ذلك وأخذوا عن علي(ع) وتتلمذوا على ابن عباس.

ونلاحظ اضافة الى أن علياً(ع) كان أفضل من حفظ وأدرك القرآن، وأنه كان متفوقاً في تفسير القرآن، فقدشمله قوله تعالى:

«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فلقد كان علي(ع) أحد اسباب حفظ القرآن. وفي تفسير قوله تعالى «ان علينا جمعه وقرآنه» يقول ابن عباس: ان الله قدطوى القرآن في قلب علي(ع). و بعد وفاة النبي(ص) جمع القرآن خلال ستة أشهر.

في حلية الاولياء يروى أنه حين توفي النبي(ص) قال علي(ع): «أقسمت أنْ لاأجمع ردائي حتى أجمع القرآن».

المفسرون متفقون على هذه الحقيقة، وهي أن أول شخص عزم على جمع القرآن وحققه هو علي(ع) قبل أن يعزم أحد على ذلك.

في مجمع البيان للطبرسي قال ابوذر: جمع علي(ع) القرآن وقدمه للمهاجرين والانصار، وأراهم إياه، بناء على وصية الرسول(ص). وعندما فتحه أحد الانصار، وجد فيه مايفضح بعضهم.

اما كيف جمع علي(ع) القرآن فهذا بحث أساسي.

لقد وضع (ع) قضية جمع القرآن في أول قائمة أعماله بعد وفاة النبي(ص)، وذلك لتقديره أهمية ذلك الجمع حتى يوصد الطريق أمام الذين يحاولون تحريف القرآن أو التلاعب به.

من محاولات التحريف، أن بعضهم حاول حذف الواو من الآية: «إن كثيراً من الأحبار والرهبان، ليأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله [و] الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم» (التوبة - ٢٤).

انهم حاولوا حذف الواو ليوهموا الناس ان الذين يكنزون الذهب والفضة هم الرهبان فقط، وليس مطلق الناس. ولكن علياً(ع) شهر سيفه وقال: إما أن تضعوا الواو أو أقتلكم بسيفي هذا.

لقد جمع علي(ع) القرآن بدون زيادة ولانقصان. قال ابورافع: جلس علي(ع) بعد وفاة النبي(ص) في بيته حتى جمع القرآن. ولم يجمعه حسب ترتيب النزول، وانما جمعه كما هو الآن.

هناك دلائل من القرآن تدل على ان ترتيب القرآن ليس من اختيار البشر، وانما من الله. انه ترتيب الهي لم تمسه يد البشر أو يد النبي(ص).

ميزة قرآن علي(ع)، أنه بعد أن جمعه، أوضح فيه كل مايتعلق بنزوله وأسباب النزول. ثم أوضح معاني الآيات لتلامذته بشكل دقيق، فحفظ القرآن من التحريف المعنوي ايضاً.

وكان(ع) يؤكد على ضرورة تعلم أسباب نزول الآيات، ليكون فهمها صحيحاً. وكذلك تسلسله حسب النزول.

في رواية ابن ابي داود والنسائي عن ابن عمر، قال تحدث أمير المومنين عن القرآن فقال: **اسألوني عن القرآن أقول لكم عن كل آية، أين نزلت وفي حق من نزلت.**

ومما بيّنه(ع) الناسخ والمنسوخ.

نضرب مثالاً على ذلك: آية عدة الوفاة. فبالنسبة لترتيب النزول، تنزل الآية المنسوخة، ثم تنزل الآية الناسخة. لكن هذا الترتيب لم يراع في سورة البقرة، فقدمرت فيها الآية الناسخة رقم ٢٣٤ قبل الآية المنسوخة وهي الآية رقم ٢٤٠. فأما الآية المنسوخة رقم ٢٤٠ فهي قوله تعالى:

«والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً، وصية لأزواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج، فان خرجن فلاجناح عليكم في مافعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم».

فقد كانت العادة عند العرب قبل الاسلام أن الرجل اذا مات لم يكن لأمراته من ميراثه شيء إلا النفقة حولاً كاملاً، على شريطة أن تعتدّ في بيت الميت، فان خرجت قبل الحول سقطت نفقتها. ثم نسخت هذه الآية بالآية رقم ٣٢٤ التي جعلت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر أيام، وهي قوله تعالى:

«والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً، يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً، فاذا بلغن أجلهن فلاجناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، والله بماتعملون خبير».

وفي زمن تدو ين القرآن كان يعرف كل واحد ماهو الناسخ وماهو المنسوخ.

وهكذا نجد أن ترتيب السور والآيات توقيفي، أي حسبما أمر الله تعالى. وكما ورد عن ابن عباس، أن الوحي كان يخبر النبي(ص) و يأمره أن يضع الآية الفلانية بعد الآية الفلانية. وهذا ماكان في شأن آيتي عدة الوفاة السابقتين.

وكان من اسباب اهتمام الامام(ع) بأسباب النزول أن يبين إسهام كل مسلم

في بناء الدين، ولايغمط أحداً فضله، لاسيما في ساحة الجهاد ضد الاعداء.

وفي حين حاول المؤرخون تزييف بعض الحقائق، فقدأعطى الامام علي(ع) لكل ذي حق حقه.

لقد حاول بعض المورخين إنزال قيمة بعض الصحابة ورفع غيرهم، حسب أهوائهم السياسية. رفعوا المتنفذين ولميوردوا الطعن الذي ورد في حقهم. بينما غمروا الضعفاء ولميذكروا جهادهم.

ان علياً(ع) يضع الحق في نصابه، و يذكر بحياد كل إنسان بعمله دون تزييف او تشويه.

ان طلحة بن عبيدالله دافع عن النبي(ص) حتى أثخن بالجراح فلماذا يحاولون غمر جهاده وتضحيته.

ينتج مما سبق أن علياً(ع) حافظ على الوجه الناصع للاسلام، وذكر كل من جاهد ودافع عن النبي(ص) بشكل دقيق وواضح. أما غيره فقدأرادوا أن يرفعوا الفارين و يضعوا المجاهدين، ولولا علي ماعرفنا الحق.

* * *

المؤتمر في يومه الرابع :

١- القرآن الكريم: من سورة الدهر.

٢- نشيد

٣- كلمة الاستاذ الدكتور جواد مصطفوي، بعنوان:

(الاتحاد في نهج البلاغة)

لدراسة الاتحاد في منظار نهج البلاغة نقسمه الى المطالب التالية:

١- دور الرسالة الاسلامية في توحيدالناس بعد ان كانوا متفرقين.

٢- لزوم تعيين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.

٣- ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.

٤ـ ان الاتحاد مع الكراهية أفضل من التفرق مع المحبة.
٥ـ لاعزة بلا اتحاد.
٦ـ كيف عامل الامام(ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.
٧ـ عوامل الاتحاد والا تفاق وعوامل الاختلاف والتفرق.

المطلب الاول:

دور الرسالة الاسلامية في توحيد الناس بعد ان كانوا متفرقين:

لقد أوضح الامام(ع) في الأجزاء الثلاثة من نهج البلاغة دور النبي(ص) في توحيد الناس حين أسس أكبر عقيدة وطبق أعظم شريعة.

يقول(ع) في الخطبة ٩٤: قد صرفت نحوه أفئدة الابرار، وثنيت اليه أزمة الابصار. دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر (أوالنوائر).

وفي الخطبة ٢٣١ يقول(ع) عن النبي(ص):

فصدع بما أمر به، وبلّغ رسالات ربه، فلمّ الله به الصدع، ورتق به الفتق، وألّف به الشمل بين ذوي الأرحام، بعد العداوة الواغرة في الصدور، والضغائن القادحة في القلوب.

فلقد استطاع النبي (ص) أن يضمد الجروح التي كانت بين الناس.

المطلب الثاني

لزوم تعيين نائب للرسول بعد وفاته لادامة الوحدة بين المسلمين.

يقول (ع) في الخطبة ٢١٦: واعظم ماافترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍّ على كل. فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم.

فيقول (ع) لايمكن أن يترك الناس بدون حاكم. هناك حقوق بين الناس، وأكبر تلك الحقوق حقوق الوالي على الرعية، حتى يتسنى له ايجاد الوحدة فيما بينهم.

المطلب الثالث:

ان الله سبحانه لم يعط السعادة الكاملة للذين تفرقوا.

يقول(ع) في الخطبة ١٧٦: «وان الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيرا، ممن مضى ولاممن بقي»

لايجوز على أي مسلم أن يختلف عن أخيه، سواء كان شيعياً أو سنياً.

ولقد بين هذا المطلب(ع) بصيغة علمية، حيث قال في الخطبة ٢٣: ومن يقبض يده عن عشيرته، فانما تُقبض منه عنهم يد واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة.

الشخص الموجود بين أقاربه وعددهم مائة، اذا ألقى اليهم يد المحبة، فسوف تمتد اليه منهم مائة يد.

يمكن أن نطبق هذا المبدأ على السنة والشيعة. فالشيعي الذي يبتعد عن السنة يفقد أيدياً كثيرة من المسلمين.

المطلب الرابع:

ان الاتحاد مع الكراهية أفضل من التفرق مع المحبة.

لابد أن تقترب من أخيك المسلم ولوكنت تكرهه، فهذا أفضل من البعد عنه.

يقول(ع) في الخطبة ١٧٦:

«فان جماعة فيما تكرهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل.»

و يقول (ع) في الخطبة ١٤٧:

«وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولاأظهر من الباطل». الى ان يقول(ع):

فاجتمع القوم على الفرقة، وافترقوا على الجماعة، كأنهم أئمة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم.

ان القرآن كلكم تستندون عليه، وكلكم تقبلونه. وقدقال سبحانه (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وتعلمون أن أمتكم أمة واحدة. فكيف تستندون الى هذا المستمسك جميعاً، وهو يدعو الى الوحدة، وانتم تتفرقون.

ليس في القرآن غيرالاتحاد، ومع ذلك فرّق الخوارج أبناء الامة الاسلامية.

المطلب الخامس:

لاعزة بلا اتحاد.

ان العامل الاساسي للعزة والسعادة هو الاتحاد الذي يلاحم بين المؤمنين.

كتب الامام(ع) في هذا المطلب أكثر من أربع صفحات.

انظروا الى الأمم السابقة، كيف الذين تفرقوا من قبلكم بعد توحدهم، فماذا

كانت نتيجتهم؟

نضرب مثالاً على ذلك أبناء يعقوب(ع) كيف صار حالهم عندما تفرقوا بعد أن كانوا متفقين متحابين.

انظروا الى الأكاسرة والقياصرة كيف ذهبت ريحهم حين تفرقوا.

انظروا كيف كنتم من قبل متفرقين، ثم لما جاء النبي(ص) وتوحدتم، انتصرتم وأصبحتم أصحاب عزة ومنعة. ان المتحدين ولو كانوا بدون دين فانهم يصلون الى العزة.

يقول (ع) في الخطبة ٣/١٩٢:

فاذا تفكرتم في تفاوت حاليهم، فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومُدّت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلهم. من الاجتناب للفرقة، واللزوم للألفة، والتحاض عليها، والتواصي بها. الى ان يقول(ع):

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء (جمع ملأ) مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة. ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟ فانظروا الى ماصاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتّتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، تشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحازبين. قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته. وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين.

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحق وبني اسرائيل عليهم السلام. فما أشد اعتدال الأحوال، وما أقرب اشتباه الأمثال. الى أن يقول(ع) مخاطباً العصاة:

«ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطاعة، وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية. فان الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة، التي ينتقلون في ظلها، ويأوون الى كنفها، بنعمة لايعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجلّ من كل خطر».

فنعمة الاتحاد ليس لها قيمة تعادلها وخطر يوازنها.

المطلب السادس:

كيف عامل الامام(ع) الذين تفرقوا عن الجماعة.

يقول (ع) في معرض حديثه عن الخوارج والتحكيم:

«والزموا السواد الاعظم، فان يد الله على الجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب. ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولوكان تحت عمامتي هذه».

في ثورتنا ترون أن الذين لم يأتوا إلى خطبة الجمعة، كيف أن الشيطان لعب في نفوسهم فانحرفوا عن الدين، وقاموا بالفتن والقتل.

المطلب السابع:

عوامل الاتحاد وعوامل الاختلاف والتفرق.

ان بعض تعاليم الاسلام جاءت بصورة الوجوب و بعضها بصورة الاستحباب. واذا تعمقنا فيها نجد أنها جميعاً تدعوا الى الاتحاد..

ان صلاة الجمعة والجماعة من أكبر عوامل الاتحاد.

التبسّم في وجوه الآخرين هو من عوامل المحبة والاتحاد أيضاً.

المشاورة والنصيحة من عوامل الاتحاد.

هناك نحو ١٨٠٠ حديثا حول أصول المعاشرة في الحياة الاجتماعية. وكلها تهدف الى الوحدة والاتحاد بين عناصر المجتمع.

منها: حق الجيران، الرأفة بالأيتام، وحسن الخلق، واعطاء الهدية، وتشييع الجنازة، والدعاء للمؤمنين.

من هذه الوصايا أنك اذا أردت أن تسافر وكان صديقك مريضاً، فانتظر ثلاثة أيام حتى تطمئن عليه.

ومنها أن تنادي أصحابك بأحبّ أسمائهم إليهم.

في مقابل هذه العوامل الطيبة، هناك عوامل للتفرقة وماأكثرها. من أهمها الغيبة والنميمة والاستماع الى الحديث الخاص بين اثنين.

في نهج البلاغة يذكر من عوامل الفرقة في خلافة عثمان، أنه استأثر بالحكم والاموال ووزعها على أهله، فكان ذلك من عوامل الحقد عليه. يقول(ع): **وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة.**

ولما سأل احدهم الامام(ع): كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ وكان يريد بسؤاله إثارة الفتنة والتفريق. فأجابه الامام(ع) لنترك اثارة الفتنة

ولنهتم بما نحن فيه من خطر يهدد الاسلام وهو قتال معاوية. يقول (ع) في الخطبة ١٦٢:

«وهلم الخطب في ابن ابي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه، ولا غرو والله، فياله خطباً يستفرغ العجب، ويُكثر الأَوَد! حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فَوّاره من ينبوعه. وجدحوا بيني وبينهم شِرْباً وبيئاً».

وهذا يعني في زماننا أن لاننظر الآن، لماذا كان فلان شيعياً وفلان سنياً، وانما أن ننظر إلى ماهو أهم بكثير من ذلك، وهو الخطر الحاضر الذي يهدد عزتنا ودیننا واسلامنا. فلنوحد جهودنا ضد هذه الحرب المفروضة، لأن هذا هو الذي سينصرنا بمشيئة الله.

ولقد استطعنا سابقاً الانتصار على الطاغوت باتحادنا، وباتحادنا نستطيع أن نبني صرح ديننا وعماد عزتنا.

اللهم آت شهداءنا المنزلة الرفيعة في الجنة، مع شهداء بدر وأحد، وآت المعلولين والمجروحين صبر زين العابدين (ع).

والسلام عليكم ورحمة الله

٤ـ كلمة الشيخ سليمان اليحفوفي، بعنوان:

التساوي بين القوي والضعيف في الحق في نهج البلاغة

الحمد لله الناشر في الخلق فضله، والباسط فيهم بالجود يده. نحمده في جميع أموره، ونستعينه على رعاية حقوقه. فقد ساوى سبحانه بينهم في الخلق كما تساووا في الميثاق.

انطلق الامام علي (ع) في التساوي بين الأقوياء والضعفاء في الحقوق، من حيث التساوي في الخلق والتفاضل في التقوى.

على هذا المنوال نسج الامام (ع) عدالته، وساوى بين الحقوق والواجبات.

وقد ركز هذا المبدأ على أربع نقاط:

١ـ عالج الأسباب الداعية للاعتدال، فشخصها.

٢ـ عالج النفوس ليحرك نواحي الحقوق فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً.

٣ـ رسم اسلوباً لاعادة الحقوق لأصحابها.

٤ـ دفع حياته الشريفة ثمناً للعدالة، تتحدث عنها الأجيال.

النقطة الاولى: الاسباب الداعية للاعتدال:

القوي يضع عادة معاني الكمال التي تتناسب مع جبروته، ولايرضى بالكمال الذي يتحلّى به الضعيف.

أراد الامام(ع) اقتلاع مثل هذه الرواسب من النفوس. فقال في الخطبة ١٩٢:

«فاعتبروا بما كان من فعل ابليس، اذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد... عن كِبْر ساعة واحدة فمن نابعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته» الى ان يقول(ع):

«فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزكم بندائه، وأن يُجلب عليكم بخيله ورجله».

فوضع(ع) يده على الداء و وضع له الدواء.

النقطة الثانية: المعالجه النفسية:

يقول(ع): «فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، فانما تلك الحمية تكون في المسلم، من خطرات الشيطان ونخواته، ونزغاته ونفثاته.»

فاطفاء نيران العصبية تقتل نوازع الشيطان.

ان التكبر يثير العداوة والبغضاء، بينما التواضع يرفع صاحبه و يشيع المحبة. ان المتكبر يلجأ الى التكبر ليسد نقصه.

لقد بلغ أجدادنا العلى بالتواضع.

يقول(ع) في الخطبة ١٩٢: «ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم، الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الجهينة على ربهم، وجاحدوا الله على ماصنع بهم، مكابرة لقضائه، ومغالبة لآلائه، فانهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، وسيوف اعتزاء الجاهلية» الى أن يقول(ع): «فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم، من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومَثُلاته».

المستكبرون ينازعون الله سلطانه، وأرادوا سدّ نقصهم وخللهم بالكبر، أما المتواضعون المستضعفون فكانوا أولياء الله، وهكذا كان أنبياء الله. وفي ذلك يقول(ع): «فلورخّص الله في الكبر لأحد من عباده، لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه. ولكنه

سبحانه كرّه اليهم التكابر، ورضي لهم التواضع. فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفّروا في التراب وجوههم. وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين».

دخل موسى وأخوه هارون(ع) على فرعون، وعليهما مدارع الصوف و بيديهما العصي. فاشترطا عليه دوام الملك اذا هو آمن بالله. فألقى اليهما أساور الذهب، ظناً منه أنهم سيرضخون له.

يقول(ع) في الخطبة ٢/١٩٢: «ولوأراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان... لفعل. ولوفعل لسقط البلاء وبطل الجزاء، واضمحلت الأنباء... ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم،وضعفةفيماترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصة تملأ الابصار والاسماع أذى.

ولوكانت الانبياء أهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، ومُلكٍ تُمَدّ نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أورغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة».

ان العلاقات التي لا تنفصم هي العلاقات المعنوية غير المادية الموجودة بين المستضعفين والمتواضعين.

ولقد لاقى الامام(ع) الأمرّين ليجعل أصحابه يسيرون الى الحق، وهم يعصونه و يفسدون رأيه، حتى خاطبهم في الخطبة ٢٧ قائلاً:

«ياأشباه الرجال ولارجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال. لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة -والله- جرّت ندماً، وأعقبت سدماً. قاتلكم الله، لقدملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نُغَب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان».

وخاطبهم في الخطبة ٢٥ قائلاً:

«اللهم إني قدمللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني. اللهم مِث (أي أذب) قلوبهم كما يماث الملح في الماء. أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم: هنالك لودعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم»

* * *

٥ ـ كلمة حجة الاسلام زين العابدين قرباني، تحت عنوان:

عوامل التعاون بين الشعب والحكومة من منظار نهج البلاغة

قال النبي(ص): لا تصلح الامامة لرجل إلا أن تكون فيه ثلاث خصال:

- ورع يحجزه عن معاصي الله،
- وحلم يملك به غضبه
- وحسن الولاية على من يليه، حتى يكون لهم كالوالد الرحيم.

لقد تكلم البارحة في هذا الموضوع الاستاذ رزمجو، وقدأوكل إلى أن أكمل الموضوع اليوم. وسأبدأ في بيان الرابطة بين الحكومة والشعب.

في الحكومة المستبدة تكون الرابطة بينها و بين الشعب كرابطة الموالي مع السيد المالك. العبد لايملك أي اختيار لنفسه كالانسان الحر، ماكان بيده فهو لمولاه.

ونلاحظ ان مثل هذه الحكومة اذا هيأت وسائل العيش والصحة للناس، فانها لا تقدم هذه الخدمات لعزتهم، وانما تقدمها لتيسير منافعها الشخصية، ولتستطيع الحكومة أن تأخذ من الشعب كل طاقته. انها تربيهم كالأغنام من أجل الاستفادة منهم كاملاً، من حليبهم وصوفهم ولحمهم.

نجد العكس تماماً في الحكومة الاسلامية. فالرابطة عندها ليست كالتي بين الموالي وسيدهم.

في المجتمع الغربي يقولون بالديمقراطية، أي أن الحكومة منبثقة من الشعب وأنما تؤمّن كل حاجات الشعب، لأنها من الشعب والى الشعب. وعلى هذا الأساس أباحوا قانون التحلل الجنسي بدعوى أن الشعب يريد ذلك، وأن هذا القانون هو من ارادة الشعب.

ان رابطة الحكومة الاسلامية مع الشعب ليست كما في الحكومات الديمقراطية.

اننا نستطيع أن نستشف ملامح الحكومة الاسلامية من أقوال الامام علي(ع).

ذكر عليه السلام أن الارتباط في الحكم الاسلامي بين الحاكم والشعب كرابطة الأب مع عائلته. العائلة مجموعة صغيرة، وكل فرد فيها له مسؤولية ملقاة على عاتقه. مسؤولية الأب هي حماية ورعاية الاسرة، على أساس الحق والعاطفة. الابوان هما

اسطونان من أساطين المحبة، ومثال حي للوفاء. ولكن هل الابوان في هذه المجموعة الصغيرة هما فقط بركان من المحبة؟ هل يرضون بكل مايفعله أطفالهم؟ هل يسمحون لكل ولد بأن يعمل مايشاء؟ أم يراقبونه، واذا أخطأ فانهما يطبقون عليه الجزاء. هل يسمح الوالد لولده أن يأكل كل مايشتهي؟ نعم أن الطعام شيء مفيد له، ولكن زيادته تضره، فالأبوان لايسمحان له بها.

الحكومة الاسلامية هي كالوالدين. إنها تريد الخير لأبنائها من الشعب، واذا وجدت شخصاً يتعاطى المخدرات فانها تمنعه، حتى لايفسد المجتمع. انها تنصحه أولاً، واذا لم ينزجر فانها تنزل به العقوبة الاسلامية، وهي حد الجلد، واذا أعاد ذلك فحده القتل.

ينقل العلامة الكليني في الكافي ص ٤٠٧ عن الامام الباقر(ع) يقول: «**الامامة وادارة أمور المسلمين لا تليق بأحد، الا برجل يمتلك ثلاث خصال**». وقد ذكرناها في مستهل الحديث. وهي:

١ـ أن يكون متسلطاً على نفسه، وان تكون له قدرة في امتلاك نفسه

٢ـ ان يكون حليماً، وأن يتسلط على غضبه.

٣ـ ان يملك حسن الولاية على رعيته، أي أن تكون له قدرة على حكم مجتمعه بالطريقة الاسلامية. وأن يكون حليماً ورحيماً مثلما يكون الأب.

يقول الامام علي(ع) في هذا المعنى في كتابه لمالك الاشتر لما ولاه مصر: «**ثم تفقد من أمورهم مايتفقد الوالدان من ولدهما.**»

ينتج من هذا أن الرابطة الاسلامية بين الحكومة والشعب هي رابطة الأبوة كما بين الاب والأبناء.

والآن نتساءل ماهي العوامل التي تجعل الابناء في الاسرة يطيعون آباءهم؟ لأن تلك العوامل هي نفسها التي تجعل الشعب يطيع حكومته. هناك سبعة عوامل ذكرت في نهج البلاغة نذكر منها:

١ـ الولد في محيط الأسرة يجب أن يعي بأن أبويه ليسا عدوه وانما هما يعملان لمصلحته. وهذا من تكليف الله لهما، من أجل أن يكملا شخصية الولد و يقويّا روحيته.

وكذلك الأمر بالنسبة للحاكم المسلم، فعلى الشعب أن يحبه و يطيعه، لعلمه بأنه لم يأت الى الحكم رغبة في الحكم وانما ليخدم الشعب. وهذا مغاير للحكام الغربيين.

نشاهد هذا المعنى في أقوال اميرالمومنين(ع) يقول في الخطبة ١٢٩:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لِنَرُدَّ المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك».

فكأنه (ع) يقول: «اللهم إنك تعلم أني حين قاتلت في بدر وأحد، لم أفعل ذلك لأصل الى الحكم. انني لاأجاهد وأسعى لأصل الى المال والمنال، وانما أسعى من أجل أن أرجع الأحكام الالهية الى الصواب، وأنفذها في المجتمع الاسلامي، وأرجع الأحكام التي تعطلت.

عندما يدرك المجتمع الاسلامي أن الحاكم جاء لاحياء المعالم الدينية، كما يفعل الامام الخميني الذي بلغ ٨٤ عاماً، وأنه لم يأت رغبة في شيء من حطام الدنيا، فانه يسعى وراءه بثقة و يقين، و يطيعه إطاعة تامة.

٢- التقسيم الصحيح للمناصب في الحكم:

ان أكبر عامل يمكن أن يخرج المجتمع عن السير في النظام الصحيح، هو عدم تقسيم المناصب بالشكل الصحيح. ولكن في هذه الجمهورية نحاول أن نقسم المناصب بشكل صحيح. اننا لانفرق بين المسؤولين.

عندما نعامل في العائلة أحد الأولاد معاملة مختلفة عن غيره، فانه يحقد ويحاول أن يقوم بأعمال غير طبيعية. فيجب على الحكام معاملة الجميع بالتساوي، وإلا يحصل في صفوف الشعب تذمر وتمرد.

وكذلك يجب أن يكون الحاكم مناسباً لعمله. الكفاءة والأمانة هما الأساس، كما قال الامام(ع). ويجب خاصة استبعاد المرتشين وأهل الوساطات. يقول(ع):

«من استعمل عاملاً من المسلمين، وهو يعلم بأن هناك من هو أعلم منه بكتاب الله وسنته، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين».

نحمد الله أن حكامنا في جمهوريتنا منتخبون بحق، ومنهم المستضعفون الذين كانت لهم سابقة قدرة وممارسة للحق.

٣- ان الاندفاع نحو العمل لصفة هامة للمسؤول، كما كان الامام الحسين(ع). يقول(ع) في هذا المعنى في الخطبة ١٧٣:

«أيها الناس، إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم اليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها»

و يقول(ع) في الحكمة ٧٣:

«من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم.»

فيجب على الحاكم أن يطابق قوله عمله، فأن يكون أول من يطبعه مايدعو اليه.

٦ـ كلمة الاستاذ پرورش وزير التربية والتعليم
وهي بعنوان: الوجه الأعلى.

قال الامام(ع) عندما ضربه عبدالرحمن بن ملجم: «فزت ورب الكعبه» هذه الجملة تصور نتيجة عمله(ع)، لأن أعماله جميعها كانت من أجل الله. وهو في هذا القسم أشار الى المسار الصحيح للانسان.

لقد بدأ حياته(ع) من الكعبة حيث ولد بين أستارها، وحول هذه الحقيقة قال عبدالفتاح عبدالمقصود شعراً معناه: أن الكعبة قبلة المسلمين، والامام(ع) ولد في هذا المكان الشريف. (يقول المؤلف) وانطبقت الكعبة في قلب علي(ع) حتى صار كعبة للمسلمين، لانه كان بعد النبي(ص) لهم الإمام، دون غيره من الأنام.

ان مايقوله الانسان لحظة احتضاره يعبر عن شخصيته وحقيقة ذاته، فاذا واجه أحدهم الموت في حالة اصطدام، فصرخ ياأماه، فهو إنسان عاطفي، واذا قال في تلك اللحظة إن أموالي لأولادي، فهو انسان مادي، لان اهتمامه بالمادة.

ان كلمة الامام السابقة (فزت ورب الكعبة) تعبر عن منهاج حياته، وعصارة وجوده. انها تصور نتاج عمله في دنياه.

في القرآن نشاهد عبارة: اهل الفوز. والفوز يتخذ معنيين، وكلاهما شاهد على فوز الامام(ع).

المعنى الأول: العمل الحسن هو الفوز

المعنى الثاني: النتيجة الجيدة للعمل هي الفوز. في المعنى الأول، نجد قوله تعالى:

(ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه، فان أولئك هم الفائزون).

فقوله(ع): «فزت»، أي أن مجموع حياتي مرّ بتقوى الله وخشيته.

فزت: تعني أنني أطعت الله في كل دنياي. انه حصيلة ماعملته. و يقول سبحانه:

«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله، واولئك هم الفائزون (التوبة-٢٠).

فكل من ملك جوهرة الايمان وجاهد في سبيل الله، فقدفاز. ولقد كانت الهجرة والجهاد من جملة عمل الامام(ع).

و يقول تعالى:

«اني جزيتهم اليوم بماصبروا أنهم هم الفائزون» (المؤمنون - ١١١).

في هذه الآية معنى مختلف للفوز. فالفائزون فيها هم الذين استطاعوا أن يقفوا أمام عنت العدو وحاربوه، فهم في مأمن من الفوز.

و يقول جلّ من قائل:

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يُقتلون، وعداً عليه حقاً، في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة - ١١١).

فالذين لهم مثل هذه الصفات هم الفائزون. فالمؤمن هوالذي يبيع روحه ونفسه، والله هو الذي يشتري، ونتيجة هذه التجارة هي الجنة.

ان جملة هذه الصفات هي اطاعة الله ورسوله، وحفظ حدود الله. لذا يجب ان تكون حياتنا محض اطاعة لله وللرسول. عند ذلك نفوز.

في المعنى الثاني للفوز، نجد القرآن يقرر أن ثمرة العمل هو الفوز.

يقول سبحانه:

(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز)

و يقول:

(قل انّي أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم * من يصرف عنه يومئذ فقدرحمه، وذلك هو الفوزلمبين) (الانعام - ١٦).

فنتيجة عمل الانسان هي الفوز المبين.

وقد كان عمل علي(ع) هو الفوز، كما كانت نتيجة عمله هي فوز أيضا.

والآن لننظر ماهي العبرة من بحثنا.

اننا نستطيع ان نلفظ: الماء - التفاح. ولكن هذا لايشبعنا. اذا سمعنا أن مؤتمراً مؤلفاً من ١٢٢ عالماً وهم يبحثون عن الماء وجميع خصوصياته، وكيفية الحصول عليه. وظلوا سنتين يبحثون في ذلك، فهل يروي ذلك عطشناً؟!.

نحن نذكر فضائل الامام وعظمته، وكل واحد يذكر ذلك وفق معلوماته ومطالعاته، ولكن ذلك لايروينا شيئاً، اننا يجب أن نواصل طريقه ونتغذى بماتركه

لنا. اننا يجب أن نتنفس بروح ماتركه لنا(ع).

ان تلامذة علي(ع) كأبي ذر قد ساروا في هذا المطلب، ونحن يجب ان نسير في طريق الولاية، الذي هو طريق العمل والاقتداء.

ولقد وضح لنا الامام(ع) طريق الفوز في نهجه.

مثلاً يقول(ع) في الخطبة رقم ٥:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه»

إننا نستطيع ان نسير على طريق علي(ع) فنفوز بما فاز به.

نلاحظ ان الناس في الدنيا نوعان:

- الاول يتغذى من الحياة، وهي كما قال سبحانه: لعب ولهو وزينة. من كان غذاؤه من الدنيا فنتيجته الحرص والانحراف وضيق النظر والطمع والكبر والغرور. كل هذا هو نتيجة الرضاع من ثدي الدنيا.

- والنوع الثاني يتغذى من ثدي الموت، كما صوّر لنا الامام نفسه وهو تحت ثدي الموت يتغذى منه.

ماذا يوجد في لبن هذا الثدي ياترى؟ توجد فيه حلاوة يذكرها القرآن.

يقول تعالى: **(قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة)** (الجمعة- ٩). ان حلاوة هذا الثدي هو لقاء الله.

فاذا كنتم صادقين فتغذوا من ثدي الموت، فان أولياء الله يتغذون من هذا الغذاء.

اننا نريد أن نرضع من ضرع الحياة المادية، و يأخذنا الغرور. هذا الغرور تتمدد جذوره في أعماقنا وعروقنا. بينما الذي يتغذى من ثدي الموت فانه ينظر لما بعد الموت، وتهون عنده الحياة.

ان الذي يتغذى من ثدي الموت لايسمح لنفسه بأن يتكلم على أخيه المسلم. فهذا عجز، وأكثر اخطائنا نتيجة العجز.

يذكر العلاّمة الطباطبائي رحمه الله عن اسم الله الأعظم: اذا توجهتم الى عجزكم فانكم تعرفون عظمة الله. عندما تمرضون تتوجهون الى الله فتعرفون الله. تعرفون أن الله قادر. عندما نرى ضعفنا نقول: ياعظيم. هذا هو اسم الله الأعظم.

ان الذي يتغذى من ثدي الموت يعيش في هدوء وسكينة، أما الذين يتغذون من ضرع الحياة فانهم يعيشون في الخوف والقلق.

يقول الامام(ع): **«من ارتقب الموت، سارع في الخيرات»**.

و يقول(ع): «الموت معقود بنواصيكم».
اننا شيعة علي، وعلي يقول لنا:
«ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد».

يوم الأحد:

ذهبنا اليوم الى نياوران لزيارة بعض قصور الشاه البائد، وهناك زرنا:

١- قصر أم الشاه، والملاحظ فيه انها خصصت غرفة لوسائل اللعب بالشطرنج والقمار، مع أنها كانت تظهر التدين، وتظهر امام الناس وهي تحمل المسبحة. وفي هذا القصر الكثير من الهدايا الثمينة.

ورأيت في إحدى الغرف لوحة كتبت عليها كلمة للامام الخميني هذا نصها:

(طرز زندگی اینها «خانوادهٔ پهلوی» مثل حیوانات است).

أي، ان الطراز الذي كان يعيشه الشاه وأُسرته هو طراز الحيوانات.

وكما قال الامام(ع): «همُّها علفها»

وعندما خرجت من هذا القصر قلت: كل هذا القصر وما فيه من مقصورات من أجل امرأة واحدة، هي أم الشاه. ولم يسعها في النهاية غير القبر، الذي وصفه الامام(ع) حيث قال:

«وانما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض، قيد قدّه، متعفراً على خده».

٢- القصر الأخضر: وكان هذا القصر لوالد الشاه، ثم أصبح له، وقد بني عام ١٣٠٦هـ. و يسمى الآن المعرض الأخضر.

رأينا في هذا القصر غرفة الاستقبال وغرفة المكتب وصالون الاستقبال وهو من المرايا، وغرفة الطعام في القبو وقد اشتريت موجوداتها من امريكا. وعلى الطاولة الخشب وضعت لوحة عليها كلمة للامام الخميني يقول فيها:

(الان، تمام گرفتاری ما از امریکا است).

أي الآن كل مشاكلنا من امريكا.

وعندما خرجنا من القصر رأينا شعار ايران (الله) منسوج من الزهور على احدى

٣- قصر ابنة الشاه شاهناز، وقد جعلت منظمة المحافظة على البيئة هذا القصر متحفاً للحيوانات المصبّرة. بعد أن يصطادوا الحيوان يضعونه في قالب للتحنيط، ثم

يخلعون عنه جلده، و يصنعون له قالباً ويحشونه بالقطن. وتظل القرون فيه أصلية، أما العيون فاصطناعية.

الحيوانات الموجودة في هذا المتحف مختصة بآسيا وافريقيا والهند. ورأينا في الطابق الثالث عظمة مدفونة في الصخور لرجل قيل منذ سبعة ملايين سنة.

ولما غادرنا منطقة القصور قال أحد المرافقين:

رفعت للشاه علامات، فلما علا، مات.

المؤتمر في يومه الخامس:

تضمن برنامج اليوم الفقرات التالية:

١- القرآن الكريم

٢- نشيد، وقد أنشده رجال الشرطة وهم يرتدون اللباس الكحلي.

٣- كلمة حجة الاسلام قراءتي، وهي بعنوان:

(التقوى في نهج البلاغة)

أتحدث عن شخص لاأعرفه، وليس عندي شيء منه، أتحدث عن التقوى وعلي(ع).

أنا لاأملك بضاعة التقوى، ومع ذلك أريد أن أتحدث عن التقوى!.

ولن أجد أصدق تعبيراً عن التقوى مما ذكره الامام في نهجه عن التقوى، وقد اقتطعت من كلامه(ع) مقطعاً.

كان للامام(ع) صاحب يدعى همّام، وكان عابداً. فسأله: من هم المتقون؟ فتجنب الامام(ع) عن الجواب. ولكن همام ألح عليه بتعداد صفات المتقين. فأجابه الامام الى طلبه.

لننظر في هذه الصفات لنرى مانحن من التقوى!.

قال الامام(ع):

(هم أهل الفضائل): الفضيلة في الاسلام تقوم على التقوى والصلاح فقط. لذلك نقول في الصلاة: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

(منطقهم الصواب): يؤكد في هذا على أهمية الصدق والصواب في الكلام.

(وملبسهم الاقتصاد): يلبسون اللين تارة والخشن أخرى.

وهي صفة النبي(ص)، وقدقال: ألبس مالا تشتهر. وكان(ص): يركب البراق تارة والحمار تارة أخرى.

(ومشيهم التواضع): مشي المسلم يكون بتواضع، والله سبحانه يقول: ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الارض مرحاً، و يقول؛ الذين يمشون على الارض هوناً، لماذا يصعر الانسان خده للناس، ويمشي على الارض بخيلاء؟

(غضوا أبصارهم عماحرّم الله عليهم) نظرهم مرتبط بما أمر الله به.

يقول النبي(ص): كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين غضّت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله» لهذا خلقت عين المسلم.

(وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم). يقول سبحانه: الذين هم عن اللغو معرضون. وقال(ع): «الفكرفي غير الحكمة هوس». القرآن يذكر الذين يتعلمون مالاينفعهم، ومنهم من يتعلم مايضرهم ولاينفعهم. المتقون ينتخبون العلم الذي ينفع.

الامام الكاظم(ع) يقول:

وجدت علم الناس في اربع: أن تعرف ربك- أن تعرف ماصنع بك...

وقال الامام الرضا(ع): اذا لم يعرف الانسان علم التشريح، فان توحيده لله قليل. لأن الانسان عندما يطلع على العلوم الانسانية الصحيحة فان ايمانه بالتوحيد يزداد.

من العلم النافع أن تعلم مايخرجك من دينك.

ماهي عوامل الانحراف؟.

سمعتم البارحة في التلفزيون، المقابلة التي أجريت مع قطبين من أقطاب الشيوعية في ايران، وكيف أنهما انحرفا لأنهما لم يتعلما العلم الصحيح المفيد.

العلم المفيد يقوم على أساس معرفة الله، ومعرفة الهدف الذي أراده منا، ومعرفة مايخرجنا عن ديننا.

هذه هي الأسس التي ينبغي أن يتركز عليها العلم.

نرجع لنتساءل: من هم المتقون، وماهي علاماتهم.

(عظم الخالق في أنفسهم، فصغر مادونه في أعينهم).

لعلك ركبت طائرة، عند ذلك ترى أنك كلما ترتفع نحو السماء، فانك ترى كل شيء يتصاغر.

من هذا المنطلق قال الامام التقي الخميني: امريكا لا تستطيع ان تفعل شيئاً، طالما أن الله قدعظم في عينه، فصغر كل مادونه في نفسه. ان كلمة الخميني هذه، ليست جملة سياسية بل عرفانية، لقدتضاءلت امام عينه كل طواغيت الأرض.

ان الله كبير في أعين المتقين، ولذلك لاقيمة لمادون الله في أعينهم. كل الأشياء تتصاغر في عين المتقي، و يصبح همه الوحيد هو الله، والسير على خط الله.

(قلوبهم محزونة): المؤمن يتحمل آلامة الرسالية، وهموم دنياه ومابعد موته. يتحمل هموم رسالته والسير إلى الله... خاب الجاهلون وخاب المتعرفون على غيرك . خسر الذين يسيرون نحو غير أهداف الله. سرعان ماتزول هذه و يظهر أنها سراب بقيعة يحسبه الضمآن ماء.

الهدف هو الله، وإلا فنحن خاسرون، لأننا عند ذلك لن نجد شيئاً من أعمالنا، بل نجد الله الذي سيحاسبنا.

ان الله سريع الرضا، يتقبل من يسير نحوه، ويحتضنه و يؤويه. والانسان عندما ينحرف عن الله فانه يتجه نحو آلهة متعددة. ولايحقق رضا الله.

(وشرورهم مأمونة) إن المسلم لايفعل شراً. يسلم الناس من لسانه و يده. اللسان قليل الجرم، ولكنه كثير الجُرم. يجب أن يؤطر باطار الاسلام، والله يقول: (ويل لكل همزة لُمزة).

يقول النبي(ص): لواستغفرت لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله لهم، لأنهم همّازون غمّازون طعّانون.

(وأجسادهم نحيفة): يصومون، ولايأكلون إلا القليل.

(وحاجاتهم خفيفة): ليست لهم حاجات وآمال طويلة. احتياجاتهم المادية قليلة.

(صبروا أياماً قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة): المؤمن يصبر على المضض في الدنيا، ليحصل على سعادة أبدية. لالذة بعدها النار. انهم لا تغريهم اللذات الآنية. الدنيا تتجاذبهم ولكنهم متعالون عن الانجذاب. فرص كثيرة تعرض عليهم لينغمسوا بالدنيا ولكنهم يأنفون ذلك . في المثل يقال: الدنيا مثل الظل، ان تركتها خلفك تبعتك ، وان مشيت وراءها سبقتك .

ثم يقول(ع): (أما الليل فصافّون أقدامهم...)

الى أن يقول: (مفترشون لجباههم وأكفّهم وركبهم، وأطراف أقدامهم).

يقول تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع.

(مفترشون لجباههم): هذه صفة المتقين في أسحار الليل. يمرغون جباههم بالتراب، وهي أسمى جزء في الانسان. تواضع لله ليتعالى عما دون الله.

يقول النبي(ص): «**اذا أردت أن يحشرك الله معي، فأطل السجود لله**».

المتقون هم الذين يحبون إطالة السجود.

(لايرضون من أعمالهم القليل، ولايستكثرون الكثير) لايتظاهرون بفعل الكبير.

قال الامام الخميني: ان الولد الذي فجّر الدبابة في خرمشهر لم يرض لنفسه بالقليل، ومع ذلك لم ير عمله كبيراً مهما كان كبيراً.

(فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعمالهم مشفقون).

العلاّمة البروجردي رحمه الله بكى وهو يشرف على الموت! قيل له: لمَ تبكي؟ قال: آه من قلة الزاد، وطول السفر، وبُعد الطريق. هذا الرجل الذي عمل الكثير لم يستكثر عمله أمام مايجب أن يُعمل.

(إذا زُكي أحد منهم خاف مما يقال له): المتقي يخاف من الذي يمدحه.

إنه لايلتذ بمن يمدحه، خلافاً لأولئك الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. نعم ثمة أفراد يحبون أن يتحلوا بالألقاب، وهناك الفئة المتقية، التي تستحق الألقاب ولكنها تأنف منها.

و يتابع الامام عليه السلام تعداده لصفات المتقين وهو يخاطب همام فيقول:

(لهم قوة في دين): لا تؤثر فيهم الوساوس.

(وحرصاً في علم): لايعتبرون أنفسهم يوماً متخرجين من العلم، والرسول(ص) يقول: **وقل رب زدني علماً**.

(وقصداً في غنى): المتقي ليس يحرص على طلب المال. وحينما يكون غنياً لايبذر بل هو معتدل في كل أمور حياته.

(وتجملاً في فاقة): الانسان المتقي يحسبه الجاهل غنياً من التعفف. المتقون لايظهرون فقرهم للناس. هم أكبر من أن يتأثروا بمثل هذه المظاهر.

كان النبي(ص) في احدى غزواته، اقتربت الشمس من المغيب، أرادوا أن يأكلوا، فاحضروا عشرة قدور. فقال(ص): **هذا إسراف. أحضروا قدراً واحداً طعاماً والباقي ماء. وأوقدوا النار تحت القدور العشرة حتى يظن العدو السعة فينا**.

يقول تعالى: **لايسألون الناس إلحافاً**. أي لايصرون على أخذ المال من الناس عن طريق القرض وغيره. التقي تكون القناعة غايته، وهو لايتأثر ولا تتحطم نفسيته أمام

مسائل الحياة الاقتصادية.

(وصبراً في شدة): حين تعتوره الهزائم يقف صامداً.

الناس أمام الشدائد ثلاث مجموعات:

١- الذين يجزعون: واذا مسه الشر كان جزوعاً.

٢- الصابرون: **وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون.**

٣- الذين يندفعون نحو المصاعب والمشاكل: جاء بعضهم الى النبي(ص) وقالوا: نريد أن نذهب الى الجبهة. فقال لهم: أنا ليس عندي سيف ولاحصان.

(وطلبا في حلال): المتقي يطلب الحلال حثيثاً.

كل الناس حلالهم مقدّر. ليست الشطارة أن يحصل المرء على المال من أي طريق، وانما الشطارة أن يحصل عليه من طرق الحلال كل الناس أرزاقهم مقدرة، ومن يستعجل الحرام يحرمه الله من الحلال. اذ ليس المهم الحصول على المال، انما المهم الحصول عليه من طريق الحلال.

(ونشاطاً في هدى): ينشطون لهداية الناس، خلافاً للذين لايأتون الصلاة إلا وهم كسالى. بعض الناس يتقاعسون في الصلاة. يصلى أحدهم فقط ليخلص من همّ الصلاة وتعبها. المؤمن في المسجد كالسمكة في البحر، والمنافق في المسجد كالطير في القفص.

قال(ص): **أفضل الناس من عشق العبادة. يجب أن يكون الاتجاه الى العبادة بالعشق.**

الحسين(ع) قال: اني أحب الصلاة. طلب من الجيش الذي يحاربه أن ينظروه ليستطيع القيام بالصلاة. ان المؤمن لايقوم بالصلاة لانها واجبة فقط، بل لأنه يحبها و يعشقها.

(وتحرجاً من طمع): الطمع أساس الانسياق وراء الكبائر والذلة، من أجل الحصول على حطام قليل من الدنيا. الطامع يحقد اذا لم يحصل على مايريد، فالطمع أساس الرذائل. لذلك قال الامام(ع): **حب الدنيا رأس كل خطيئة.**

(يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل): انه دقيق ومحتاط في عمله، ولايأخذه الغرور في ذلك.

رجل قام نصف الليل وصلى صلاة طويلة بلغت مناجاته ساعتين. أصابه الغرور. **فقال له** سبحانه: هذه الضفدعة التي تنق قرب دارك أفضل منك، لأنها تفعل ذلك **لله وأنت لا تفعل ذلك لله.**

(يعمل الاعمال الصالحة): الامام الحسن(ع) حين كان يقول لبيك اللهم لبيك، كان يغمى عليه. ان كلمة لبيك كلمة كبيرة عظيمة. وعلي(ع) كان يخاف عندما يقول لبيك، يخاف أن لايردّ اللهُ عليه.

(يمسي وهمّه الشكر، ويصبح وهمّه الذكر): ليس الذكر أن يقول الانسان: سبحان الله والحمد لله. أفضل الذكر أن يذكر الانسان ربه عندما يريد أن يعصيه. زليخا قالت: هيت لك، ولكن يوسف قال: معاذ الله.

(يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل): يقول سبحانه: كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون.

(تراه قريباً أمله): قيل لفتاة تزوجي. قالت: اني أريد أن أتزوج ملياردير اً قريباً من الموت حتى أحصل على ثروة بسرعة. هذا هو طول الامل.

رحم الله أحد مراجع التقليد، اذ قال له شخص: يا آية الله، اذا أخبرك أحدهم أنك ستموت بعد أسبوع، فماذا تفعل؟ قال: أفعل نفس ما كنت أفعل، لأنني كنت أعمل دائماً وكأن الموت في الغد.

ان كنا نخاف الموت فهو من قلة تقوانا، ومن قلة استعدادنا للقاء الله. الصلاة تعودنا أن نستعد للقاء الله.

(قليلاً زله): لايزل المتقي لأنه حذر. ولايلدغ المؤمن من جحر مرتين، لأن التجارب أمامه ترشده.

(خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه).

(الخير منه مأمول، والشر منه مأمون): المؤمن معطاء دائماً، و ينضح منه الخير دائماً، لأنه بعيد عن الشر. والناس يعرفونه ولايأملون منه إلا الخير.

(يعفو عمن ظلمه، و يعطي من حرمه): لاينتقم.

لقد رأيت شخصاً في مكة وضع يده على حجر الكعبة وقال: إلهي أُعفُ عمن ظلمني. إلهي اعف عمن أساء إلي. هذا دعاء المتقي المترفع عن البغضاء والضغينة.

هناك روايات كثيرة تقول: ليس من شيعتنا، وليس منا، من يفعل كذا وكذا، وهي نحو ١٨ حديثاً.

ذكرت تلك الاحاديث في اصفهان في ٢١ رمضان، وكتبتها على سبورة. وذكرت هذا الحديث.

دخل النبي(ص) مسجداً فقال لبعض اصحابه: قم يافلان واخرج. انت قم واخرج، وهكذا، حتى أخرج تسعة اشخاص. ثم صلى. قيل له: لم فعلت ذلك يارسول الله. قال: هؤلاء يصلون

ولايزكون. ثم قلت لهؤلاء الناس: اذا جاء رسول الله ودخل مسجدنا، فلمن يقول قم، سيقول قم للكثير.

وفي اليوم التالي جاءني رجل وقال لي: لوجاء رسول الله لأخرجك أنت أيضاً من المسجد.

(ويصل من قطعه): القرآن يقول: (فاعفوا واصفحوا، ألاتحبون أن يغفر الله لكم) فلماذا لايعفو بعضكم عن بعض. كل الناس يوم القيامة في مأساة إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

٤ ــ ندوة حول (الحرب والصلح في نهج البلاغة)

اشترك فيها السيدان:

الاستاذ الشيخ محمد مهدي الآصفي

الاستاذ السيد محمد باقر الحكيم

٥ ـ كلمة الاستاذ الشيخ محمد مهدى الآصفي، بعنوان:

ماهي الحرب، وماهي القيم التي تتأثر بها في نهج البلاغة.

ثمة تصوران للحرب في الاسلام:

١ـ التصور الذي كان سائداً عند انحطاط المسلمين.

٢ـ التصور الحقيقي الموجود في الاسلام والقرآن ونهج البلاغة.

في فترة الانحطاط ساد تصور عن الحرب، وذلك عندما ضعف المسلمون أمام القوى الكبرى وتجاه وهج الحضارة الغربية. كانت الفكرة السائدة أن الحرب هي الدفاع ضد اعتداء الأجنبي فقط، وليس هناك فكرة حرب وجهاد لنشر الاسلام. ولكن وجهة نظر الاسلام عن الحرب تختلف كثيراً عن ذلك. الاسلام يحطم كل سد يقف أمام مسيرة الانسان نحو الله. أي شخص وأية مجموعة تقف أمام حركة المسير نحو الله فان الاسلام يحطمها، وكل عقبة تقف في سبيل ذلك فان الاسلام يحطمها و يقاومها. ان الاسلام لاينتظر هؤلاء حتى يعتدوا، لأن وجودهم يشكل العدوان على الاسلام. من هنا ينهض الاسلام لمحاربة هؤلاء.

وحتى لو أعطينا صفة الدفاع عن النفس للحرب، فان هؤلاء يشكلون

العدوان، ويجب حربهم للدفاع عن النفس.

ان الجهاد في نهج البلاغة هو ضد كل من يقف ضد الله. لذلك قال الامام(ع): اننا قررنا السير الى هؤلاء في الشام جيش معاوية. لقد عملوا بغير ماأراد الله، واستأثروا بالفيء، واستأثروا بالحدود.

هؤلاء يعطلون الحدود، و يقفون أمام مسير الانسان نحو الله، والامة المسلمة مسؤولة عن إزالة العقبات.

نعم، لايمكن أن يجتمع هؤلاء المبطلون مع الحق، لذا فلابد من إزالتهم لتتم كلمة الحق.

في موضوع آخر يقول الامام(ع): **فاتقوا الله وقاتلوا من حادّ الله وحاول أن يطفىء نور الله.**

اذن فالتقوى تتجلى في الوقوف ضد من وقف في طريق الله. هؤلاء الذين يقفون أمام النور الالهي يجب أن يقاتلوا، حتى ينتشر الحق والعدل، و يصل كلام الله الى قلوب ناشدي الله.

انه وجود هؤلاء يمثل العدوان، لأنهم يعطلون الحدود، ويحولون دون وصول نور الله الى القلوب والأعماق.

هؤلاء يجب اطفاء جذوتهم واسكات أنفاسهم، فطالما هم يتنفسون، فانهم يحاولون اطفاء نور الله.

من زاوية أخرى، اذا تأملنا في أحاديث نهج البلاغة عن الجهاد، لانجد أنها تعني صد الاعتداء على حدود المسلمين، وانما الجهاد منصب على الفاسدين والضالين.

الامام(ع) يؤكد أنهم ليسوا أهلاً لتولي شؤون المسلمين والحكم عليهم.

ولو تولوا عليكم لعملوا بكم بما عمل فرعون والجبابرة وكسرى وقيصر. فيجب أن يحاربوا حتى لايفتح لهم المجال أن يعثوا في الارض فساداً.

هؤلاء يقفون أمام انتشار نور الله. هؤلاء مثل النباتات الطفيلية التي تعيق نمو النباتات المفيدة، ولابد من اقتلاع النباتات الطفيلية حتى تنبت النباتات الحقيقية وتؤتي أكلها.

يقول (ع): **«ولعمري لوكنا نأتي ماأتيتم (أي لوتهاونا في الحرب مثلما تهاونتم) ماقام للدين عمود، ولااخضر للايمان عود».**

الطواغيت مثل ابي لهب وابي سفيان وغيرهما، ماكانوا يريدون أن ينتشر الاسلام، ولاأن تنمو نبتة الاسلام.

هذا الموضوع واضح في النهج، يقول (ع): «ولقد ضربت أنف هذا الامر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر لي فيه إلا القتال، أو الكفر بما جاء به محمد (ص)».

فليس هناك غير طريقين: اما الحرب أو أن يسيطر الفساد والانحراف على المجتمع الاسلامي.

الموعظة وحدها لايمكن أن تقف أمام السلبيات. بعض الناس يستشري في نفوسهم الفساد بحيث لايفيد فيهم الوعظ. هؤلاء يجب مقارعتهم بقوة السيف والسلاح.

يقول النبي (ص) عن الجهاد وانكار المنكر مامعناه: من رأى باطلاً يعمل به، ومنكراً يدعى له، فانكره بقلبه فقد أجر، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الظالمين هي السفلى، فهو أفضل الجهاد.

اذن فغاية الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا.

ان أمن المجتمع واستقراره من أهم مرافق الحياة، فيجب تأمينه مهما كلف ذلك.

يقول الامام (ع) في الخطبة ١٧٣:

«ان أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه. فان شغب شاغب استعتب، فان أبى قوتل».

و يقول (ع): اني أقاتل رجلين: رجلاً ادّعى ماليس له، وآخر منع الذي عليه. فالذي لايحترم الحقوق المفروضة يجب قتاله، لأن اطاعة ولي الأمر هي أول الواجبات.

ان هؤلاء المنحرفين لايفهمون إلا بمنطق القوة، ولابد آن يواجهوا بلغة القوة.

يقول (ع): «من سلّ سيف البغي قُتل به». لأن منطق هذا الانسان هو القوة، ويجب أن يقتل بنفس المنطق.

و يقول (ع): «البغي لايردع إلا بالبغي» فلابد من منطق القوة لردع البغي، انه لايُردع بالموعظة.

ماأحوجنا الى قانون دفع القوة بالقوة، والشر بالشر. والامام (ع) يقول:

«ردوا الحجر من حيث جاء، فان الشر لايدفعه إلا الشر».

٦ - كلمة الاستاذ السيد محمد باقر الحكيم، بعنوان:

ماهو معيار الحرب من وجهة نظر الامام علي (ع)؟

بدأ صدام يرفع عقيرته مطالباً بالسلام، وجمع اجتماعاً اسلامياً حضره السلاطين

ودعا فيه إلى السلام. وهو ادعاء باطل. وقرر ارسال لجنة للصلح. وقبل تحرك اللجنة ضرب صواريخه على مدينة (پول دختر).

ماهو معيار الحرب والسلام من وجهة نظر الامام علي(ع):

من ناحية الحرب المفروضة هناك نقطتان في سبب شنّ هذه الحرب:

١- الجمهورية الاسلامية التي تمثل السلطة الشرعية بقيادة الامام الخميني في ايران، وهي تمثل السلطة الاسلامية في العالم الاسلامي. لذلك فان الدول الكافرة اهتمت أن تزيل هذه الجمهورية بأية وسيلة. لأنهم يخافون ان ينتشر الاسلام في كل دولة، فيصبح قوة كبيرة تستمد قوتها من الله تعالى.

وقد استخدمت قوى الشر والاستكبار العالمي، صداماً لشن العدوان على الجمهورية.

٢- ثورة الشعب العراقي المسلم، وتفجير هذه الثورة بقيادة المرحوم السيد محمد باقر الصدر. وقد تحرك مع الشهيد الصدر جماهير الشعب المسلم في العراق.

في مثل هذا اليوم ١٧ شعبان كانت ثورة الشعب العراقي إثر اعتقال السيد الصدر، الذي أودى بحياته.

ان قوى الشر تدرك أن مسير الثورتين في اتجاه واحد، هو خسران كبير لقوى الشر في المنطقة. لذلك شنوا هذه الحرب المجرمة.

نريد ان نستفيد من نهج البلاغة من خلال هذه الحرب.

يجب أن نتذكر أن ماجاء في النهج شأن ماجاء في القرآن، هو قوانين ثابتة للمسلمين. وقيمة هذه المبادىء أنها كانت متقارنة مع التجربة التي خاضها الامام(ع).

هناك عدة نقاط:

١- لقد تجسد مفهوما الحرب اللذان تكلم عنهما الشيخ الآصفي، واجتمعا في حرب صدام. وان الامام(ع) يذكر أن قتل شخص واحد من المسلمين كاف لقتال كل حزبه ومن سكت عنه.

يقول(ع) عن أصحاب الجمل: فوالله لولم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بلاجرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله، اذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولابيد. دع ما أنهم قدقتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم.

(الخطبة رقم ١٧٠)

ووفق هذا المبدأ بدأت الجمهورية الاسلامية بحرب صدام، بعد أن قتل ماقتل من المسلمين حين بدأ الحرب.

٢- ماهي الاسباب الداعية لاستمرار الحرب؟:

من أهمها استمرار السبب في استمرار القتال. ولقدرفض الامام(ع) إيقاف الحرب مع معاوية في صفين، ورفض التحكيم، لأن الحرب يجب أن تستمر طالما أن السبب مازال موجوداً. ان كثرة عدد القتلى ليس مبرراً لايقاف الحرب. ان الامام(ع) يعتب على أصحابه حين طلبوا منه ايقاف القتال، وقال: لقدأصبحت أنا المأمور وأنتم الآمر.

يقول (ع) في الخطبة ٢٠٨: «أيها الناس، انه لم يزل أمري معكم على ماأحب، حتى نهكتكم الحرب. وقدوالله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك.

لقد كنت أمس اميراً، فأصحبت اليوم مأموراً. وكنت أمس ناهياً، فاصبحت اليوم منهياً. وقدأحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ماتكرهون».

فهو(ع) لم تكن في يده قوة أن يحملهم على مايكرهون. ان مسألة الاستمرار في الحرب ترتبط بمسألة احقاق الحق ورد العدوان، وليست مرتبطة بالعدد.

يقول (ع) من خطبة له في صفين، رقم ٥٦: «ولقد كنامع رسول الله(ص)نقتل آباءناوأبناءنا واخواننا وأعمامنا، مايزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللَّقَم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلمارأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام، ملقياً جرانه، ومتبوئاً أوطانه. ولعمري لوكنا نأتي ماأتيتم، ماقام للدين عمود، ولااخضر للايمان عود».

ان القوى المستكبرة تحاول إيقاف الحرب، ولكن ذلك ليس مبرراً لايقاف الحرب.

يقول الامام(ع) في الخطبة ٥٤ في ذكر البيعة:

«فتداكوا عليّ تداك الابل الهيم يوم ورودها، وقدأرسلها راعيها، وخُلعت مثانيها. حتى ظننت أنهم قاتلي، أوبعضهم قاتل بعض لدي. وقدقلّبت هذا الأمر بطنه وظهره، حتى منعني النوم، فماوجدتني يسعني إلا قتالهم أوالجحود بماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة».

٧ ـ محاضرة للاستاذ الشيخ محمدتقي فلسفي، وهو شيخ طاعن في السن مليء بالعلم، وهي بعنوان:

(كلمة حق يراد بها باطل)

اسباب الفتن: يقول الامام(ع) عن الفتن المقبلة، الخطبة ٥٠:

«إنما بدء وقوع الفتن، أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، ويتولى عليها رجالٌ رجالاً، على غير دين الله. فلوأن الباطل خلص من مزاج الحق لم يَخْفَ على المرتادين. ولوأن الحق خلص من لَبْس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين. ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان! فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه، وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

هدفنا من هذه الكلمة أن ندرس كيف واجه علي(ع) تلك المشاكل.

هناك معنيان للحق:

١ـ الحق بمعنى العدل في مقابل الظلم المجابه للحق.

٢ـ الحق في مقابل الباطل.

لإحقاق الحق بالمعنى الأول لاقى الامام(ع) صعوبات كثيرة، ولاسيما من أصحاب المكتسبات الباطلة.

يقول الامام(ع) عن الحق:

«الحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف.»

انظروا كم مؤسسة في العالم الآن تنادي بالحق والعدل، وتتظاهر باحقاق العدل. «العدل أوسع الاشياء في التواصف». ولكن ليس المهم هو المناداة بالحق، فهؤلاء الذين نادوا بالحق نراهم يقتلون الناس في ايران وفي كابل وفي كل مكان. انهم لم يقفوا ضد صدام الذي يقتل الآلاف من السكان المؤمنين. «وأضيقها في التناصف».

لم يهتم الامام(ع) من مواجهة الفاسقين، في الجمل وفي غيرها. ان طلحة والزبير كما ورد في النهج كانا يتوقعان من علي(ع) أن يشركهما في أمور الدولة وفي استشارتها.

من كلام للامام(ع) كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما (الخطبة ٢٠٣):

«لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً. ألا تخبراني، أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قَسْم

استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليَّ أحد من المسلمين ضعفت عنه، أم جهلته، أم أخطأت بابه؟»

انه يقول لهما: ان من المسائل المسلّمة أنني لاأحتاج الى المشاورة في الامور الاسلامية الواضحة لي.

انه(ع) ماكان يريد محاربة هذين الرجلين، اللذين كانت لهما سابقة في الاسلام، وكان متأثراً من وجود مثل تلك الظروف التي قادته الى الحرب. ولكن المعيار هو القانون.

يقول(ع) في الخطبة ١٠: «**ألاوان الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورَجِلَهُ، وانه معي لبصيرتي، مالبّست على نفسي، ولالُبّس عليَّ**».

ان برنامجي مستحكم، لم أخدع فيه نفسي.

اني أعرف أن طلحة والزبير صحابيان، ولكنهما لجّا عليّ، وحقوق المسلمين أهم منهما.

هناك أناس كانوا ناقمين من الأوضاع التي حدثت في عصر علي(ع).

قال أحد اصحاب الامام(ع) وهو الحارث بن حوت لعلي(ع): (الحكمة ٢٦٢):

أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة! فأجابه(ع): «**ياحارث، انك نظرت تحتك، ولم تنظر فوقك، فحرت! انك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه.**»

إنك لم تنظر الى فوقك، الى الرسالة الالهية، ولم تعرف الحق حتى تميز أهل الحق من أهل الباطل. وفي نفس المعنى قال(ع) للحارث الهمذاني: **ياحارث، الحق لايعرف بالرجال.**

كان معيار الحق عندنا في عهد الشاه هو الرجال، ولانعرف الرجال بالحق. والصحيح أنك اذا عرفت الحق تعرف أهل الحق.

هذا هو النوع الأول من الحق وهو بمعنى العدل واحقاق الحق.

اما النوع الثاني وهو الحق المقابل للباطل. فنراه جلياً في أعمال الخوارج التي كانت في ظاهرها مع الحق وفي حقيقتها ضد الحق. ولذلك لما رفع الخوارج شعار (لاحكم إلا لله) قال الامام(ع): **كلمة حق يراد بها الباطل.**

جاء أحدهم الى الامام(ع) بعد حرب النهروان وقال له ان بعض الخوارج مجتمعون قرب الكوفة و يرفعون شعار (**لاحكم إلا لله، ولوكره المشركون**). وكان الامام(ع)

قددحر الخوارج في موقعة النهروان حتى لم يفلت منهم عشرة.

قال(ع) لابن عباس: اذهب الى الحرورية وانظر ما الخبر؟

جاء ابن عباس الى الكوفة فوجد جماعة من المتزمتين الذين لايفهمون سوى العصبية والعربنة. نظر اليهم متعجباً منهم.

ولما عاد الى الامام(ع) قال له: مارأيت؟ قال: رأيت غوغاء.

سأله (ع): هل هؤلاء من المنافقين؟ قال: لا، لقدتصلبت جباههم من اثر السجود ومن كثرة العبادة.

فقال(ع) لابن عباس: اذا لم يرق هؤلاء دماً ولايقتلون أحداً فدعوهم وشأنهم. تلك كانت سياسة علي(ع) بالنسبة للخوارج، وهيَ التي سار عليها إمام الامة بالنسبة للمنحرفين.

الخوارج هم مجموعة من المسلمين لهم أفكار خاصة، كان يدخلون الى مسجد علي(ع) و يطلقون شعارات، منها: لاحكم إلا لله، ولوكره المشركون، و يشيرون إلى علي(ع).

واستمر أحد الخوارج في رفع شعاره، فرفع علي رأسه فقال: أعد قولك. فقال: لاحكم إلا لله، ولوكره علي. فقال الامام(ع): قولوا مرادكم بصراحة.

قالوا: نحن أخطأنا حين واجهنا مسألة التحكيم، و بذلك فان معاو ية وعلي قد أشركا. ونحن لابد لنا أن نتوب الى الله ونتضرع اليه كي يغفر ذنوبنا. و بعد التوبة نتجه الى حرب معاو ية.

قال(ع): لماذا لم تطلقوا هذه الشعارات عند التحكيم، وإنما الآن تطلقونها. قالوا: كنا متعبين ومجروحين، والآن التأمت جراحنا.

قال(ع): لايمكنني أن أنقض عهداً أبرمته مع معاو ية. عندها قال(ع) عن الخوارج: كلمة حق يراد بها باطل.

يوضح الامام(ع) في هذه الجملة، ضلال الخوارج، فشعارهم فيه حق ولكن هدفه الباطل. فصحيح: انه لاحكم إلا لله، أي لاإمرة إلا لله، فلابدّ من وجود الامام الحاكم. ولكن الخوارج أرادوا بهذه المقولة حكومية الله، لينقضوا حكمي.

الباطل في هذا الشعار، هوأنه لافرق بين الحكم والحاكم. لاحكم الا لله. إنَّ قولهم: لاحكم إلا لله، هوحق، ولكن المراد به هو الباطل، وهوسلب حاكمية الله.

ان هذه الكلمة (كلمة حق يراد بها باطل) بذر بذرها معاو ية، حين رفع القرآن

على الرماح، وقال لجيش علي(ع): تعالوا لنحكّم القرآن بيننا.

كذلك ان صدام اليوم يفعل كما فعل معاوية، يطلق كلمة الباطل بدعوته الى السلم. يريد إيقاف الحرب ليقوي نفسه وليس همه السلم.

الحرب الدائرة اليوم مع جميع قوى الاستكبار العالمي عن طريق صدام، هي حرب بين الكفر والاسلام، حرب بين اتباع الله واتباع الشيطان، حرب بين الفضيلة والرذيلة، حرب الشرف والعزة مقابل السفه والذلة.

ان الشعب الايراني يقف اليوم أمام طريقين:

إما أن يصبر على الضائقة الاقتصادية و يقدّم الشهداء، و يرى بعينه الأطفال والشيوخ يموتون تحت الأنقاض، ولكنه واقف على قدميه.

أو أن يقف موقف التواطؤ والاستسلام، وهو طريق موت العزة والعلوية ودين الله.

في مهرجان امير المؤمنين هذا أقول هذه الجملة المرتبطة بحاضر ايران، وأريد من الايرانيين أن يفكروا بها بينهم و بين الله، وهي قول الامام(ع):

«ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكن العاقل من يعرف خير الشرين»

القطة والكلب يميزان بين الخير والشر، ولكن العاقل هو الذي أذا وقف أمام شرين لابدّ منهما، يستطيع أن ينتخب أهون الشرين، بعد أن يعرفهما ويميز بينهما. ان العاقل من يستطيع أن يبتعد عن أسوأ الشرين.

أمامنا اليوم شران: شر أول هو الضيق في الحياة الاقتصادية وتقديم الشهداء ومقتل الاطفال والشيوخ، وهو شر قاس.

وشر ثان وهو ذهاب العزة والكرامة والدين، وموت مذهب أهل البيت(ع)، فلنختر أهون الشرين.

٨ـ نشيد لبعض الأسرى العراقيين: علي... علي... علي...

٩ـ كلمة الختام لأحد اعضاء بنياد نهج البلاغة

يوم الاثنين:

وزع بنياد نهج البلاغة بعض الهدايا على المشتركين من الخارج، منها: محفظة جلدية، ونحاسة تذكارية نقش عليها بعض كلام الامام(ع)، وكتاب مصور بالأجنبية عن الشهداء وجرائم صدام، وكتب ثقافية أخرى.

وماتزال وسائل الاعلام من جرائد واذاعة وتلفزيون تبرز أعمال هذا المؤتمر في كل يوم، وتنشر بعض موضوعاته.

زيارة قم المقدسة:

من جملة أهداف المؤتمر زيارة المراكز العلمية والدينية، لذلك قررنا اليوم زيارة مدينة قم المقدسة ثاني المراكز العلمية عند الشيعة بعد النجف الاشرف. وقداتخذت هذه المدينة قيمتها بعد ما دفنت فيها فاطمة بنت الامام موسى الكاظم، والتي لقبت بالمعصومة لشدة تدينها وفضلها وكرامتها. وهي أخت الامام علي الرضا(ع) المدفون في مدينة مشهد شمال شرق ايران.

اتجهنا الساعة العاشرة صوب مدينة قم التي تقع جنوب طهران على بعد ١٦٠ كم. وقدراعى انتباهي الطريق الجديد الى قم وهو «اوتوبان» واسع وفي منتصفه حاجز حديدي.

وعندما وصلنا قم طالعنا مآذن حرم المعصومة، وهي عديدة وذات ارتفاع شاهق، أكثر من خمسين متراً. والحرم يتألف من الضريح المقدس وبجانبه المسجد الكبير، عدا الساحات المتفرعة عن الضريح.

اول عمل قمنا به هو زيارة المعصومة عليها السلام، ومشهدها مرصعٌ بالمرايا. والناس حولها كيوم الحشر من شدة الاقبال والتقديس. ثم صلينا في المسجد خلف

آية الله السيد النجفي المرعشي، وهو طاعن في السن. تم زرنا قبور بعض الشهداء ضمن المسجد، ومنهم آية الله الشهيد مرتضى المطهرى، وحجة الاسلام الشهيد محمد المنتظري، وآية الله السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان.

و يستغرب الانسان من هذه المدينة التي ليس فيها غير المدارس والمكاتب والعلماء. فهي التي تخرج كل علماء ايران وغيرها من الدول الاسلامية. ومن الجدير بالذكر أن المدينة تحافظ على الآداب والتعاليم الاسلامية، فالنساء متقيدات كلياً بالحجاب.

ثم ذهبنا لزيارة أشهر مدارس قم، وهي المدرسة الفيضية، التي تخرج منها الامام الخميني وطلابه الأجلاَّء. وحضرنا هناك مهرجاناً بمناسبة استشهاد الشهيد مطهري. ومن جملة فقرات المهرجان برنامج قام به ثلة من الطلاب الذين حفظوا القرآن، وقداختار أستاذهم سورة البقرة، وكان يذكر للواحد منهم رقم الآية فيتلوها الطالب حالاً، وكان الاستاذ يبدل رقم الآية بالزيادة والنقصان، واذا أشار على طالب معين تلا ذلك الطالب الآية بسرعة.

ثم زرنا مقبرة الشهداء (باغ بهشت) في قم، وهي بجوار مدفن أحد أولاد الامام موسى بن جعفر(ع) وهي صغيرة نسبياً، وكانت صور الشهداء معلقة على مناصب حديدية عالية.

ثم رجعنا الى طهران بسلامة الله، والحمد لله رب العالمين.

نهج البلاغة بعد ألف عام...

محمد علي إسبر

جبلة، سوريا

تمهيد

انتهى الشريف الرضي من جمع نهج البلاغة سنة أربعماية للهجرة، و بدأ الشك في صحة نسبته للامام على عام (٦٠٨هـ). ومن المرجح أن ابن خلكان صاحب كتاب «وفيات الاعيان» أول أديب شك في نهج البلاغة وزعم أن مؤلفه هو الشريف الرضي، ثم قلده من جاء بعده من كتاب التراجم كصلاح الدين الصفدي وغيره... أما أدباؤنا العصريون فقد تفرقوا شيعاً امام هذا الشك : فمنهم من نهض يدافع عن نهج البلاغة و يثبت أن كل ماجاء فيه للامام... ومنهم من أخذ يدحض بعض المزاعم، و يثبت البعض الاخر، ومنهم من طلع علينا باسباب شك جديدة، ومنهم من يذهب إلى إقرار الشك واستبعاد صحة جميع ماجاء في النهج لعلي، ومن هؤلاء الأستاذ احمد حسن الزيات في كتابه «تاريخ الأدب العربي»[1]

يقول الزيات تحت عنوان «نموذج من كلامه»: «كلام أمير المؤمنين يدور على أقطاب ثلاثة: الخطب والاوامر؛ والكتب والرسائل؛ والحكم والمواعظ، وقد جمعها على هذا النسق الشريف الرضي في كتاب سماه نهج البلاغة لأنه كما قال بحق: «يفتح للناظر فيه أبوابها، و يقرب عليه طلابها، فيه حاجة المتعلم والعالم، و بغية البليغ والزاهد، و يضئ في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ماهو بلال كل غلة، وجلاء

(١) والاستاذ احمد امين في فجرالاسلام.

كل شبهة، والصحيح أن أكثر ما في هذا الكتاب منحول مدخول».

هذا حكمه المطلق على كتاب نهج البلاغة أرسله كأمر مسلَّم به، ولكنه لم يدعمه بحجة قاطعة تتفق ومنهاج البحث العلمي الحديث.

وقد سلك الزيات في حكمه هذا منهاج ابن خلكان... فكان بذلك مقلداً من تقدمه تقليداً رائعاً... بيد أن ابن خلكان وغيره بسطوا أسباب شكهم في نهج البلاغة، فعبروا بذلك عن وعي غير ناضج في فهم الإمام وعصره... أما صاحبنا الزيات المفروض فيه أن يدحض بقلمه السيال، وبصيرته الناقدة هذا الشك الخاطئ فلم يزد على أن تَخِذَ من ابن خلكان إماماً بلادليل مبرر، ولاسبيل قانع... أهكذا تكون دراسة الاثار الأدبية المشكوك في صحتها؟

وإنك لتحار متسائلاً: لم هذه الشكوك التي لا ترتكز على اساس ثابت من العلم، ولا الأدب، ولاالعقل، بل هي مجرد «ظنون» لا تمت إلى وجه من الحقيقة بسبب؟

يقولون إن أكثر نهج البلاغة من صنع جامعه الشريف الرضي، و يرجعون ذلك إلى عدة أسباب نجملها في اربعة: ١) صناعة السجع والتنميق اللفظي، وآثار الصنعة، مما لم يعهده عصر علي، ولاعرف إلا في العصر العباسي. ٢) التعريض بالصحابة: كمعاوية، وعمرو بن العاص، وطلحة والزبير وأشياعهم، وهذا لايصدر عن رجل فاضل كعلي. ٣)دقة الوصف والأفكار السامية، والسياسة المدنية، واستعمال الألفاظ الاصطلاحية، كالأين والكيف، والطريقة العددية في شرح مسائل وتقسيمات الفضائل والرزائل كقوله: الاستغفار على سبعة معان... والايمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على اربع شعب[1] ... وكل ذلك لم يعرف إلا بعد تعريب كتب الفرس واليونان ٤) ادعاء علم الغيب، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي.

وهانحن نناقش هذه الأسباب الاربعة؛ ونظهر بالبينة الثاقبة فسادها و بطلانها.

السبب الاول

لقد درسنا خطب الامام واحدة واحدة، فلم نجد فيها ظلاً للصنعة، ولا أثر للسجع، ولاوجهاً للتنميق اللفظي. ولو أنها تنطوي على شئ من هذا لماخلت من

(١) راجع باب الحكم من نهج البلاغة

جفاف وتكلف... شأن كتابات الصنعة والسجع، ولما أبصرنا كل جملة من جملها تنبض بالحيوية والمرح والخلود. ولما شاهدنا كل كلمة من كلماتها ملبية داعي الحاجة إليها فهي غير مضطربة ولانابية كأنما خلقت لتحل هذا المحل. ولما وجدت النفوس في قراءتها هذه اللذة الروحية العميقة المنبجسة من حنايا ذلك الاسلوب القوي العالي الجاري عفو الخاطر جريان الماء الزلال الذى ينفحك بأرجه المؤمن أحياناً، و يلفحك بحرارته السياسية... حيناً فاذا بك تفقد ذاتيتك ، وتعيش في فردوس القطعة التي تقرأها عيشة ناعمة راضية.

ولعل استواء الجملتين والثلاث في التقفية، وحلاوة الجرس الموسيقي، هوالذي ذر ذلك الشك في قلوب النقاد فأخذوا يزعمون أن عصر علي لم يعهد ذلك.. وقدغاب عنهم أن عصر علي هوالعصر الذي حلق فيه العربي فوق ثريا البلاغة، وان القرآن الكريم نزل في عهد علي، وأنَّ علياً أول كوكب بشري آنس النبي نفسه، وضمخ عواطفه بقوله تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق».

وقبل نزول القرآن الكريم كان «النثر في الجاهلية موسيقى كالشعر، تتخلله أحياناً جمل موزونة مسجعة يأتي بها البدوي دون تكلف»[1] «وقد نقل لنا الرواة بعضاً من خطبهم وهي عادة قطع وجيزة من الوعظ ترسل سجعاً أو مايقاربه»[2] نقدم مثالاً على ذلك شيئاً من خطبة قس بن ساعدة التي أدركه النبي يلقيها في سوق عكاظ وهو راكب على جمل أحمر: «أيها الناس! اسمعوا وعوا. وإذاسمعتم شيئاً فانتفعوا. انه من عاش مات. ومن مات فات. وكل ماهو آتٍ آت. ليل داج. وسماء ذات أبراج. وارض ذات فجاج. وبحار ذات أمواج»[3] الخ... وقال لبيد يصف بقلة تدعى التربة: «هذه التربة لا تذكي ناراً. ولا تؤهل داراً. ولا تسرجاراً. عودها ضئيل. وخيرها قليل. وفرعها كليل. أقبح البقول مرعى. وأقصرها فرعاً. وأشدها قلعاً».

وروى ابن مسعود عن رسول الله أنه قال: استحيوا من الله حق الحياء. قلنا: انا لنستحي يارسول الله! قال: ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله: أن تحفظ الرأس وماوعى والبطن وماحوى. وتذكرالموت والبلى. ومن أراد الاخرة ترك زينة الحياة

(١) بطرس البستاني في كتابه الادب الجاهلي.
(٢) اللغة العربية وآدابها لانيس المقدسي.
(٣) البيان والتبيين - الجزء الاول - للجاحظ.

الدنيا»[١].

فهل في هذا سجع، وصنعة و تنميق؟؟؟

وهل الذي جاء في القرآن كقوله «والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى. وماينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذومرة فاستوى. وهوبالافق الأعلى»[٢] سجع، وصنعة، وتنميق لفظي؟؟؟

إننا نترك الجواب لحضرات الأساتذة النقاد.

السبب الثاني

عندما نروم التكلم عن السبب الثاني يعترضنا عسر مرهق، ذلك لأن لفظة «الصحابة» تحيط الذين تطلق عليهم بهالة من القدسية في عرف العادات والتقاليد الاسلامية المسيطرة... والحق انني أريد أن يكون هذا المبحث بنجوة من سلطان هذه التقاليد، وتلك العادات الموروثة... أريده بحثاً نزيهاً حرا يعتمد على أوثق كتب التاريخ الاسلامي المجيد، ثم لاأبالي بعد ذلك ، رضي عبيد التقاليد العمياء أوغضبوا... وإذن، فمن هم الصحابة؟؟.. الصحابة: أصحاب النبي الذين رأوه وطالت صحبتهم معه، مفرده صحابي، و بناء على هذا التفسير، فإن معاو ية، وعمروبن العاص، وطلحة، والزبير، الذين تعرض لهم الإمام في خطبه من صحابة الرسول.

وهنا يعترضنا سؤال بارز له قيمته الرفيعة سواء كان ذلك من الوجهة التاريخية، أو من الوجهة الاسلامية الدينية وهو: هل القول أنهم من صحابة الرسول كافٍ لتقديسهم أبداً، وتحريم نقدهم، وتفنيد أعمالهم، ولو أخطأوا، وحادوا في خطئهم عن منهاج التشريع الاسلامي الأغر؟... لاأحسب أن أي مسلم، مهما انحط في دركات الجهل والغباوة، أو علا في درجات الفضل والمعارف، يستطيع أن يقول: نعم، لأنه يكون بذلك عدواً لأقدس آيات الوحي، وجوهر تعاليم الرسالة النبو ية. لاريب في أن صحبة الرسول شرف أثيل، ومجد باذخ، فهي تهذب النفس المؤمنة، وتغسلها في معين الهدى الإلهي حتى تصبح جوهرة نورانية، لها صفاء النجوم ولألاؤها، وهي تضئ القلب بمشعل الايمان الحي، وتتجه بالعواطف والميول والرغبات والمشاعر شطرالقانون

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر صفحة ٧٤ طبع مصر، وصاحب هذاالكتاب يقول: إن القرآن الكريم مسجع، فتأمل...

(٢) سورة النجم . راجع ايضاً سورة الرحمن وغيرها...

الازلي الأعظم اتجاهاً كلياً... كل هذا تفعله صحبة الرسول إذا صادفت استعداداً واعياً كافياً في نفس الصحابي.

ولكن ماذا نقول إذا كان ذلك الصحابي - بعد وفاة الرسول - أسلس لنفسه العنان، فتقحمت به في مسارب الشهوات الدنيوية.. فعمل على تمزيق الوحدة الإسلامية، وأزهق مئات الالوف من النفوس المؤمنة البريئة، طمعاً بمنصب ملك جائر، ولم تردعه من الذكر الحكيم عظة زاجرة؟؟

ألا نقول إن صحبة الرسول لم تصادف عند هذا الصحابي استعداداً وافياً؟؟[1]

أم نقول كمايقول الاكثرون من مقلدي المؤرخين - كان من صحابة الرسول - ومعنى ذلك أن نضعه في فردوس من التمجيد، والتقديس، لايسمو اليها، نقد، ولو خرج عن حكم القرآن، وعبث بسنة الرسول، وخالف رأي جماعة المسلمين. إن المؤرخ ذا البصيرة الحية الناقدة، وإن الحق الصراح، وإن العقل المتحرر الممحص لايقرون شيئاً من هذا. وبعد: فقد آن أن نسأل التاريخ عن حياة هؤلاء الصحابة الذين تعرض لهم الإمام بعد وفاة الرسول: هل كانت حياة وحي ورسالة؟؟ أم كانت حياة دنيا طماعة، وأنانية متوثبة، وسياسة ماكرة غدارة، متجبرة، شهوانية؟؟؟

إن جواب التاريخ نور باهر يكشف عن كل دقيقة من سيرة حياتهم، لايكاد يغادر صغيرة منها ولا كبيرة إلا أحصاها.

التاريخ يجيبنا: إن طلحة والزبير بايعا علياً، ثم أتياه بعد فراغ البيعة فقالا: هل تدري على مابايعناك ياأمير المومنين؟؟!

قال علي: نعم، على السمع والطاعة، وعلى مابايعتم عليه أبابكر وعمر وعثمان.

فقالا: بايعناك على أنا شريكاك في الامر. فقال علي: لا، ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والإعانة على العجز والاوَد. فلما استبان لهما أن علياً غير موليهما

(١) جاء في صحيح مسلم - الجزء الثامن، صفحة (١٥٧) مطبوعات مكتبة محمدعلى صبيح وأولاده، بميدان الازهر الشريف عن ابن عباس أن رسول الله قال: «ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم، ألا، وانه سيجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذبهم ذات الشمال، فاقول: يارب. أصحابي. فيقال: انك لا تدري ماأحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد. إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فإنك أنت العزيز الحكيم»

قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم»

وفي حديث وكيع ومعاذ، فيقال: إنك لا تدري ماأحدثوا بعدك »

وروى ذلك صحيح البخاري في الجزء الرابع صفحة (١٦٩) باب قوله تعالى: واتخذالله ابراهيم خليلا... او في الصفحة (٢٠٤) في أواخر باب: واذكر في الكتاب مريم»

شيئاً نكثا البيعة[١] وخرجا يغرران بالناس، حتى ساقوهم إلى مجزرة وقعة الجمل التي سفك فيها دماء عشرة آلاف مسلم...

وأما عمرو بن العاص فإن معاوية بعث اليه بكتاب يطلب فيه نصرته، فاستشار هذا ابنيه عبدالله ومحمداً. فأشار عليه عبدالله بالإقامة في منزله، أما محمد فقال له: الحق بجماعة أهل الشام. فقال عمرو: أما أنت ياعبدالله فامرتني بماهو خير لي في ديني. وأما أنت يامحمد فقد أمرتني بماهو خير لي في دنياى. ثم التحق بمعاوية مختاراً، وطلب منه لقاء مناصرته ولاية مصر فوعده بها... وفي خدعته لأبي موسى في أمر التحكيم، وحيدته عن نهج العدل الانور، كان سبباً لخلق فرقة جديدة في الاسلام لها مذهبها وآراؤها وهي : الخوارج الذين كانوا قذى في عين الدولة الاسلامية، وعاملاً جباراً في إضعافها في كثير من الأحيان...

أرايت كيف خرج طلحة والزبير على إمام المسلمين بعد مابايعاه، و بايعه عامة المهاجرين والانصار وساقوا إلى الموت عشرة آلاف مسلم لأن علياً أبى أن يقطع كل واحد منهما ولاية يبسط عليها سلطانه، و يشبع أطماعه؟؟؟

وهل رأيت كيف اختار عمرو بن العاص الدنيا على الاخرة، وكيف فرق كلمة المسلمين طرائق قددا، وكان سبباً في إزهاق الألوف من النفوس المسلمة، المؤمنة، لأن معاوية وعده أن يجعله والياً على مصر؟؟؟

وأما معاوية فحسبك أن تعلم أنه مركز الدائرة في كل هذه الأعمال. فهو الذى أرسل إلى طلحة والزبير يحضهما على مناهضة علي و يعدهما بأن يبايعهما بالخلافة... وهوالذي كتب إلى عمرو بن العاص، وجعل له مصر طعمة لقاء مساندته إياه، وهوالذي مزق وحدة الإسلام بحروبه الدامية لخليفة المسلمين الشرعي علي، و بفرض البيعة لابنه يزيد، صنم الخلاعة وحبيب الخمرة... وهوالذي ضحّى على مذبح شهواته وميوله بعشرات الالوف من المسلمين في معركة صفين وحدها، مدرعاً ثوب المظاهرة بالمطالبة بدم الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وهو عارف أن علياً ابرأ الناس من دم عثمان، ولما استتب له أمر الملك لم يطلب أحداً من قتلة عثمان[٢] بل تركهم أحراراً يمرحون بين سمعه و بصره. وإذاً فمعاوية لم يكن همه غير الاستيلاء على صولجان الملك -

(١) راجع الامامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٤١ و٤٢ إلى صفحة ٧٣

(٢) راجع حديث عائشة بنت عثمان مع معاوية في الامامة والسياسة حينما قدم المدينة بعد ماصار خليفة. راجع ابا الفداء وأي كتاب شئت من كتب التاريخ الاسلامي.

يريده ولوكان في حصوله عليه خفوت نَفَس الاسلام ـ يريده له ولأبنائه من بعده، وسيان عنده اطمأن الوحي الاسلامي أوغضب، تآلف المسلمون أو تفرقوا، اقتتلوا أو اصطلحوا.

هؤلاءهم الصحابة الذين تعرض لهم الإمام، هؤلاءهم الصحابة الذين امتلأت أذهانهم بتلك الايات الخالدات اللواتي توج النبي بها مفرق علي بعد رجوعه من حجة الوداع في «غديرخم» ألا وهي: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. اللهم والِ من والاه. وعادِ من عاداه. وأحب من أحبه. وأبغض من بغضه. وانصر من نصره. واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار»[1]

وماكان رسول الله ينطق إلا عن ربه «وماينطق عن الهوى. إن هوإلا وحي يوحى» نعم لقد سمعها أولئك الصحابة من فم رسول الله ووعوها... ولعلك تسألني: كيف جردوا السيف في وجه علي وحاربوه بعد ذلك ؟ وأجيبك: إنّ حلاوة الدنيا ومباهجها سيطرت على كل نبضة في أجسامهم وكل خطرة في نفوسهم، فمالت بهم عن الصراط السوي ميلاً عظيماً، فما على الامام والحالة هكذا إذا تعرض لهم في خطبه، لاسيما والنبي يقول:

«معاشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة. حرب لمن حاربهم. ولي لمن والاهم. لايحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد. ولايبغضهم إلا شقي الجد، ردئ الولادة»[2]:

وروت السيدة أم سلمة عن رسول الله أنه قال «علي مع القرآن. والقرآن مع علي. لايفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

إننا نرى أن النبي قد تعرض لهم... قبل أن يتعرض لهم علي، وفي هذا كفاية.

السبب الثالث

وإنه لمن المضحك حقاً أن يزعم حضرات النقاد أنه لم يكن للعرب في جاهليتهم، نصيب من دقة الوصف والتخيل. في حين أن دقة الوصف والتخيل صفة ملازمة للعربي، ولنظرة خاطفة في الشعر الجاهلي ونثره توقفنا على حقيقة ذلك. اسمع بعض

(١) روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً. راجع احمد، وابن ماجه، وابن عساكر، والطبراني، والحاكم والترمذي، والنسائي وغيرهم.

(٢) روى هذا الحديث ابوبكر الصديق، وهذا الحديث معروف بحديث الخيمة ـ وكان في الخيمة علي وولداه وفاطمة ـ ويجب أن يعلم أن جميع الاحاديث التي نقدمها متفق على صحتها من رجالات السنة والشيعة.

بني الحارث من شعراء الجاهلية يصف الشمس[١]:

أرانا مليك الكون بالشمس آية ... تبوء بأنعام الاله وتخبرُ
مخبّأة أما إذا الليل جنّها ... فتخفى. وأما بالنهار فتظهر
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى ... دجى الليل، وانجاب الحجاب المستر
وألبس عرض الأفق ثوباً كأنه ... على الأفق الغربي ثوب معصفر
تجلت وفيها حين يبدو شعاعها ... ولم يعلُ للعين البصيرة منظر
عليها كردع الزعفران يشبّه ... شعاع تلالا. فهو درٌ منور
فلما علت وابيض منها اصفرارها ... وجالت كما جال النسيج المشهر
وجللت الافاق ضوءاً وأسعرت ... بحرّها، منه الضحى يتسعرُ
ترى الظل يضوي حين تبدو وروقه ... تراه إذا زالت عن الأرض ينشرُ
كمابدأت إذ أشرقت في مغيبها ... تعود كما عاد الكبير المعمر
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها ... يبين إذا ولّت لمن يتبصرُ
وأفنت قروناً، وهي في ذاك لم تزل ... تموت وتحيا كل يوم وتنشر

ألا ترى دقة الوصف والتخيل في هذه القصيدة الجاهلية؟؟ وأحيلك إلى قراءة شعر المعلقات حيث تبصر وصف المطر، والبرق، والفرس، والحرب...، و بوسعك أن تراجع وصف لبيد الذي مرلبقلة التربة... واقرأ الأوصاف الرائعة في القرآن الكريم. اصغ إليه تعالى يصف لنا حال أصحاب اليمين في مسارح الفردوس الأعلى:

«وأصحاب اليمين. ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لامقطوعة ولاممنوعة. وفرش مرفوعة...» الخ.

وتبصر حسنا في وصفه تعالى خلق الانسان و تطوره من حال إلى حال: «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً. فكسونا العظام لحماً ثم أنشاناه خلقا آخر. فتبارك الله أحسن الخالقين»[٢]

و بعد هذا فأي غرابة في أن يصف علي الخفاش والطاووس، علي الذي رضع ألبان العلم والأدب والفصاحة على يدي رسول رب العالمين محمد بمايبرز به على من تقدمه، ومن يجيء بعده؟

(١) انظر علم الادب للأب شيخو الجزء الأول.
(٢) سورة المؤمنون.

عهده للأشتر

وأما عهده للأشتر النخعي عامله على مصرفما لايختصم فيه اثنان، لأن أنفاسه الزكية تتردد وئيدة في مطاويه فتجعل منه روحاً وريحاناً... وإنا لنعجب كيف يتسرب الشك إلى قلم الزيات في هذا العهد لأنه ينضم على جملة صالحة من السياسة المدنية، ولايشك في عهد الخليفة الثاني عمر إلى أبي موسى الأشعري الذي قال عنه: «**وقد اعتبره جمهور القضاة أساساً للنظام، وقاعدة للأحكام، وماأجدره بذلك**»[1] لأن نشأة علي في ظلال أفنان الوحي والرسالة جديرة بأن تعده لمؤهلات لا تتهيأ لغيره من رجالات الاسلام أجمعين.

واسمع!! فهذا معاوية خصم علي السياسي يقع على الكتاب الذي أرسله إلى محمدبن ابي بكر حينما ولاه مصر، فيأخذ في دراسته وكلما أعاد قراءته ابدى العجب. فيقول له الوليدبن عقبة لما رأى إعجابه: «مر بهذه الأحاديث فلتحرق» فيقول معاوية: «مه لارأي لك» فيجيبه الوليد: «أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها؟؟».

فيقول له: «ويحك أتأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟؟ والله ماسمعت بعلم هو أجمع منه ولاأحكم»[2].

(١) والذي أثار إعجاب الأستاذ حسن احمد الزيات في عهد الفاروق عمر بن الخطاب هو: «البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر»

إن هذا القول الحَكَم لرسول الله، وليس للخليفة الثاني، يروي الامام البخاري في الجزء الثالث من صحيحه، صفحة (١٨٧) باب في الرهن في الحضر: «حدثنا خلادبن يحيى، حدثنا نافع ابن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: كتبت إلى ابن عباس، فكتب إليَّ: إنَّ النبي قضى: ان اليمين على المدعى عليه.

وجاء في الصفحة (٢٠) من شرح العقائد النسفية، طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق (١٩٧٤) أن رسول الله قال: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر» ـ نقلاً عن: الترمذي: أحكام(١٢)، وابن ماجه أحكام، وأخرجه الدارقطني باضافة: إلاّ في القسامة على آخره، ورواه البيهقي في السنن عن ابن عباس، وابن عساكر عن ابن عمر، وأخرج مسلم شبيهاً له عن ابن عباس في (كتاب الأقضية ـ باب: اليمين على المدعى عليه»(١)هـ

أقول: وروى الامام النووي في شرح أربعينه، نشر وتوزيع مكتبة دارالفتح بدمشق، صفحة (٩٣) عن ابن عباس أن رسول الله قال: «**لويُعطى الناس بدعواهم، لادّعى رجالٌ أموال قومٍ ودماءهم، لكن: البينة على المدعي، واليمين على من أنكر**» إذنه، فكيف وقع الكاتب الكبير الزيات في هذه السقطة، ونسب الحديث للخليفة الثاني؟؟

(٢) راجع الصفحة (٢٨) من المجلد الثاني من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي (طبع مصر)

لايمرن عليك سهواً قول معاوية: «والله ماسمعت بعلم هو اجمع منه ولاأحكم» وقل معي: ليت لنقادنا الأدباء من الانصاف في الاعتراف بأدب علي وعلمه مثل ما لمعاوية في هذا الموقف.

الأين والكيف

أما استعماله الأين والكيف في تمجيد الحضرة الالهية، وتنزيهها عن الاحاطة والحصر والوصف، فراجع إلى أن توحيده -عزوجل- يبقى ناقصاً إذا لم ينزه عن الأين والكيف

يقول الامام من خطبة: «من حده فقد عدّه... ومن عده فقد أبطل أزله. ومن قال أين؟ فقد حيزه... ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه...»

و يقول في خطبة أخرى: «... ولاينظر بعين، ولا يحد بأين...»[1]

وانه ليدهشنا غاية الدهشة أن يقولوا: إن استعمال الأين والكيف في تنزيه الحضرة الإلهية لم يعرف إلا بعد تعريب كتب الفرس واليونان. وهذا الحموييني العلامة الشهير يروي في كتابه «فرائدالسمطين» بالاسناد إلى مجاهد عن ابن عباس[2] قال: «قدم يهودي على رسول الله(ص) يقال له «نعثل» فقال له: يامحمد اني أسالك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أجبتني عنها أسلمت على يدك .قال: سل يا اباعمارة!!

قال: يامحمد صف ربك ! فقال(ص): «إن الخالق لايوصف إلا بماوصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الأوصاف أن تدركه. والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار الاحاطة به، جل عمايصفه الواصفون. ناء في قربه، وقريب في نأيه، كيّف الكيف، فلايقال له: كيف؟... وأين الأين. فلايقال له: أين هو، منقطع الكيفية فيه والأينونة...»الخ.

فتأمل جيداً ثروة حضرات النقاد الأدبية، وتضلعهم من سيرة نبي الاسلام وكفى...

(١) إذا شئت أن تقف على المعارف العجيبة بأسلوب رائع، معجز، في تنزيه الحضرة القدسية فاقرأخطب علي أميرالمؤمنين

(٢) راجع الصفحة (٣٩) من كتاب غاية المرام

استعمال الطريقة العددية

يتشدد بعضهم كالاستاذ فؤام افرام البستاني[١] في القول: إن استعمال الطريقة العددية لم يعرف في الأدب الجاهلي، ولايكاد يعرف في الأدب الاسلامي، حتى عرب ابن المقفع كتاب «كلية ودمنة»[٢] و يتخذ من ذلك ذريعة إلى القول: إن مثل هذا من صنع الشريف الرضي.

إنه لغريب حقاً أن يصدر مثل هذا القول عن أديب مشهود له بسعة الاطلاع، ووفرة المعارف كالبستاني... لأن بذور هذه الطريقة معروفة في الأدب العربي قبل الإسلام. اسمع مايقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين، أوجلاء، أو نفارُ

وقد استخدم القرآن الكريم هذه الطريقة. قال تعالى: «ثمانية أزواج: من الضان اثنين ومن المعز اثنين، قل آلذكرين حرم أم الأنثيين...»[٣]

وقال النبي: «بني الاسلام على خمس: شهادة أن لاإله إلاالله، وأن محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

وقال (ص): «إغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك. وصحتك قبل سقمك. وفراغك قبل شغلك. وشبابك قبل هرمك. وغناك قبل فقرك»[٤].

وقال (ص): «أربع من اعطيهن فقد أعطي الدنيا والاخرة: لسان ذاكر. وقلب شاكر. وبدن على البلاء صابر. وزوجة لا تبغيه خوناً في نفسه ولاماله»[٥].

وقال الأحنف: «المؤمن بين أربع: مؤمن يحسده. ومنافق يبغضه. وكافر يجاهده. وشيطان يفتنه. وأربع لسن أقل منهن. اليقين. والعدل. ودرهم حلال. وأخ في الله»[٦].

نحسب أن هذا كاف ليثبت لحضرات النقاد ان الطريقة العددية كانت معروفة في زمن الإمام علي وقبله. بيدانه سلك في استعمالها نهجاً عليه مسحة من التوسع

(١) الروائع للبستاني - علي بن ابي طالب.

(٢) يجزم كثير من الأدباء أن كتاب «كليلة ودمنة» من تأليف ابن المقفع، وإنما ادعى تعريبه ليروج...

(٣) سورة الانعام.

(٤ و٥) العقد الفريد الجزء الثاني - باب مواعظ الأنبياء - راجع إذا شئت مزيداً كتاب الجامع الصغير في أقوال النبي

(٦) البيان والتبيين - للجاحظ - الجزء الثاني صفحة ١٥٨

والتفنن، وذلك منتظر من ربيب رسول الله، ووارث علومه الذي يؤمن كل أديب انه أول مفكري الاسلام، وان كلامه فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، وان الحكمة التي جاءنا بها حكمة سامية خالدة على الدهر، وان كتبه تتمتع بقوة منطقية سديدة، ومقدرة على القياس بالغة، وانه مجدد في كل ذلك بالنسبة إلى رجالات عصره، ونسيج وحده لايشق له في هذا المضمار غبار.

نقول: انه منتظر من الامام علي الذي انفرد بهذه الميزات جميعاً وكلها جليل، رفيع، رائع، أن يستعمل هذه الطريقة على مدى أرحب... و يلوح لنا أنه استنبطها جميعها أو اكثرها من آي الذكر الحكيم، وأقوال النبي. اسمعه يقول: «من أعطي أربعاً لم يحرم أربعا. من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة. ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول. ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة. ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة. وتصديق ذلك كتاب الله. قال الله في الدعاء: ادعوني استجب لكم. وقال في الاستغفار: ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما. وقال في الشكر: لئن شكرتم لأزيدنكم. وقال في التوبة: إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليماً حكيماً. فهل من مسوّغ للشك يبديه نقادنا بعدهذا؟؟

السبب الرابع

نكاد نجزم حين نعرض لدراسة السبب الرابع أن الشاكين في نهج البلاغة لم يقرأوه جميعه قراءة واعية لأن الإمام نفسه جلا هذه الشبهة في إحدى خطبة. ففي نهج البلاغة - انه عندما انتهى من خطبته التي أخبر بها عن الملاحم في البصرة - قام رجل كلبي من بعض أصحابه فقال: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المومنين!!

فضحك(ع) وقال: يا أخا كلب!! ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب، علم الساعة، وماعدّده الله بقوله: إن الله عنده علم الساعة.... الاية، فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد إلا الله، وماسوى ذلك، فعلمٌ علمه الله نبيه، فعلمنيه، ودعالي أن يعيه صدري، و تضطم عليه جوانحي.

إننا إذا اخذنا بهذا القول وحده، وصرفنا النظر عن استنتاج القضايا الاجتماعية من مقدماتها وأسبابها، وعن قول النبي(ص): اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنورالله، فإننا نراه كافياً لصد ذلك الشك العاثر.

نهج البلاغة وشراحه

لقد تولى شرح نهج البلاغة كثير من أعلام العلماء، فلم نعرف احدا منهم شك في نسبته لأميرالمؤمنين علي(ع) نختص بالذكر منهم المرحوم الشيخ محمد عبده[١] وهو الذي بعث الكتاب من مرقده، ولم يكن أحد أوسع منه اطلاعاً، ولا أدق تفكيراً، لم يُشر إلى شئ من ذلك بل نعتقدانه -رحمه الله- كان مقتنعاً بأن الكتاب كله للامام علي، وإن لم يصرح بذلك . والدليل على هذه العقيدة أنه يقول في مقدمته يصف الكتاب: «وإن مدبر تلك الدولة، و باسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أميرالمومنين علي بن أبي طالب» بل هو يتجاوز هذا المقدار، إلى الاعتراف بأن جميع الالفاظ صادرة عن الامام، حتى انه ليجعل مافي الكتاب حجة على معاجم اللغة.[٢]

الخلاصة

نزل القرآن الكريم، فكان معجزاً في بلاغته، جديداً في كل ماشرع للناس من دين وقانون... جديداً فيما جاء به من سياسة وحكمة، وآداب أخلاقية واجتماعية... فكانت هذه الجدة حركة تطور عنيفة، ثقفت الأذهان بثقافة رفيعة جديدة، وأعدتها لحياة جديدة ايضاً[٣]... فالعربي الذى كانت البادية خلقت منه إنساناً خشن الطباع، يعبد الاصنام، همه أن يغزو أخاه العربي، و يقتله ليظفر بأسلابه... يعيش في دنيا رحيبة من الجهل، والفوضى والخرافات والتشتيت... أصبح بين عشية وضحاها إنساناً مدنياً مؤمناً يعبدالله، ويحب أخاه العربي حباً صادقاً وفياً، قد امتلأت نفسه

(١) هو مفتي الديار المصرية سابقاً

(٢) محمد محي الدين - أحد شراح نهج البلاغة، و يؤخذ عليه في مقدمته قوله عن الامام: فهوشاب له حدة الشباب، وطموحه، ونشاطه، فهذه الحدة، والنشاط والطموح، تعبير باطل، بعيد عن اللياقة. لاسيا وقد أورده لتبرير موقف الامام نحو الخلافة والمعارضين... وليس معنى هذا اننا ننكر انه كان في اميرالمؤمنين طموح ونشاط، فهذه الصفات من مميزات الشباب الاسلامي الماجد، ومما تقره الشريعة الاسلامية الغراء، وقد كانت متوفرة في الامام، ولكنها كانت محصورة ضمن إطار الشريعة والحق. ولو وجدت في علي حسب المعنى الظاهر الذي يستفاد من قول الاستاذ محي الدين - احد اساتذة الازهر- لتغير وجه التاريخ، ولما وسعه أن يقول في نفس الصفحة «ولم يكن يبلغ به طموحه إلى الانتقاض على جماعة المسلمين بعد الذى نزل في تأليفها ولم شعثها».

(٣) اثرت هذه الثقافة في قرائح الشعراء الذين ادركوا صاحب الرسالة، فرقت ألفاظهم، وصبغ الاسلام خيالاتهم بألوانه النورانية. راجع حسان بن ثابت وغيره من الشعراء المخضرمين.

علماً، وحياته نظاماً. فهل ترى من الغريب أن انقلابا فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، ودينياً، وحقوقياً... كالذي أحدثته البعثة المحمدية - انقلاباً أبدع من الأمة الجاهلة، الضارية، الممزقة، أمة جبارة بقوتها، عزيزة باتحادها، أصبحت بفضل القرآن وشرع القرآن نبراس هدى، وقائدة حكمة للمجتمع الانساني... أترى من الغريب ان مثل هذه البعثة الخالقة التي استطاعت أن ترتفع بعالم العرب إلى سنام الكمال البشري... وأن تبسط من ظل سلطانهم حتى يكاد يغمر نصف الكوكب الأرضي، أن تكوّن رجلاً مثل الامام علي بن ابي طالب، يخرج للعالم كتاباً كنهج البلاغة؟؟

إن أقل مايقال في مثل هذا انه شك في كفاءة الروح الاسلامية الحية النيرة. وشك في كفاءة الذهنية العربية الصافية عن قبول مؤثرات ثقافة الوحي - الإلهية النبوية.

إن كتاباً كالقرآن أخرج الدنيا العربية من الظلمة إلى النور، لخليق أن يخرج للناس رجلا كالامام علي الذي توفر له من تلك الثقافة الإلهية - النبوية مالم يتوفر لأحد غيره من المسلمين قط. فإنه نشأ في بيت ابن عمه محمد جامعة الاسلام العليا. فكان له منه أستاذ بر رحيم، فصيغه صلوات الله عليه بصبغته الأخلاقية، ونشّأه على بلاغته النبوية، وحينما نزل القرآن الكريم، و بدأ بالقيام بأعباء الرسالة، كان علي أول من آمن به، وجاهد في سبيل دعوته، فاعتمده كاتب وحيه، وشرع كلما ألقي إليه بآية يلقنه كل ماتخبئه في تلافيفها من المعاني والأغراض، فكانت ثروته العلمية و الأدبية والشرعية تزداد كل يوم نماءً، فانفسح خياله وصفا، ورهف شعوره، ونوّرت بصيرته، ولطف ذوقه الأدبي، وظل عليه السلام أقرب الناس إليه وأجلهم عنده مكانة حتى اختاره الله إلى جواره الأقدس. ولما ولي علي الخلافة، وشهر المعارضون في وجهه السيف، احتاج إلى الدفاع عن مركز الخلافة، فإذا به يشرق بتلك البلاغة التي رضعها صغيراً، وشب عليها كبيرا... بدراً كاملاً... وإذا به ينطق بمكنون علمه الإلهي، وطرائقه الحكمية، وآياته الأدبية، وروائعه في السياسة المدنية والحقوقية... فيجئ بماسيظل شمس البيان البشري حتى قيام الساعة. وهذه البلاغة السحرية، والروعة الدفاقة في جمال الوصف ودقة التصوير وقوة السبك وغزارة المادة... وتلك الفلسفة الاخلاقية، والقواعد الاجتماعية، والسياسة المدنية، والمقدرة الجبارة على التصرف في فنون القول، والحِكَم الغالية وسمو الافكار ونضوجها... هي التي دعت ابن خلكان و من جاء بعده من كتّاب التراجم الى الشك في صحة نسبة نهج البلاغة للامام علي ولو انهم رجعوا إلى الزمان و المكان اللذين نشأ فيهما الامام، وإلى الامواج السياسية التي

تقاذفت به... و إلى الجدة الثقافية والاجتماعية التي نشرها القرآن و درسوها درساً دقيقاً عميقاً... ولو أنهم أدركوا أن القرآن والتربية النبوية هما المدرسة التي وجهت الامام، وأثرت في أدبه، لما راينا هم يمعنون في شكهم حتى يتوهموه يقيناً. بل لوانهم قارنوا ببصيرة واعية نقادة بين لهجة الامام الصارمة، وأسلوبه الرفيع المتسق، ومايغلب على خطبه من مزاج ناري، و بين أقوال الشريف الرضي في مؤلفاته النثرية لكفونا وكفوا أنفسهم عناء الشك في «نهج البلاغة». وقد رأيت مما مر بك اننا أظهرنا بالبرهان الثبت فساد مزاعم الشاكين في نهج البلاغة. ولانذرك قبل أن تختتم هذا البحث بكلمة خالدة للشيخ محمدعبده تتبين من خلالها قيمة الكتاب الجليلة. قال رحمه الله «وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأن كلام الامام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى، وكلام نبيه، وأغزره مادة، وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني».

الضمان الاجتماعي

كما يصوره الامام علي(ع)

الشيخ محمدعلي التسخيري

بسم الله الرحمن الرحيم

لاأجدني بحاجة للحديث عن عظمة الامام أميرالمؤمنين عليه السلام أو عن المضمون الضخم للكتاب الرائع (نهج البلاغة) لأنهما من جهة أوضح من أن يوصفا ولأني أعجز من يصف.

ولكن لنرد الموضوع المخصص دون مقدمات فنتحدث عن الضمان الاجتماعي كما يصوره الامام أميرالمؤمنين(ع).

اننا نعتقد ان الضمان الاجتماعي له مجالات عديدة:

منها المجال الاقتصادي، والمجال الحقوقي، والمجال الأمني، والمجال الأخلاقي والتربوي وغيرها.

إلا انه عندما يطلق باللغة الاجتماعية المتداولة فانه ينصرف اكثر فاكثر الى المجالين الاولين (الاقتصادي والحقوقي) ومن هنا ـ ولعدم توفر الفرصة لدراسة كل الجوانب ـ فقد اقتصرنا على الجانب الاول آملين ان نعطي نظرة سريعة مستندة الى نصوص نهج البلاغة، رغبةً في استجلاء الصورة الاسلامية المُثلى، وعملاً على عكسها على واقعنا الاسلامي القائم في ايران الاسلام، ايران التي صممت على العودة الى الواقع الاسلامي وراحت بقيادة القائد الشجاع العالم الفذ الامام تحطم كل العوائق والعقبات في سبيل تحقيق هذا الهدف العظيم.

موجز في التصور الاقتصادي الأمثل للاسلام:

ان الاسلام دين واقعي فطري ولذا فهو لايعمل على اغفال الحقائق الخارجية ومنها الحقيقة الفطرية كما يسعى بكل الاساليب للارتفاع بمستوى الواقع الى الشكل الأمثل.

وعلى هذا فقد لاحظ الاسلام في تصوره للوضع الاقتصادي السليم، واقع الانسان ودوافعه، وواقع المساحة التي يعيشها ومن ثم خطط لإسعاد المجتمع في هذا المجال ضمن تخطيطه العام الأوسع منه.

وإذ لم نكن بصدد إعطاء النظرية الاسلامية فلا أقل من الاشارة الى خطوطها الرئيسة:

ومانعتقده ان الاسلام عيَّن المشكلة أولاً ثم راح يسعى للحل الجذري. وهذه المشكلة تتلخص في أمرين (الظلم، والكفر بانعم الله). ولوارتفعا فقدحلت المشكلة تماماً.

فهذا القرآن الكريم بعد ان يذكر نعم الله و يعد منها، يعقب على ذلك بقوله تعالى: «وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار».

ومن هنا فاننا نجده يصب كل جهوده لرفع هذين الجانبين من المشكلة فهدفه إذن تحقيق مايلي:

اولاً: تنمية الانتاج والاستفادة الاقصى من النعم الموفرة.

وثانياً: تحقيق العدالة الاجتماعية والقسط، وقدأكد هذا كثيراً في مختلف نصوصه، ومنها جعل القسط، أحد اهداف الانبياء الكبرى.

وهو يرى ـ هنا ـ ان القسط لايتحقق الا اذا تحقق مبدئان هما:

أ: التكافل الاقتصادي

ب: التوازن في مستوى المعيشة.

وهما أمران يشترك الشعب والحكومة في القيام باعبائهما على اختلاف بين المسؤوليات.

ولكي يتحقق التوازن الاقتصادي في مستوى المعيشة يجب العمل على الارتفاع بالطبقة الفقيرة الى حد (الغنى)، والهبوط بالمستوى الذي تعيشه الطبقة المترفة والمسرفة

ولايبقى بين مستويات المعيشة الا تفاوت معقول ومقبول يضمن قربها من جهة وبقاء الدافع المادي المحرك للانتاج الاكثر. واننا لنجد الخطوات الاقتصادية التي قام بها الامام أميرالمومنين كلها تسير في هذا الاتجاه.

فلنتتبعها إذن تتبعاً سريعاً لنجد الروعة التي طرحها الاسلام وطبقها الامام في دولته الاسلامية.

ونستطيع ان نقسم هذه الخطوات الى قسمين:

الخطوات التربوية النفسية العقائدية.

والخطوات القانونية التشريعية.

وكلها تصب في الأهداف الماضية كما سنلاحظ.

ولكن قبل بيان هذين القسمين يجب ان نلاحظ ان بعضها قديميل الى جانب تنمية الانتاج، والآخر الى العدالة في التوزيع. ولكن لما كان الحقل الانتاجي والحقل التوزيعي مترابطين بشكل رائع فقدآثرنا أن لانقسمها الى خطوات انتاجية واخرى توزيعية.

الإمام يمهد لتطبيق الاطروحة الاقتصادية تمهيداً نفسياً:

ويمكننا ان نختار من تعليمات الامام الامور التالية:

١- العمل على تعميق العقيدة في النفوس بحيث يتحول الوجود الانساني الى وجود موحّد مطيع لله تعالى مضحٍّ في سبيله بكل مايملك ونهج البلاغة مليء بمثل هذه التربية العقائدية.

ومن الواضح أن العقيدة اذا تعمقت انبثقت منها مفاهيم اجتماعية رائعة لها تأثيرها الاكبر في مسير الحياة الاجتماعية، وتلك من مثل مفاهيم: (خلافة الانسان لله) و(مفهوم التخويل المالي للانسان من قبل الله) و(مفهوم الأُخوة الاسلامية) ومفهوم (الربح والخسارة في التصور الاسلامي) وغيرها.

كما ان هذه العقيدة والمفاهيم تترك آثارها في صياغة العواطف الاسلامية نحو المتقين والاخوة المؤمنين مما تمهد أكبر التمهيد لتطبيق التصور الاسلامي المذكور.

٢- ونهج البلاغة مليء ايضاً بالتعليمات التي تحقق للانسان نظرة طريقية للجوانب المادية في هذه الحياة فـ«من أبصر بها بصرته، ومن أبصر اليها أعمته»

٣ـ التأكيد على ذم الحياة المترفة التي لا تشعر بآلام المعوزين، وهكذا ذم الاسراف والمسرفين و بيان انحرافهم عن الصراط الانساني.

٤ـ التذكير الدائم بأن المال مادة الشهوات وانه سبب لانحراف الانسان إن لم يبذل في سبيل الله.

٥ـ تعميق مفهوم العمل في سبيل الله ونسيان الذات في هذا الصدد، واذا تعمق هذا المفهوم حلت مشكلة التعارض بين المصالح الذاتية والمصالح الاجتماعية وكان التمهيد الأروع لتحقيق القسط.

٦ـ التأكيد على لزوم العمل وتحصيل الرزق وعدم الذلة عند الحاجة.

٧ـ تركيز الاحساس بآلام الآخرين وخصوصاً في مجال تحسيس الحكام بالتفكير الدائم بضُعفاء شعوبهم.

٨ـ إعطاء صورة عن المثل الاعلى وهي تتمثل تاريخنا بالانبياء عليهم السلام و به (عليه السلام) كقائد يمارس القيادة الفعلية في ذلك المجتمع على اساس نهج الانبياء.

٩ـ اعطاء بعض الصور المتكاملة عن مجتمع المتقين واتصافه بكل عناصر التقدم المادي بالاضافة للتقدم المعنوي.

١٠ـ و بالتالي التأكيد على ربط الانتاج بالتوزيع وذلك كما جاء في كتاب الامام الى حبيبه محمدبن ابي بكر عامله على مصر.

فلنطالع إذن بعض النصوص في هذا المجال.

في ذم الترف والاقبال على الدنيا

يقول الامام عليه السلام:

«أقبلوا على جيفةٍ قَدافتَضَحُوا بأكلها وٱصطَلَحوا على حُبِّها، وَمَن عَشِقَ شَيئاً أعشى بَصَرهُ، وَأمرَضَ قَلبَهُ، فَهُوَ يَنظُرُ بِعَينٍ غير صَحيحَةٍ، وَيَسمَعُ بِأُذُنٍ غَيرِ سَميعَةٍ قَد خَرَقَتِ ٱلشَهَوٰاتُ عَقلَهُ، وَأماتَتِ الدُّنيا قَلبَهُ. وَوَلهت عَلَيها نَفسُهُ، فَهُوَ عَبدٌ لَها، وَلَمَنْ في يَدَيهِ شُيء مِنها،...» وهكذا يستمر هذا الوصف الى ان يشرف بهم على سكرات الموت فيقول: «فَهُوَيَعَضُّ يَدَهُ نَدامَةً عَلى ماأصحَرَ لَهُ عِند المَوتِ مِن أمرِه، وَيَزهَدُ فيما كانَ يَرغَبُ فيه أيامَ عُمُرِه، ويَتَمَنّى أنَّ الذي كانَ يَغبِطُهُ بِها وَيَحسُدُهُ عَلَيها قَدْ حازها دونَهُ!» الى أن يقول(ع): «فَصار جيفةً بَينَ أهلِه، قدأوحَشوا مِن جانِبِه، وتَباعَدوا مِن قُربِه، لايُسعِدُ باكياً، ولايُجيبُ داعياً» (نهج البلاغة ص ١٥٩- ١٦١)

و يقول في خطبة رائعة أُخرى: «سُلطانها دُوَلٌ (أي الدنيا) وعيشها رنق، وعَذبُها أُجاجٌ، وحُلوها صَبرٌ، وغِذاؤُها سِمامٌ، وأسبابُها رِمامٌ، حَيُّها بِعَرَضِ مَوتٍ، وصَحيحُها بِعَرَضِ سُقمٍ! مُلكُها مَسلوبٌ، وَعزيزُها مَغلُوبٌ، وَمَوفُورُها مَنكُوبٌ» الى أن يقول(ع): «أَفَهذِهِ تُؤثِرونَ، أم إليها تَطمَئِنّون، أم عَلَيها تَحرِصُونَ؟» -نهج البلاغة ص ١٦٥-

و لتحقيق السمو في آمالهم يقول:

«وَلَو تَعلَمونَ ما أعلَمُ مِمَّا طُوِي عَنكُم غَيبُهُ، إذاً لَخَرَجتُم إلى الصَّعُداتِ تَبكُونَ عَلى أعمالِكُم، وَتَلتَدِمُونَ عَلى أنفُسِكُم، وَلَتَرَكتُم أموالَكُم لاحارِسَ لَها ولاخالِفَ عَلَيها»(١٧٣)

«أما رأيتُم الَّذينَ يَأمَلُونَ بَعيداً، وَيُبنُونَ مَشيداً، وَيَجمَعُونَ كَثيراً، كَيفَ أصبَحَتْ بُيُوتُهُم قُبوراً، وَماجَمَعُوا بوراً، وصارَت أموالُهُم للوارثينَ وأزواجُهُم لِقَومٍ آخرين». نهج البلاغة (١٩٠).

«ألا فما يَصنَع بالدُّنيا مَن خُلِقَ للآخِرَة! وَمايَصنَعُ بالمالِ مَن عَمّا قليلٍ يُسلَبُهُ وَتَبقى عَلَيه تَبِعَتُهُ وَحِسابُهُ» (٢٢٢)

فقد ورد عنه (ع) في رواية صحيحة انه وضع على الخيل العتاق الراعية في كل فرس في كل عام دينارين، وجعل على البراذين ديناراً ومنها التشجيع المتواصل على الانفاق الحسن المستحب هذا الى ما في تطبيق باقي القوانين الاسلامية كالارث من دورٍ في تفتيت المال ومنع تركز الثروة.

كانت هذه بعض الخطوات الاقتصادية الاسلامية الضخمة التي خطاها على الصعيد القانوني لتحقيق الاهداف الكبرى التي اخذ على الامة عهداً ان تصبر على تحقيقها.

هذه هي الصورة الاسلامية للمجتمع الاسلامي السليم ولكن ماهو الواقع؟

ان الواقع الاقتصادي القائم اليوم يختلف تمام الاختلاف عنها.

فانك لتجد اختلال التوازن الى حدٍ ضخم جداً فيصل الدخل المتوسط لدى بعض المسلمين الى الصفر في حين يصل الدخل المتوسط في محل آخر الى ١٨/٠٠٠ دولار، وتجد تحول مبدأ التكافل العام الى مجرد مساعدات صغيرة تمنح لتحقيق اغراض سياسية بحتة... اما التنمية الانتاجية فهي اما معدومة أو انك تجدها تنمية كاذبة بقيام معامل المونتاج المعتمدة على الكفر العالمي تماماً والتي تفقد صفتها المستقلة. هذا من جهة ومن جهة أخرى فهي تصب في جيوب مجموعة من المترفين الكبار المستغلين.

وهكذا نجد الترف والاسراف في جهة، والجوع والحرمان في جهة اخرى، ونجد

كل منطقة تتعامل مع المنطقة الاسلامية الاخرى كعميل أجنبي لافرق بينه و بين أي عميل آخر.

وهكذا يصدق قوله (عليه السلام) في تعبير رائع عن الصورة القائمة «اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة اللّه كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق اللّه وفراً... أفبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه، وتكونوا اعزّ أوليائه عنده؟ هيهات...»(١٨٧)

وفي ختام هذا الحديث نود ان نقدر للثورة الاسلامية الكبرى في ايران بقيادة الامام الزاهد العالم الشجاع الخميني الكبير على ماقامت به من خطوات رائعة في سبيل اعادة الصورة الاسلامية الاوفر وتحقيق الاهداف الكبرى الاخرى، ونحن نشير الى ذلك باختصار:

١ـ العمل على تنمية الانتاج وشكر أنعم الله باكتشاف الذخائر المتوفرة ولكن في اطار نفي السيطرة الاجنبية وحذف مايقرب من اربعين الف خبير كانوا يمتصون دماءنا دون رحمة ويمهدون للاستعمار السياسي والثقافي.

٢ـ العمل على تحقيق القسط الاجتماعي عبر رفع مبادىء علي كلها وتحقيق سيطرة قوية على المنابع الأم مع الفسح المشروط للملكية الخاصة لكي تعمل عملها في اطار تنمية الانتاج ودون ان تؤثر على اختلال التوازن او تنكص عن اداء مهمة التكافل.

٣ـ العمل الحثيث على تركيز المقومات النفسية التي اشرنا إليها حتى لنكاد نجزم انها اليوم اكبر تأثيراً من أي اجراء قانوني.

٤ـ تطبيق الاحكام الاسلامية الثابتة واحداً بعد الآخر مما يترك اكبر الآثار في هذا المجال.

٥ـ التأكيد على الطبقة المحرومة و بذل اقصى المساعي للارتفاع بها.

٦ـ العمل على منع تركُّز الثروة والافادة من باقي الاشعاعات الاسلامية.

ان ثورتنا الاسلامية لتفتخر انها اتبعت رسول الله (ص) خير اتباع وطبقت تعاليمه الالهية التي فهمها تلميذه أمير المؤمنين وطبقها عملياً في عهده الزاهر.

نفي الترف

وعن الرسول(ص) يتحدث فيقول: «وَلَقَد كانَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم يأكُلُ عَلى الارض، ويَجلِسُ جِلسَةَ العَبدِ، ويَخصفُ بِيَدِهِ نَعلَه، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثوبَهُ وَيَركَبُ الحِمارَ العاريَ وَيُردِفُ خَلفَهُ، وَيَكُونُ السِّترُ عَلى بابِ بَيتِهِ فَتَكُونُ فيهِ التَّصاوير فَيَقُولُ: «يافُلانَة ـ لإحدى أزواجِهِ ـ غَيِّبيهِ عَنّي، فَإنّي إذا نَظَرتُ إلَيهِ ذَكَرتُ الدُّنيا وزخارفها». (٢٢٨)

الأنبياء كانوا مستضعفين جياعاً مجاهدين ...

يصفهم فيقول عنهم: (وَكانُوا قَوماً مستضعفينَ، قدٱختَبَرَهُمُ اللّهُ بِالمَخمَصَةِ وَٱبتلاهُم بالمَجهَدَةِ، وٱمتَحَنَهُم بالمَخاوِفِ، وَمَخَضَهُم بِالْمَكَارِهِ، فَلا تَعتَبِروا الرِضَى وَالسُّخط بِالْمالِ وَالوَلَدِ جَهلاً بِمَواقِعِ الفِتنَةِ، والاختِبار في موضِعِ الغنى والاقتدار. فقدقال سبحانه وتعالى «أيحسبون ان مانُمِدهُم به من مال وبنين نُسارِع لَهُم في الخيرات؟ بل لايشعرون» فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم)(٢٩١)

ذم الاسراف، والحزن أكثر من الحاجة

من كتاب له الى زياد:

«فدع الاسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو ان يعطيك الله أجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين، وتطمع ـ وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، ان يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وانما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ماقدّم»

من أروع النصوص تطبيقاً للتوحيد بين المصالح الذاتية والاجتماعية

«فلاتحملن على ظهرك فوق طاقتك ـ فيكون ثقلُ ذلك وبالاً عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه، واكثر من تزوّيده وانت قادرٌ عليه، فلعلك تطلبه فلاتجدُه، واغتنم

من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤوداً...»(٣٩٨)

كسر النفس عن الشهوة

«وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس أمارة بالسوء إلا مارحم الله»(٤٢٧)

«المال مادة الشهوات». (٤٧٨)

«ماجاع فقير إلا بما متع به غني»

«ماعال من اقتصد»

«استنزلوا الرزق بالصدقة»(٤٩٨)

زهد علي

فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً ولاادخرت من غنائمها وَفراً، ولااعددت لبالي ثوبي طمراً، ولاحزت من ارضها شبراً.

وأيمُ اللهِ ـ يميناً استثني فيها بمشيئة الله ـ لأَرُوضَنَّ نفسي رياضةً تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً ولأدعَن مقتلي كعين ماء، نَضَب معينُها، مُستَفرغةً دُمُوعُها، أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك ؟ وتَشبَع الرَّبيضَةُ من عُشبها فتربض، و يأكل عليٌّ من زادِه فيهجع؟ قرت اذاً عينُه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة.

الضمان والعمل

«قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعمل، فلايكونن المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عَمَلُه»(١٧١)

الوالي غير بخيل

«وقد علمتم انه لاينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام

وامامة المسلمين البخيل، فتكون في اموالهم نهمتُه، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله»(١٨٩)

المال للآخرين والصبر للنفس

«فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فان فوزاً بهذه الخصال شَرَف مكارم الدنيا، ودَرك فضائل الآخرة ـ ان شاء الله» (١٩٨)

بين الزهد والانفاق

يقول للعلاء بن زياد الحارثي وقد رأى سعة داره:

ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وانت اليها في الآخرة كنت أحوج؟ بلى ان شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف وتصلُ فيها الرحم، وتطلع منها الحقوق مطالعها، فاذا انت قد بلغت بها الآخرة. (٣٢٤)

التنمية الاقتصادية

«واعلموا ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بافضل ماسكنت، واكلوها بافضل ما اكلت، فحضوا من الدنيا بما حَظي به المترفون».

العمل الاقتصادي

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجُلابها من المباعد والمطارح.

ضمان أهل الذمة

روي في وسائل الشيعة عن علي(ع) انه مرّ بشيخ مكفوف كبير يسأل فقال أمير المؤمنين ما هذا؟ فقيل له يا أمير المؤمنين انه نصراني فقال الامام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال.

تحريك الهمة للعمل وعدم الطمع بما في أيدي الناس

يقول لولده الحسن(ع):

«واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ألاّ يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قَسمَك، وآخذ سهمك، وان اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وان كان كُلّ منه»(٤٠٢)

كرامة النفس

(ما اقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى)(٤٠٤)

الحاكم والشعب

«ولكن هيهات ان يغلبني هواي و يقودني جشعي الى تخيُّر الاطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشِّبَع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وَحَسبُكَ دَاء أن تبيتَ بِبطنَةٍ وَحولَكَ أكبادٌ تَحِنُّ إلى القِدِّ

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكونَ أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني اكلُ الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها...»(٤١٨)

اما على الصعيد القانوني

فاننا نلمح التطبيق الكامل للتعاليم الاسلامية في دولة علي الاسلامية ونذكر من الخطوات التي تمت في هذا السبيل:

١ـ اعلان الامام لواليه على مصر ان التجار هم مواد المنافع وهذا يعني ان التجارة يجب ان تتخذ وجهة اقتصادية وتبتعد عن الاعيب الانحراف بالمال عن وظيفته الرئيسية فيقول (عليه السلام):

(ثم استوصِ بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح).

٢ـ واعلانه عن الاتجاه الاسلامي لمنح نتيجة العمل على المادة الابتدائية أو شبهها (كما يؤخذ في الحرب) للعامل نفسه و لهذه القاعدة تأثيرها الى حدٍما حتى في المجال الآخر (أي العمل على غير المادة الابتدائية) فيقول(ع) لأحد اصحابه وقدجاءه يطلب مالاً:

«ان هذا المال ليس لي ولالك، وانما هو فيء للمسلمين، وجلبُ اسيافهم، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم». (٣٥٣)

٣ـ توفير اقصى حدٍ من الأمن الاجتماعي الذي يساعد للغاية على تحقيق الاهداف الاسلامية في المجال الاقتصادي.

و يتم ذلك عبر تطبيق نظام العقوبات الصارم بحق عمليات الاغتيال الاقتصادي والسرقة وقطع الطريق والربا والاحتكار والكنز والقمار واهدار الثروات، وراح يعلنُ انه يسترجع اموال الأمة حتى ولوتزوجت به النساء.

فيقول(ع) عن بعض الاموال التي رأى انها اخذت بغير حق:

«والله لووجدته قدتُزوِّج به النساء، ومُلك به الاماء لرددته، فان في العدل سَعَة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق».

و بالنسبة للاحتكار يقول لمالك:

«فامنع من الاحتكار، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن

البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، واسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حُكرة، بعد نهيك اياه فنكّل به وعاقبه في غير اسراف».(٤٣٨)

والملاحظ هنا ايضاً ان المنع من الاحتكار هو نوع من انواع السيطرة المركزية على الاقتصاد، ومن هنا فهو يطرح التسعير الحكومي ...

٣- ومن المبادىء العملية التي طرحها الامام اتباعاً للاسلام هو مسألة التأكيد الحكومي وتوجيه السياسة الاقتصادية نحو الطبقة الفقيرة أو كما عبر الامام (الطبقة السفلى)، ومن الواضح مالهذا التأكيد من دور في تحقيق التوازن و بالتالي تحقيق العدالة الاقتصادية.

فيقول لمالك:

«ثمَّ الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى، والزّمنى، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ماستحفظك من حقه فيهم، وأجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد فان للاقصى منهم مثل الذي للأدنى... فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم...»(٤٣٨).

٤- طرح مسألة التسوية في العطاء في الاموال العامة التي يشترك فيها المسلمون على السواء وكانت هذه خطوة ثورية أزعجت الكثير من ذوي التكبر والأشراف فراحوا يتوسلون بمختلف الوسائل ليعدل عن هذه السياسة ولكنه كان يجيبهم بأمثال هذه الاجوبة:

«أتأمرونّي ان أطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه، والله لاأطور به ماسمر سمير، وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً، لوكان المال لي لسويتُ بينهم فكيف وانما المال مال الله الا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف»(١٨٣).

٥- العمل على منع تركّز الثروة باساليب مختلفة؛

منها مامرّ من منع الاحتكار والكنز، والتسعيرة الحكومية، ومنها الاصرار على جميع الضرائب الزكوية الثابتة ومنها فرض الضرائب (غير الزكوية المتعارفة) على الاجناس.

نقض شبهة الاضافات

في نهج البلاغة

بقلم: السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه.

من الشبه الّتي حامت حول «نهج البلاغة»، شبهة الزيادات في «النهج» فقد زعم مثيرو هذه الشبهة أنَّ الشريف الرَّضي بعد فراغه من جمع «نهج البلاغة» ترك أوراقاً من البياض في آخر كلّ باب من أبوابه الثلاثة «لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد» فلم يبق «النهج» على ماوضعه الرضي بل تعرّض لاضافات وزيادات حتّى بلغ الى هذا الحد من الضخامة.

وقد تكلّمنا عن هذه الشبهة باقتضاب في «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» تحت عنوان: «مشكلة الاضافات».

والواقع انَّ هذه الدعوى من الافتراء المحض كالافتراء بانَّ «نهج البلاغة» من وضع الشريف الرّضي، وهي ممنوعة لأمور:

(الأول) أن النسخة الّتي بخط الرّضي رحمه الله كانت موجودة في زمن ابن أبي الحديد المتوفّى سنة(٦٥٥ أو٦٥٦) كما ذكر ذلك عند شرح الكلام (٢٢٨) من باب الخطب «للّه بلد فلان»الخ قال: «وفلان المكنّى عنه عمر بن الخطاب» قال: «وقدوجدت النسخة الّتي بخط الرّضي أبي الحسن جامع «نهج البلاغة» وتحت فلان عمر» قال: «حدّثني بذلك فخّار بن معد الموسوي الشاعر الأديب».[1]

وابن أبي الحديد ألّف «شرح نهج البلاغة» مابين سنة (٦٤٠) و(٦٤٤) «فالنهج» إلى هذا الحدّ سالم من التغيير والاضافة، بل والى زمن كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم[2]

البحراني المتوفّى عام (٦٧٦) لأنّه أشار الى نسخة الرضي في مواضع من شرحه على نهج البلاغة.

(الثاني) أن كانوا ـ كعادتهم في رواية الكتب ـ يروون «نهج البلاغة» خلفاً عن سلف، ولايكتفي بعضهم بروايته من طريق واحد، وإليك مثالاً «واحداً» من ذلك.

يوجد في مكتبة الإمام الحكيم العامّة في النجف الأشرف نسخة من «نهج البلاغة» بخط السيد نجم الدّين الحسيني الطبري فرغ من كتابتها يوم السبت من آخر صفر سنة سبع وستين وستمائة، وهي النسخة الّتي وصفها الأفندي في «رياض العلماء» بقوله: «السيد نجم الدّين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمّد الطبري كان فاضلاً عالماً جليلاً، وكان من تلامذة الشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد و يروي عنه» قال: «وقد رأيت في اصفهان نسخة من «نهج البلاغة» بخطّه وتاريخ كتابتها سنة (٦٦٧) آخر صفر بالحلّة السيفيّة في مقام صاحب الزّمان عليه السلام عليها خطّ نجيب الدين المذكور، وهذه صورة خطّه الشريف: أنهاه أحسن الله توفيقه قراءةً وشرحاً لمشكله وغريبه، نفعه الله وإيّانا به بمحمّد وآله، وكتب يحيى بن الحسن بن سعيد سبع وسبعين وستمائة وعليها خط السيد محمّد بن أبي الرّضا العلوي أيضاً، وهذه صورته: «أنهاه أدام الله بقاه قراءة مهذبة، وكتب محمّد بن أبي الرّضا» وانتهى.

ثمّ أنّه كان على ظهر النسخة أيضاً هكذا:

«قرأ عليَّ السيّد الأجل الأوحد الفقيه العالم الفاضل المرتضى نجم الدّين أبو عبدالله الحسين بن أردشير بن محمّد الطّبري ـ أصلح الله أعماله و بلغه آماله ـ كلّ ذلك الكتاب من أوّله الى آخره فكمل له الكتاب كلّه، وشرحت مشكله، وأبرزت له كثيراً من معانيه، وأذنت له في روايته عنّي عن الفقيه العالم المقرىء المتكلّم مجدالدّين أبي حامد محمّد بن علي بن عبدالله بن زهرة الحسيني الحلّي ـ رضي الله عنه ـ عن الشيخ الفقيه أبي جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب المازندراني عن السيد أبي الصمصام ذي الفقار بن معد الحسيني المروزي عن أبي عبدالله محمّد بن علي الحلواني عن السيد الرّضي أبي الحسن محمّد بن الحسين بن موسى بن محمّد الموسوي، وعن الفقيه عزّالدّين أبي الحرث محمّد بن الحسن بن علي الحسيني البغدادي عن قطب الدّين أبي الحسين الراوندي عن السيّد بن المجتبى والمرتضى ابني الدّاعي الحسين الحلبي، عن أبي جعفر الدوريستي عن السيد الرّضي، فليروه عني متى شاء (بياض بالأصل) سنة سبع وسبعين وستمائة.

وعلى النسخة: صورة للمقابلة بنسخة صحيحة في الحضرة الغرويّة (تاريخها) في شهر رمضان سنة (٧٢٦).

وهذه النسخة في مكتبة (الامام الحكيم العامّة في النجف الأشرف) وقداطّلعت عليها بنفسي.

واستمرت عادة العلماء برواية «نهج البلاغة» بالاجازة، ونقله بالسماع، وضبطه بالمقابلة من يوم صدوره الى زمن متأخّر.

وقد أحصى شيخنا الأميني -عطّر الله مرقده- في الغدير ١٩٣/٤ تسع عشرة اجازة ابتداء في سنة ٤٩٩ إلى سنة ١٠٩٦هـ.

وقد اطلعت في العام الماضي (١٤٠٣) في مكتبة گوهرشاد في خراسان على نسخة من (نهج البلاغة) بخط محمدبن علي بن الحسن الحسيني، تاريخ الفراغ من تحريرها يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى سنة ٨١٨، وقددقّقها العلاّمة المجلسي رحمه الله وكتب في آخرها بخطّه الشريف ماهذا نصّه:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم أنهاه المولى الأولى الفاضل الكامل الذكي الرضي البهي المحقق المدقق جامع الفضائل النفسانية مولانا محمّد مؤمن الرازي أيده الله تعالى سماعاً وتصحيحاً وتدقيقاً في مجالس شديدة آخرها ثامن شهر رجب الأصبّ من شهور سنة اثنتين وتسعين بعد الألف هجرية فأجزت له دام توفيقه أن يرو يه عنّي مع سائر ماأخذه منّي بأسانيده المتّصلة الى أرباب العصمة صلوات الله عليهم أجمعين، وكتب بيده الداثرة أفقر العباد إلى عفو ربّه محمد باقر بن محمّدتقي عفى الله عن جرائمهاحامداً ومصلّياً ومسلّماً».

(الثالث) هناك نسخ خطيّة من (نهج البلاغة) لا تزال موجودة تختلف تواريخها ولاتختلف محتو ياتها وإليك بعضها:

أ ـ نسخة رأيت مصوّرتها عندالعلاّمة الدكتور السيد جواد المصطفوي مؤلّف كتاب «الكاشف عن ألفاظ نهج البلاغة» تبتدىء من الخطبة (٣٢) الّتي أوّلها (إنَّا قدأصبحنا في دهر عنود... الخ) تاريخ كتابتها كما في آخرها: «فرغ من كتابته فضل الله بن طاهر بن مطهّر الحسيني في الرابع من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة حامداً لله تعالى ومصليّاً على رسول الله وآله الطّاهرين.»

ب ــ نسخة السيد محمّد المحيط الطباطبائي بطهران ذكرها الشيخ آغابزرگ في حرف النون من الذريعة تاريخ كتابتها سنة (٥١٢).

ج ــ نسخة السيد محسن الكشميري الكتبي ببغداد تاريخها سنة (٥٢٠) ذكرها الشيخ أيضاً في حرف النون من الذريعة.

د ــ نسخة رأيتها أنا في مكتبة الآثار (المتحف العراقي) ببغداد برقم (٣٥٦) مخطوطات كاملة جيّدة الخط، واضحة الرسوم تأريخها كما في آخرها مكتوب بالحمرة هكذا بالحرف الواحد: «آخر كتاب (نهج البلاغة) فرغ من كتباته محمّدبن سعيدبن الحسين العامري يوم الجمعة لإثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة خمس وستين وخمسمائة» وقدذكرت خصوصيّات هذه النسخة في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) ١٨٨/١ وقلت: انَّ هذه النسخة من أتقن النسخ الخطيّة من (نهج البلاغة) ولكن الأرضة قددبّت اليها ونخرت بعض صفحاتها مع الأسف الشديد.

هـ ــ نسخة مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية برقم (٤٨٤٠) أدب كتبت بقلم النسخ الجيّد، مضبوطة بالشكل الكامل، ومحلاّة بالذهب، و بالازورد، و بصفحة العنوان دائرة مذهبة برسم خزانة (غياث الحق الدين) يليها صفحتان متقابلتان منقوشتان بنقوش هندسية بالذهب والألوان و بداخلها عنوان (كتاب نهج البلاغة من كلام علي عليه السلام والصلاة على محمّد وآله الطّاهرين) و بعض عناو ين النسخة مكتوبة بالذهب، وفواصل الفقرات محلاّت بالذهب أيضاً و بآخرها خاتمة النسخة داخل حلية مذهبة جاء بها (تمّ الكتاب بالحضرة الشريفة المقدّسة الغرو ية النجفية بمشهد مولانا وسيدنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب أخي الرّسول، وزوج البتول، ووالد أولاد الرّسول صلوات الله عليهم وكتبه وذهبه الحسين بن محمّد الحسين سنة اثنتين وثمانين وستمائة) وعلى هذه النسخة ضبط الأستاذ محمد أبوالفضل ابراهيم الأصل من شرح نهج البلاغة في طبعته الّتي أشرف على تحقيقها والتعليق عليها[٤].

و ــ نسخة بخط الحسن بن محمّدبن عبدالله بن علي الجعفري سبط أبي الرّضا الراوندي تاريخها سنة (٦٢١) بمكتبة مدرسة السيد اليزدي قدّس سرّه في النجف الأشرف.

ولاحاجة بنا إلى ذكر النسخ الخطيّة بعد تاريخ (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد لأنَّه ضبط أصل (النهج) وقداطّلعت على كثير منها، وتعرضت لذكر بعضها في «مصادر نهج البلاغة وأسانيده».

فمن أين تسربت هذه الزيادات ولماذا لم يعثر أحد على نسخة واحدة خالية من هذه الاضافات المزعومة؟! ولماذا لم يقل بهذا أحد من القدامى حتّى الّذين يذهبون الى أنَّ

في (النهج) شيئاً منحولاً؟

وكيف تواطأ ناسخو النهج وشرّاحه ورواته مع اختلاف أوطانهم وأزمانهم، بل واختلاف مذاهبهم ومشاربهم على الاضافة والتغيير.

ومن العجب ماقاله الأستاذ العقاد في (عبقريّة الامام) ص١٧٧: «انَّ التنبؤات الّتي جاءت في (نهج البلاغة) عن الحجّاج وفتنة الزنج وغارات التّر وماإليها من مدخول الكلام عليه ممَّاأضافه النسّاخ الى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل» ولوسلّمنا جدلاً أنَّ الاخبار عن الحجّاج وفتنة الزنج أضيفت الى الكتاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل - لأنَّه لايريد أن يتّهم الرضي بالوضع - فلايمكن أن نسلم باضافة الأخبار عن فتنة التتار وكلّ حوادث التتار من حملة جنكيزخان الى احتلال هلاكو بغداد كان مابين سنة (٦١٦) وسنة (٦٥٦) وهذه نسخ «النهج» المخطوطة والّتي استعرضنا بعضها ومنها نسخة مكتبة الآثار ببغداد الّتي ذكرنا أنَّ تاريخها كان سنة (٥٥٦) أي قبل وقوع تلك الحوادث بمائة عام وفيها الكلام الّذي يشير فيه أميرالمؤمنين عليه السَّلام الى تلك الفتن والمحن وهي لاتختلف عن النسخ المطبوعة فضلاً عن المخطوطة.

وهذا ابن أبي الحديد وقعت اليه عدّة نسخ من الكتاب وفيها ماكتب في حياة الشريف الرّضي رحمه الله كما أشار الى ذلك في مواضع من (شرح نهج البلاغة) يستشعر هذه الاضافات المزعومة بل نراه يقول في شرح الخطبة الّتي أشار فيها أميرالمؤمنين عليه السلام إلى التتار: «انَّ هذا الغيب الّذي أخبر عليه السّلام عنه قدرأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا، وكان النَّاس ينتظرونه من أوّل الاسلام حتّى ساقه القضاء والقدر الى عصرنا وهم التر الّذين خرجوا من أقاصي المشرق»[٥].

نعم يوجد بعض نسخ من (نهج البلاغة) ومنها نسخة (مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف) الّتي وصفها صاحب الرّياض - كما تقدّم - تنتهي بالحكمة رقم (٤٦٨) وهي قوله عليه السّلام: (ربّ مفتون بحسن القول فيه) وقدخلت من الكلمات القصار بعدها وهي ثماني عشرة كلمة.

والجواب عن هذا أن ابن أبي الحديد بعد أن فرغ من شرح قوله عليه السّلام: (ربّ مفتون بحسن القول فيه) قال:

«واعلم أنَّ الرّضي رحمه الله قطع كتاب (نهج البلاغة) على هذا الفصل وهكذا وجدت النسخة بخطّه، وقال - أي الرضي -: وهذا حين انتهاء الغاية بماإلى قطع المنتزع

من كلام أميرالمؤمنين حامدين الله سبحانه على مامنَّ به من توفيقنا لضمّ ماانتشر من أطرافه، وتقريب مابعد من أقطاره، ومقررين العزم كما شرطنا أوّلاً على تفصيل أوراق من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب لتكون لاقتناص الشارد، واستلحاق الوارد، وماعساه أن يظهر بعد الغموض، و يقع بعد الشذوذ وماتوفيقنا إلاّ بالله عليه توكّلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل» انتهى كلام الرّضي.

قال ابن أبي الحديد: (ثمَّ وجدنا نسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام -يعني الثماني عشرة كلمة الّتي أشرنا إليها- قيل: إنّها وجدت في نسخة كتبت في حياة الرضي رحمه الله وقرأت عليه فأمضاها وأذن بإلحاقها بالكتاب»[٦].

وستعرف -إن شاء الله- إذا اطّلعت على مصادرها في (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) أن هذه الكلمات مروية عن أميرالمؤمنين عليه السّلام وأنَّ الرّضي رحمه الله هو الّذي أضافها خصوصاً إذا قرأت تعليق الرضي عليها و بالأخص تعليقه على الكلمة (٤٦٦) وهي قوله عليه السلام: (العين وكاء السّه) حيث قال: «وهذا من الاستعارات العجيبة كأنّه يشبّه السّه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء» قال: «وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقدرواه قوم عن أميرالمؤمنين عليه السّلام وذكر ذلك المبرّد في كتاب (المقتضب) في باب اللفظ بالحروف، وقدتكلّمنا عن هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم (مجازات الآثار النبويّة)».

وكتاب (مجازات الآثار النبويّة) أو (المجازات النبويّة) كما يسمّى أحياناً من كتب الرضي الّتي لايختلف فيها اثنان، يضاف الى ذلك أن الرضي ذكر هذه الكلمة في المجازات ص٢٠٨ وعلّق عليها بقوله: «ومن الناس من ينسب هذا الكلام لأميرالمؤمنين عليه السلام وقدذكر ذلك محمّدبن يزيد المبرّد في كتاب (المقتضب) في (باب اللّفظ بالحروف) وفي الأظهر الأشهر أنّه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم».

فتراه احتاط في نقل الكلام في (المجازات) كما احتاط في نقله في (النهج) وقارن بين التعليقتين ليظهر لكن أن الّذي ألحق هذه الكلمات الرضي نفسه، وزد على ذلك أنّها مروية في كتب غير نهج البلاغة كما ذكرنا ذلك في «المصادر».

بقي شيء آخر لابدَّ من التنبيه عليه، وهو اختلاف ترتيب نسخ النهج بتقديم بعض الخطب والكلمات في نسخة وتأخيرها في نسخة أخرى والسبب في ذلك انَّ بعض النسّاخ كتب الخطبة اللاحقة قبل السابقة سهواً ثمَّ تنبّه فكتب السابقة بعد اللاحقة

من دون تنبيه فجاء من بعده فنقلها كما وجدها وهذا لايضرّ، ولايقلل من أهمّية الكتاب ولايقدح في نسبه بعد الاتفاق على انَّ كلّ واحدة من نسخ (النهج) اشتملت على مااشتملت عليه الأخرى، وقلّ أن يخلو كتاب من ذلك، ونظرة واحدة في هوامش الكتب الّتي تطبع طباعة فنية في هذا الزمن لنرى تعليقات المحققين والمصحّحين واشاراتهم الى اختلاف النسخ.

وانّما نبّهنا على ذلك كي لايتورط أحد فيما تورّط به الشيخ محي الدّين الخياط فعلّق على النسخة الّتي عليها شرح العلامة الشيخ محمد عبده المطبوعة على نفقة محمّد كمال بكداش حيث قال في ص٣٨٨ من الجزء الأوّل: «لم يذكر ابن أبي الحديد هذه الخطبة يعني الخطبة (١٨٥) الّتي أوّلها (الحمد لله الّذي لا تدركه الشواهد) ومابعدها الى الخطبة الّتي أولها (روي أنَّ صاحباً لأميرالمؤمنين عليه السلام يقال له همام) قال: «ولذلك لا ترى كلاماً» بعد الآن لابن أبي الحديد أن تمرّ هذه الخطبة» انتهى كلام الخياط مع أنَّ الخطبة الّتي أشار إليها ومابعدها كلّها مذكورة في شرح ابن أبي الحديد غير أنَّ نسخة ابن أبي الحديد من (النهج) تختلف عن غيرهافي التّرتيب وبحسبك أن تقارن بين نسخة الخيّاط من ص٣٨٨ الى ص٤٣٢ من الجزء الأوّل و بين شرح ابن أبي الحديد ص١٩٤ الى ص٢٤٥ من المجلّد الثالث لترى كيف وقع الخيّاط في هذا الوهم[٧].

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

١ ــ شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد مجلّد ٣، ص٩٢ طبعة بيروت، دار احياء التراث العربي.
٢ ــ حكى بعض العلماء أن ميثم حيثما وجد فهو بكسر الميم إلاّ ميثم البحراني فانّه بفتحها.
٤ ــ مقدّمة نهج البلاغة تحقيق محمّد أبوالفضل ابراهيم ص٢١ طبعة مصر.
٥ ــ شرح نهج البلاغة مجلّد ٢ ص٣٤٢ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت.
٦ ــ شرح نهج البلاغة م٤/ــ
٧ ــ وانظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١٩٩/١.

خواطر مستوحاة من مطالعة

نهج البلاغة

الحاج الشيخ توري

داكار، سنغال

بسم الله الرحمن الرحيم

«نهج البلاغة نهج المسلمين الى الوحدة والسيادة والمجد»

« وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا لايشبه خلقا جسدانيا فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني فخلعه عن غاشيات الطبيعة، وسمابه الى الملكوت الاعلى، ونما به الى مشهد النور الاجلى، وسكن به الى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس. وأنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الامة يعرفهم مواقع الصواب، و يبصرهم مواضع الارتياب، و يرشدهم الى دقات السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، و يرتفع بهم الى منصات الرئاسة، و يصعدهم شرف التدبير، و يشرف بهم على حسن المصير. ذلك الكتاب الجليل هو جملة ماختاره السيدالشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه».

وردت هذه في الكلمة التي قدم بها الاستاذ الامام محمدعبده شرحه لنهج البلاغة (طبع المؤسسة الاعلى للمطبوعات بيروت ـ لبنان).

شهادة ليست كالشهادات التقريظية المعروفة، انها في اغلبها تصدر عن رغبة في المجاملة وقلما تكون عن تقدير صادق، انها شهادة مندهش منبهر أمام كتاب لايعرف له مثيلا. انها شهادة العالم المصلح المصرى الشهير الاستاذ الامام محمدعبده، شيخ الازهر

ومفتي الديار المصرية سابقا. يشهد عن خبرة وتجربة بعد اطالة النظر والفكر.

وخطيب الحكمة المنادي بأعلياء الكلمة وأولياء أمر الامة لتعريفهم مواقع الصواب وتبصيرهم مواضع الارتياب، وارشادهم الى دقات السياسة، واهدائهم طرق الكياسة، والارتفاع بهم الى منصات الرئاسة، وتصعيدهم شرف التدبير، والاشراف بهم على حسن المصير» هوالذي كرم الله وجهه، فلم يسجد قط لصنم، ولم يعبد حتى في صباه غير الله. وهوالوحيد الذي رباه الرسول الاكرم في بيته بنفسه، وعلمه من علمه اللدني، فارتوى منه حتى لقبه قائلا: «أنامدينة العلم وعلي بابه» وهو ابن عمه الذي زوّجه بأحب بناته. وهوالذي تطوع وأخذ مكانه على فراشه ليلة المؤامرة لاقتدائه بنفسه، ولم يزل يلازمه في جل تقلباته في حله وسفره. وتكوّن بذلك على مثاله الفريد تكوينا نبويا خاصا أعدّه ليكون له عن استحقاق بمنزلة هارون لموسى. وهو مدمّر رؤوس الكفار ورافع رأية الاسلام كرم الله وجهه.

ان الرتبة الفريدة، - الثالثة - التي يعتليها كتاب نهج البلاغة بعد كتاب الله وسنة رسوله، باعتراف جميع العلماء على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، كمنزلة صاحبه على بن ابي طالب عليه السلام من الرسول دون بقية الصحابه.

لايعرف أحد لاي كتاب آخر مثلما لنهج البلاغة من دقة النظر وصدقه وعمقه وشموليته، ودوام صلاحية تصويراته وتحليلاته وحلوله المقترحة للناس والاشياء والحقائق والمشاكل في كل زمان ومكان.

فكل جملة من جمل أغلب مواضع الكتاب تذكّر إما آية قرآنية أو حديثا نبويا كما لوضعت تلخيصا أو تفسيرا للاية أو الحديث. ان نهج البلاغة فضلا عن كونه يهدى الى فهم القرآن والسنة الفهم الصحيح السليم، فانه يصلح أن يكون ميزانا توزن به السنة لتمييز الصحيح منها من المزيف. ولاغرو في ذلك، لان صاحبه، كرم الله وجهه، كمايقول محمدعبده في موضع آخر، كاتب وحي الرسول وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته واحفظهم لقوله... ولازمه فتيا ويافعا في غدوّة ورواحه، وسلمه وحربه حتى تخلق بأخلاقه، واتسم بصفاته وفقه عنه الدين، وثقف مانزل به الروح الامين. فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم وأدقهم في الفتيا، وأقربهم الى الصواب. وحتى قال عمر: «لابقيت لمعضلة ليس فيها أبوالحسن» أو «لولا علي لهلك عمر». والميزان الذي قدمه لمن سأله عن أحايث البدع وعما في أيدى الناس من اختلاف الخبر لازال ولن يزال أحسن الميزان لمن يتعامل مع السنة:

« إن في أيدى الناس حقا و باطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما. ولقد كذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيبا: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وانما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس رجل منافق مظهر للايمان، متصنع بالاسلام لايتأثم ولايتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوه منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقوله وقد أخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ، ووصفهم بماوصفهم به لك . ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا الى ائمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا. وانما الناس مع الملوك والدنيا الامن عصم الله فهو من أحد الاربعة.

- ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوَهِمَ فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه و يرويه و يعمل به و يقول أناسمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو علم المسلمون انه وَهِمَ فيه لم يقبلوه، ولو علم هو انه كذلك لرفضه.

- ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لايعلم اوسمعه ينهى عن شيء ثم أمر به، وهو لايعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون اذ سمعوا منه انه منسوخ لرفضوه.

- وآخر رابع، لم يكذب على الله ولاعلى رسوله مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يَهِم، بل حفظ ماسمع على وجهه فجاء به على ماسمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان، فكلام خاص و كلام عام فيسمعه من لايعرف ماعنى الله به، ولاماعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السامع و يوجهه على غيرمعرفة بمعناه وماقصد به وما خرج من اجله. وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأله و يستفهمه حتى ان كانوا يحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا. وكان لايمر بي من ذلك شئ الا سألتُ عنه وحفظته. فهذه وجود ماعليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم».

(الجزء الثاني / ص١٨٨ - ١٩١)

وقد لخص الامام كل هذا بجملة واحدة بقوله عليه السلام في رسالته الشهيرة الى الاشتر النخعي: «والرد الى الرسول، الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة»

اليس هاهنا جل الاسباب الرئيسية للخلافات والتفرق بين المذاهب الاسلامية سيما بين السنة والشيعة؟. وهاهنا ايضاً أعني في تفهم درس الامام هذا، واستخلاص النتائج المنطقية. منه وسائل تسوية هذه الخلافات.

ان الموضوع المفضل عندالامام وهوالذى لايخلو منه خطبة ولاخطاب ولارسالة ولااي من تعليماته عليه السلام، و يشغل ثلثي نهج البلاغة على أقل تقدير، هو التوحيد وتصور ذات الله تعالى وصفاته التي ضل فيها كثير من المتكلمين والفلاسفة المسلمين. وقد أفحم اميرالمؤمنين في هذا الباب الماديين والدهريين القدماء منهم والمعاصرين ولم يترك لمتفلسف ولامتكلم لامعتزلي ولاأشعري الا لغو الكلام.

ولقد وقع بعض الباحثين في خطإ فاحش حينما استدلوا باستمرارية صلاحية لغة نهج البلاغة واسلوبه الى التشكيك في صحة نسبته الى الامام. فان هذه الظاهرة المتجلية حقا على صورة كلام الامام والتي نجدها على المعنى والمضمون اجلى وأصدق، ترجع الى حقيقة تاريخية أكيدة. الاوهي المنبع الالهي المحمدي الذى كان الامام علي يأخذ عنه مباشرة. والجهل بهذا الواقع او تجاهله هوالذي أضل كثيراً ومنع كثيراً من المسلمين سنة وشيعة من الاستفادة بالكتاب والاهتداء به كما ينبغي لتحقيق وحدتهم الضرورية لاعادة مجدهم المنشود.

يتناول الامام مثلا، حالة العلماء والقضاة ومشكلة استقلال العلم والسلطة القضائية عن الحكم والحكماء في زمنه، فلا تشك انه يصور الحالة البئيسة الراهنة التي نعيشها اليوم في كل بلدان العالم الاسلامي:

«ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلافة، ثم يجتمع القضاة بذلك عندالامام الذي استقصاهم فيصوب آراءهم جميعا» (ص ٥١-٥٥ من الجزء الاول).

وفي ميدان العلوم السياسية والاجتماعية، لم يشق بعد غبار «نهج البلاغة». ففي رسالة عبدالله علي بن ابي طالب اميرالمؤمنين عليه السلام الى واليه في مصر مالك بن الحارث الاشتر النخعي، نرى عجب العجاب، نرى كيف أن أفضل المتبحرين في هذا الميدان في كل انحاء الدنيا، مازالوا بعيدين جدا عن شأوه كرم الله وجهه،:

ـ تصنيعاً و ترتيبا في غاية من الدقة والصدق والشمول لكل الفئات العاملين

والمحكومين للدولة من:

«جنودالله و كتاب العامة والخاصة، و قضاة العدل وعمال الانصاف والرفق، واهل الجزية والخراج، والتجار واهل الصناعات، والطبقة السفلى من ذوالحاجات والمسكنة»

- مع وصف دقيق لخصائص واخلاق و متميزات وميول كل واحدة منها، وتحديد ادوارها ومالها وماعليها من الحقوق والواجبات تجاه الدولة والمجتمع، مع التوجيه الى أصدق المواصفات التي يجب مراعاتها في اختيار من يستخدم منهم، كل ذلك دفعا للظلم والجور، ومنعا للفساد، وتحقيقاً للعدالة والامن والعمار للبلاد والعباد.

وليسمح لى بذكر فقرات من تلك التوجيهات السياسية العلوية التي نحن اليوم في أشد الحاجة اليها والتي تبرز تفوق السياسة الاسلامية على كل مايتبجح بها الغرب والمتغربون.

للحاكم يقول الامام: «أمره بتقوى الله وايثار طاعته». نعم فان تقوى الله وليس الدهاء والكياسة كمايظن الماديون، هو أهم ميزة الحاكم الافضل.

«وامره أن يكسر نفسه من الشهوات... أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم... فانهم صنفان إما أخ لك في الدين وإمانظير لك في الخلق... وقد استكفاك (الله) أمرهم وابتلاك بهم... فلا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن الى بادرة... ومن ظلم عبادالله كان الله خصمه... وليس شيءأدعى الى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من اقامة على ظلم... والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لايطروك ولايبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهور وتدني من العزة... اياك والاعجاب بنفسك والثقة بمايعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان... اياك والمن على رعيتك باحسانكأوالتزيد بما كان من قبلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بالخلف فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عندالله والناس... اياك والعجلة بالامور قبل أوانها أو التسقط فيها عند امكانها... واياك والاستئثار بماالناس فيها أسوة... الحذر الحذر من العدو بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل...

يحذره من البطانة والخاصة، أى الاعيان و يوصيه بالعامة، أي الجماهير ليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم بمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها، وليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق واعمهافي العدل واجمعها

لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضي الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة... وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة في البلاء وأكره للانصاف وأسأل بالالحاف وأقل شكرا عند الاعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وانما عماد الدين و جماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة. فليكن صغوك لهم وميلك معهم... ان أفضل قرة عين الولاة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية... ولايدعونك شرف امرئ الى أن تعظم من بلائه ماكان صغيرا، ولاضعة امرئ الى أن تستصغر من بلائه ماكان عظيما... ان للوالي خاصة و بطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحدى حاشيتك وحامتك قطيعة.

و يقول الامام بخصوص التجار، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار فان رسول الله منع منه. وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع...

ويمنع الاحتجاب عن الناس... وأمابعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه اوفعل كريم تسديه.

و يأمر باعارة اهتمام خاص بعمارة البلاد وتحقيق الرفاهية والرأفة بالرعية... وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد... فإن شكوا ثقلا أو علة أوانقطاع شرب أو بالة أو احالة أرض اغتمرها غرق أوأجحف بها عطش خففت عنهم ولايثقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعود به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك ... إنما يؤتي خراب الارض من إعوار أهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس الولاة على الجمع وسوء الظن بالبقاء.

احوج الجميع الى الانصاف الطبقة السفلى... ثم اتق الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمني... فلا تشخص همك عنهم... وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال. فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم. وتعهد اهل اليتم و ذوى الرقة

في السن ممن لاحيلة لهم... اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما... وتقعد عنهم جنودك وأعوانك من حرسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غيرمتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لن تقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غيرمتعتع» ثم احتمل الخرق منهم والعي ونحِّ عنك الضيق والانف.

تساوي القوي والضعيف
في
نهج الإمام علي ((ع)) بالحق

الشيخ سليمان يحفوفي

لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحدٍ من خلقه، واحتار آدم(ع) خيرة منهم وجعله أول جِبِلَّته، وأسكنه أرضه وجعله خليفتُه ليعمرها بنسله وليقيم الحجة به على عباده.

فساوى بينهم في الخلق عدلاً منه وإنصافاً، وأمرهم باتباع الحق حفظاً لهم من التفرق والضلال. وأرسل رسله ليعبدوا من أخذه الكبر على أمثاله من أبناء أمه وأبيه إلى صوابه ويذكروه منسيَّ نعمة ربه ويستأدوه ميثاق فطرته، فقد ساوى سبحانه بينهم في الخلق كماتساووا في الميثاق.

تساوى القوي والضعيف في نهج الامام علي(ع) بالحق

نهج إلإمام (ع) في التساوي بين الاقوياء والضعفاء في الحقوق من مبدأ التساوى في الخلق. والتفاضل في التقوى. فالمنشأ واحد يتساوى فيه الجميع، والمصير كذلك والدنيا دار ابتلاء وامتحان ليميّز الله الخبيث من الطيب وتجزى كل نفس بما كسبت.

وعلى هذا المنوال نسج الامام عدالته وساوى بين الحقوق والواجبات.

وقد ركز اهتمامه على أربع نقاط ليتمكن من تثبيت دعائم الحق ونشر لوائه وحفظه لأصحابه وهي كمايلي:

اولاً ـ عالج الاسباب الداعية للاعتداء

ثانياً ـ استثار النفوس لتحريك مواطن الخير فيها لتحافظ على الحقوق تلقائياً

ثالثاً ـ رسم خطة أسلوباً عمل لاعادة الحقوق لأصحابها حال الاعتداء عليها.

رابعاً ـ باشر شخصيا تطبيق الاسلوب تنفيذ الخطة فدفع حياته الشريفة ثمن العدالة. وابقاها نصراً أبدياً تتحدث به الأجيال و تقتديه الحكماء.

النقطة الأولى:

الاسباب الداعية للاعتداء على الحقوق.

خلق الانسان ضعيفا. والضعف مركب نقص فيه يحاول أن يسده، يسعى للكمال فيعجزه القصد، ـ فمنال الكمال بعيد ودربه شاق ـ فيمتلئ حقداً.

يأكل الحقد نفسه، فينتصب عدواً لكل معاني السمو في الحياة.

تثور نفسه ـ يغذيها قيحها المخزون ـ كلما سمع باسم الكمال أو نسب إلى أحد غيره، و يروح ينتقص الكامل و يضع للكمال أسماء جديدة تتلاءم وحقده الدفين.

فاذا رأى صفة كمال تشع من نفس مستضعفة، ثارت عصبيته، وهاجت حميته، وتفجر كبرياؤه، فلبس الحمية، وتسربل العصبية، وادرع الكبرياء.

كبرياء، وعصبية، وحمية! تلك بذور اعتداء القوي على حقوق الضعيف. وضع الامام يده عليها فأراد اقتلاعها من الجذور قبل أن تمتد في الأعماق أوتستعصي في النفوس.

قال عليه السلام:

«فاعتبروا بما كان من فعل إبليس إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد».

ـ وكان عبدالله ستة الاف سنة، لايدرى أمن سني الدنيا أم من سني الاخرة ـ عن كبر ساعة واحدة. فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟

فاحذروا عباد الله عدوُّ الله أن يعديكم بدائه، وأن يستفزكم بندائه»[١]

فوضع (ع) يده على الداء، وأحكم له الدواء.

حرك خلايا النفس لتُفرز فضلاتها، وناجي خباياها لتشد أوتارها، واستثار خفاياها لتصدح بأعذب الحانها، وتغني نشيد الحريه والاخاء على مسرح العدالة والمساواة، و يصبح دستوراً مقدساً في الحياة، تردده الأجيالُ أبدَالاباد.

النقطة الثانية:

استثارة النفوس للمحافظة تلقائياً على حقوق الاخرين

١ـ خطبة ـ ١٩٢ـ

يرسم الامام(ع) النقطة الثانية جنب رفيقتها داخل الإطار فيُبدع التصوير. فريشته عطاء نُفس. وألوانُه مدادُ قلب. وتصويره بلاغة لسان.

«فأطفئوا ما كَمَن في قلوبكم من نيران العصبية، وأحقاد الجاهلية، فانما تلك الحمية تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونخواته، ونزغاته، ونفثاته.
واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم، وإلقاء التعزر تحت أقدامكم، وخلع التكبر من أعناقكم»

فإطفاء نُيرانِ العصبية وأحقاد الجاهلية تقتل نوازع الشيطان وتحمى المرء من الوقوع في حبائله، بينما يرتفع بالإنسان تواضعه مراتب الكمال والعزة. لان المتكبر تهوي به خصاله في واد سحيق من الذلة والمهانة كمايصوره(ع):

«ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه من غير مافضلٍ جعله الله فيه سوى ما ألحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسد، وقَدَحتِ الحميةُ في قلبه من نارالغضب، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذى أعقبه الله به الندامة. وألزمه آثامَ القاتلين يومَ القيامة»

فالتكبر يثير روح الحقد والحسد والبغضاء. و يبعث حمية الانتقام من الفضائل بافناء شخص حاملها.

بينما التواضع يرفع صاحبة إلى مقام المتكبر الجبار ليستمد منه القوة، ويحمي به ضعفه، فيزدادُ كمالاً وعبوديةً ليجبر ضعفه و يسد نقصه، و يفترق التكبر عن التواضع في وحدة الهدف، واختلاف المسير.

فذايستر ضعفه و يسد نقصه بالتماس القوة والمعونة من مالكها، فيذل له نفسه و يتواضع طلباً للقوة والكمال.

وذا يتكبر و يتجبر و ينازع مالكهما سلطانه ليسد نقصه وضعفه، فيهوي في حنادس الليل البهيم، وظلام الجهل المقيت.

«ألا وقد أمعنتم في البغي، وأفسدتم في الارض، مصارحة لله بالمناصبة، ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة.
فالله، الله! في كبر الحمية وفخرالجاهلية، فإنها ملاقح الشنآن، ومنافخ الشيطان التي خدع بها الأمم الماضية»

فالاجتناب عن هذه المزالق يوصل إلى بُغى النفس و يرفعها إلى أسمى مرتقى من الشعور الإنساني، ملتحقة بالرعيل الأول الذين بلغوا السماء رفعة ومجداً بتواضعهم ومفارقتها تهوى بها (خلاف رغبتها وتتركها تتخبط) في ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان.

«ألا فالحذر الجذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا على حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم، وألقوا الهجينة على ربهم، وجاهدوا الله على ماصنع بهم. مكابرة لقضائه و مغالبة لالائه، فإنهم قواعد أساس العصبية، ودعائم أركان الفتنة، فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته».

فالمستكبرون نازعوا الله سلطانه وألقوا الهجينة عليه وزاموامدخللهم وسترنقصهم بالمجاحدة والمكابرة فأذاقهم لباس الذلة والخوف ورمى بهم في عذاب شديد.

وأما المتواضعون فكانوا خيرة الله يسموبهم ضعفهم إلى قربه ويحلهم المحل الاعلى بجنبه ايستمدون منه قوتهم، ويجبرون به ضعفهم، و يرفعون بخضوعهم استضعافهم، والاستضعاف يلجئ النفس لركن حريز وملاذ أمين، وهكذا كان أنبياء الله.

«فلورخص في الكبر لأحد من عباده، لرخص فيه لخاصة أنبيائه وأوليائه، ولكنه سبحانه كرةً إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين»

فبلغوا باستضعافهم غاية القوة، واسمى الرفعة فهم يستمدون قوتهم من نبع فياض لايدرك غوزه، ولايعرف عمقه، ولا تبلغ غايته، كلما اغترف منه تفجرت عيون، وكلما أخذ منه زاد تدفقاً.

وتزداد قوة الأنبياء والأولياء كلما ازدادوا استضعافاً وخشوعاً وتذللاً

و«لقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون(ع) على فرعون، وعليها مدارع الصوف. وبأيديها العصيُّ، فشرطا له -إن اسلم- بقاء ملكه ودوام عزه. فقال: ألا تعجبون من هذين يشرطان لى دوام العز وبقاء الملئوهما بماترون من حال الفقر والذل، فهلا ألقى عليها أساورة من ذهب»

فجعل الذهب المعيار، والإنسان المحصول، وفاته أن الإنسان محصول روحي معياره القيم، ومتى قيس بغيرها أصبح عرضاً (يقاس بالأوزان والمكاييل) شأن محاصيل الأرض والزروع والضروع.

«ولو أراد الله سبحانه لأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذّهبان، ومعادن العقيان، ومغارس الجنان لفعل. ولوفعل لسقط البلاء وبطل الجزاء.
ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفةً فيماترى الأعين من حالاتهم. مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى»

فلوكانت المقاييس كلها بالمكاييل لاضمحلت القيم وتبدلت المفاهيم وانقلب الانسان منكوساً، وفقدت الاسماء معانيها والمسميات مدلولاتها.

ولغدا الارتباط مادياً محضاً مصدره الرهبة وغايته الرغبة. وأما القيم الروحية التي تغذى النفس بلذة التأمل وخشوع الاستسلام وراحة الاستكانة لله فلارابط لها بل لاوجود لانعدام معاييرها المادية.

ولكن الروابط الروحية أمتن من الروابط المادية. وعلاقة الروح بمبدئها لا تنفصم وخطوط إمدادها وتغذيتها لا تنقطع ولوتقطعت جميع العلائق المادية والارتباطات الأرضية فروابط الانبياء والأولياء هي العزائم والأرواح لاالنفائس والاشباح.

فـ«لوكان الانبياء أهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، وملك تمدُّ له الاعناق، وتشد إليه عقدالرحال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعدلهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم. أورغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة، والحسنات مقتسمة»

وهذه الروابط المادية تتقطع بانقطاع مصدرها وتزول بزوال مادتها.

وأما العلاقات التي لا تنفصم هي العلاقات الوثيقة المبنية على الضعف المطلق من جانب والقوة المطلقة في الجانب الاخر، والحاجة المستمرة من جهة، والعطاء المتواصل في الجهة الثانية.

«ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره والاستسلام لطاعته، أمورلهخاصة لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم. كانت المثوبة والجزاء أجزل»

مناجاة نفس تجعلها تذوب شوقاً

النقطة الثالثة

خطة العمل لأعادة الحقوق لأصحابها

تبتني خطة عمل الإمام(ع) على أربعة أمور وهي : مقدمتان ونتيجة، وأسلوب

المقدمة الأولى : تساوى الناس في الخلق

المقدمة الثانية: تساويهم في الحق

النتيجة : وجوب المحافظة على جميع الحقوق

الاسلوب: يؤخذ الحق بالقهر آخر المطاف.

المقدمة الأولى:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً جمع من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة

سنَّها بالماء ـ فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول... ثم نفخ فيها من روحه فمُثُلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها ـ ومعرفةٍ يفرق بها بين الحق والباطل ـ وأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية»[١]

فمبدأ الخلق كان بالمخلوق الأول صاحب الذهن والفكر والمعرفة التي يفرق بها بين الحق والباطل فيصدر أوامره للجوارح فتمتثل أمره ذاهبة إلى مايريد وعلى هذا المنوال تكاثرت البشرية وتعاقبت لتستكمل تحقيق خلافتها على الأرض.

وبدأ الانحراف في النفوس المريضة فتصدت له مسيرة الأنبياء لتعيدهم إلى صوابهم.

«واصطفى سبحانه من وَلده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لمابدَّل اكثر خلقه عهدالله إليهم فجهلوا حقه... فبعث فيهم رسله، ليستأدوهم ميثاق فطرته»

فالمبعوثون متساوون مع المبعوث إليهم في الحقوق والواجبات ولكنهم أشد عزيمة وأقوى مضاء في المحافظة على الحق والميثاق.

المقدمة الثانية

تساوي الناس في الحق

الحقوق متبادلة بين الله والناس وبينهم بعضهم بعضاً

يقول (ع) في الحقوق بين الله والناس:

«أوصيكم بتقوى الله، فانها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله.»[٢]

أما الحقوق المتبادلة بين الناس بعضهم بعضاً فهي من أعظم الحرمات التي تجب رعايتها لأنها حياة المجتمع وبقاؤه ودوامه، فاذاهتكت حرمتها انتكس المجتمع وأصبح في النزع الأخير.

يقول (ع):

«ثم جعل ـ سبحانه ـ من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها

١ـ خطبة ـ ١ـ

٢ـ خطبة ـ ١٩١ـ

تتكافأ في وجوهها و يوجب بعضها بعضاً، ولايستوجب بعضها إلابعض»[١]

فالحقوق بين الناس متساو ية متبادلة، لايحفظ حق إلا باداء واجب، ولايؤدى واجب إلا باعطاء حق، «ومن قضى حق من لايقضي حقه فقد عبده»[٢] لخروجه على نظام تكافؤ الحقوق وتساويها.

«فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لايجري لأحد إلاجرى عليه، ولايجرى عليه إلا جرى له.»

فالحق في التناصف لا التواصف ولايكون إلا بالتبادل حتى تستقيم الأمور و ينتظم الوجود، وأعظم الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي.

«فليست تصلح الرعية إلابصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالى حقه وأدى الوالى اليها حقها عزَّ الحق بينهم... واعتدلت معالم العدل... فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، و يئست مطامع الاعداء»

فتبادل الحقوق المتساو ية. حياة المجتمع ودوام الأمة، وازدهار الدولة بينما الاجحاف بهاموت المجتمع وإحلال الفوضى والفساد وتحكيم الأشرار.

«واذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثرت علل النفوس، فلايستوحش لعظيم حق عطل، ولالعظيم باطل فعل! فهنالك تذل الأبرار وتعز الاشرار»

النتيجة :

وجوب المحافظة على جميع الحقوق.

لمّا كانت الحقوق متساو ية فلايجري لأحد حق إلاَّ جرى عليه حق (عليه) ومتبادلة كذلك فلايجري عليه حق إلاَّ جرى له حق. فالاحتفاظ بعدالة الحياة وحياة العدل هي التقابل بين الحق والحق والتبادل بينهما فلايؤخذ حق إلاَّ بإعطاء حق ولايعطى حق إلاَّ بأخذ حق، و يكون التساوي بين الحقوق والواجبات نبض الحياة الدائم وإيقافه إيقاف الدورة الدمو ية عن الجريان بعروق الأفراد، و بذلك يموت المجتمع وتظهر معالم الجور و يكثر

١- خطبة - ٢١٦-
٢- حكم - ١٦٤-

الفساد من عزة الأشرار وذلة الأبرار.

فوجوب المحافظة على جميع الحقوق شريان الحياة (الذي يضخ القلب به الدماء الطازجة المتبادلة) بين الحقوق والواجبات.

«فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، فليس أحدُ ببالغٍ حقيقة ماالله سبحانه أهله من الطاعة له»

«ولكن من واجب حقوق الله على عباده، النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤ بفوق أن يعان على ماحمّله الله من حقه»

فتجب المحافظة على الحقوق ليبقى شريان الحياة ينقل الدماء لجسم الأمة وقد أخذها الله ميثاقاً بين أفرادها كمايقول(ع):

«وما أخذ الله على العلماء ألاّيقارّوا على كِظَّةِ ظالم ولاسَغَبِ مظلوم»[1]

فواجب العلماء المحافظة على تبادل الحقوق والواجبات حتى يستمر رفق الحياة يسرى في أوصال الافراد. فإن إقرار العلماء ومحاباتهم الظالم قطع لمادة الحياة عن المظلوم وإفناؤه، وخيانة لحقوق الله وميثاقه.

الأسلوب

اسلوب استنقاذ الحقوق لأصحابها من مغتصبيها يتدرج من مرحلة معالجة أسباب الاعتداء، إلى علاج الانفس واثارة منابع الخير فيها لتغلب إرادتها دواعي الشر، ومع عدم جدوى ذلك فلابد من حسم الأمر بنفس الاسلوب الذي سبب الاعتداء على حق الاخرين.

فالظالم إنما ظلم بفضل قوته على المظلوم، جاعلاً منها معياراً يفرق فيه بين الحق والباطل، فماستطاعه حق، وماعجز عنه باطل، ولن يتنازل عن ظلمه ظالما يجد لاستمساكها سبيلاً.

فاستنقاذ الحق منه في مثل حاله من أصعب الأمور مشقةً وأشدها خطورةً اذ لن يتراجع عن اعتدائه إلا بقوة اعظم ترغمه على ذلك وهنا يقع التصادم وتسال دماء.

قال (ع):

« إن أحقَّ الناسِ بهذا الأمر أقواهُم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب

١- خطبة - ٣ -

استعتب. فإن أبى قوتل»[١]

فالقوة كما تُعتمد للاعتداء تسخر لدفعه لأن الشاغب يستعتب والسيف يلمع فوق رأسه، فإن أبى فضربةٌ تعيد الحق لنصابه، وترد الظالم لصوابه.

«وأيْم اللهِ لأُنصفنَّ المظلومَ من ظالمه، ولأقودنَّ الظالمَ بِخِزامته حتى أوردَه مَنهَل الحق وإن كان كارهاً»[٢]

فلاقوة إلا للحق ولاذلة إلا للباطل.

فـ«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقوى عندى ضعيف، حتى آخذ الحق منه»[٣]

لقد عاد المعيار هو كما كان، والقوة تخدمه، وهوت المعايير الباطلة المستندة على القوة هويَّ الباطل في قعر سحيق إثر طعنة نجلاء أخرجت الحق من خاصرة الباطل.

«وايمُ الله، لأبقُرنَّ الباطلَ حتى أُخرج الحق من خاصرته»[٤]

ثم أتتبعه حتى أعيده كما كان

«والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء لرددته. فإن في العدل سعةً، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[٥]

خطة صارمة عادلة لايمكن لسواها أن تعدل الموازين، فعندمايستضعف الحق يبتلعه الباطل بقوته ويختزنه في جوفه، فيغدو رهين قوة مختزنة، ولايفُك إسارة إلا طعنة تبقر بطن الباطل لتُخرج الحق من رهانه الحزين، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق. إذ أن ظلمه قوياً ستشرع باب الطلم أمام غيره ليغدو مظلوماً ضعيفاً، فليست القوة الظالمة وقفاً عليه، وانتقالها لغيره سيحيله مستضعفاً يرسف بضيق الجور الذي سنه نظاماً للحياة.

ففي العدل سعة العالمين، والباطل يضيق عن غير ذوى البطش والجبروت.

«فلئن أمِرَ الباطلُ لَقديماً فعل، ولئن قل الحق فلربما ولعل»[٦]

فالحق لن يستعاد بالأماني والدعوات طالما صمَّت آذان الظالمين، وإنما السيف هو

١- خطبة - ١٧٣-
٢- كلام - ١٣٦-
٣- كلام - ٣٧-
٤- خطبة - ١٠٤-
٥- كلام - ١٥ -
٦- كلام - ١٦-

الحكم العدل في إمارة المفسدين.

«فان أبَوا أعطيتُهم حدالسيف وكفى به شافياً من الباطل، وناصراً للحق»[١]

وان نبا السيف، فالحق لايخضع، وإن أُخضع فهو لايُستدل، وإن استذل صرع وإن صرع أهلك فأهوى بالمصروع إلى النار.

«من صارع الحقّ صرعه»[٢] و«من أبدى صفحته للحق هلك»[٣] «ومن أكله الباطلُ فإلى النار»[٤]

وإن تكالبت الأكلة على الحق، فلن تجد شافياً إلامسح السوق والأعناق.

«أضربُ بالمقبل إلى الحق، المدبِرَ عنه، وبالسامع المطيع، العاصي المريب أبداً حتى يأتي عليَّ يومي»[٥]

غير هيابٍ من ضلالهم وتكالبهم على الباطل ولو ملأوا الارض عداً والجبال جنداً فالحق انس وحشتي ومصدر قوتي ونصير وحدتي.

«ألا ومن أكله الحق فإلى الجنة»

«إني والله لولقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلها مابالیت، ولااستوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي و يقين من ربي»[٦]

فعلام التخاذل والحق أنيس ونصير وشفيع؟ ولقد حدث عن رسول الله(ص) فقال:

«يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولاعاذر فيلق في نارجهنم، فيدورفيها كماتدورالرحى ثم يرتبط في قعرها».[٧]

النقطة الرابعة

ممارسة الأسلوب

«واللهِ لأن أبيتَ على حسك السّعدان مسهداً أو أجرَّ في الاغلال مصفدا، أحبُّ

١- خطبة - ٢٢-
٢- حكم - ٤٠٨-
٣- حكم - ١٨٨-
٤- رسائل - ١٧-
٥- خطبة - ٦-
٦- رسائل - ٦٢-
٧- كلام - ١٦٤-

إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أوغاصباً لشئ من الحطام»[١]

تنبع ممارسة الاسلوب من إيمان عميق في النفس، و شعورٍ حاضر باستمرار، و يترجم الإيمان عملاً، والشعور التزاماً، والمجموع نظام حياة.

و ينتصب عمادالحق معتمداً على أركانه الثلاث. إيمان وعمل والتزام.

«والله، ما احثكم على طاعة إلا وأسبقكم اليها، ولاأنهاكم عن معصيةٍ إلا وأتناهى قبلكم عنها»[٢]

و يغدو نظام الحياة يحبك بنفس المنوال، فتخصف نعلٌ عتيقة غير ذي قيمة بمخرز الحياة الخالدة التي ترفعها فوق قيمة الحياة الامرة المتسلطة.

«والله لهي أحبُ إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً، أو أدفعَ باطلاً» [٣]

و يصبح القائد العامل والقدوة، فيتساقط العاملون دون عمله، و يقصر المقتدون عن اللحاق به ودائماً يرتفع العظماء حتى تضيق العظمة عن استيعابهم فتتشرف بالانتساب إليهم و ينتصبون مقياسها.

«ألا وإن لكل مأموم إماماً، يقتدي به و يستضيئ بنور علمه، ألا وإن إمامكم قداكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعمِه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بوَرَعٍ واجتهاد، وعفةٍ وسَدادٍ»[٤]

وترتسم الخطى أسلوباً يضيئ معالم الطريق. وكان عهدنا أن الأسلوب طريقاً يهدي معالم الحق.

لقد أصبحت الخطى مناراً يضيئ طريق الحق إذا درست معالمه، وأصبح كل واحد منهما يدل على صاحبه:

«فعلي مع الحق ، والحق مع علي، يدور معه حيث دار»

فمتى افتقدنا واحداً اهتدينا إليه بالاخر فهما جسد وروح وفي عالم الأحياء لايفترقان.

«هيهاتَ أن يغلبَني هواي، و يقودني جشعي إلى تخيُّرالأطعمة
- ولعل بالحجاز أو اليمامة من لاطمع له في القرص ولاعهدله بالشِّبَع-»

١- كلام - ٢٢٤-
٢- خطبة - ١٧٥-
٣- خطبة - ٣٣-
٤- رسائل - ٤٥-

«وأيمُ اللهِ - يميناً استثنى فيها بمشيئة الله - لأروضنَّ نفسي رياضةً تهشُّ معها إلى القرص إذا قَدَرتُ عليهِ مطعوماً، وتقنع بالملحِ مأدوماً»

ومضى الحق يشق طريقه الكؤود وسط عجاج الباطل الثائر، يعفي آثار الحق ويمحو معالمه حتى استمكن منه وحيداً يعوزه الناصر ويخذله المعين.

جهاد الحق

«لايَحمل هذا العَلَم إلا أهلُ البصر والصبر والعِلمِ بمواضع الحق»[١]

استفرد الحق في ساح الجهاد، فاستلأم السعادة بعيداً عن الجبناء، فلقد خذل النصبر وفارق الحميم وخان الرحم، وأشار المستضعفون برأي الاستضعاف.

وانتفض الحق مزمجراً كالليث الهصور، ليتمحور حول نفسه، ويحمي عرينه الذي لايضام. و يسفه رأى الاستضعاف الذى يؤثر السلامة والراحة على حساب الحقوق المشروعة.

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!
والله لاأطور به ماسَمَر سمير، وما أمَّ نجم في السماء نجماً»[٢]

فسوح الجهاد أبواب الجنان وهي أروى للغليل، من الخضوع للاستكبار. فمن اجتنبها طلباً للراحة سيم خسفاً وذلاً وصغاراً. وقضَّى ايامه تعباً ومشقة وشناراً، فلاراحة أصاب، ولاخطأ أدرك ،وألبس ثوب الذل والقماءة شأن كل النفوس الضعيفة.

وتعالت النفوس الكبار تسمو بالحق لمداره فداريتمحور حولها إذغدت وحدها المحور.

«إنما أهلَك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه، وأخذوهم بالباطل فاقتَدوه»[٣]

«إن الحق ثقيل مرئ وإن الباطل خفيف وبيءٌ»[٤]

وانطلق صوت الحق يدوي بعيداً في الافاق (إذشاهد مظلوماً يضطهد وحيداً، من أحب البلاد إليه إلى أبغضها لنفسه) معلناً أن الاضطهاد والنفي والإبعاد ليست مقاييس السعادة والوحشة فالسعادة سرور نفس، والوحشة ظلمتها، ولا تُظلم نفس

١- خطبة - ١٧٣-
٢- كلام - ١٢٦-
٣- رسائل - ٧٩-
٤- حكم - ٣٧٦-

تستمع بالحق، ولا تسعد نفس تتخبط في ظلمات الباطل.

«فاترك في أيديهم ماخافوك عليه. واهرب منهم بماخفتهم عليه... لايؤنسنك إلا الحق ولايوحشنك إلا الباطل»[١]

فميزان الانس هوالحق ولو في الغربة والوحدة، والباطل وحشة في الاوطان.

«ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله»[٢]

فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شِبَعهال قصير وجوعها طويل»

وقدفاتهم ما يخبئ لهم الدهر من ثأر وانتقام إذ:

«يومُ العدل على الظالم أشدُّ من يوم الجور على المظلوم»[٣]

«فوالذي لااله إلاهو إني لعلى جادَّةِ الحق، وإنهم لعلى مزلة الباطل»[٤]

فلم يجد بداً من الاحتفاظ بمحور الحق في مدلهمات الظلم كيلا ينفصل قطب البشرية عن رحاها.

«أقمتُ لكم على سَنَنِ الحقِ في جوادِّ المَضَلَّةِ، حيث تلتقون ولادليلَ، وتحتَفِرون ولا تُميهون»[٥]

ولم يترك الباطل للحق مجالاً، فقد ضيق عليه الخناق متحفزاً لالتهامه، ودارالحق حول نفسه يرتأي بين الصول بيد جدّاء والصبر على طِغيةٍ عمياء مسترسلاً في تفكير عميق فلم يسعه إلا أن يصول:

«ولقد ضربتُ أنفَ هذا الأمرِ وعينَه، وقلبتُ ظهرَه وبطنه، فلم أرَلي فيه إلا القتالَ أو الكفرَ»[٦]

لقد بلغ السيل الزبى. وأخِذَت على الحق مسالكه فلم يبق سوى حد السيف شافياً.

استشهاد الحق والعدالة

«ألا وإن الشيطان قد ذمَّرَ حزبَه واستجلب جَلَبه ليعود الجورُ إلى أوطانه، ويرجِعَ الباطِلُ إلى نصابه»[٧]

١- كلام - ١٣٠-
٢- كلام - ٢٠١-
٣- حكم - ٣٤١-
٤- كلام - ١٩٧-
٥- خطبة - ٤-
٦- كلام - ٤٣-
٧- خطبة -٢٢-

لقد حدد الحق موقفه من الأحداث فقال:

«والله لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحتَ أفلاكها على أن أعصِيَ الله في نملة أسلُبُها جُلبَ شعيرة مافعلت»[١]

وحدد الباطل موقفه فقال:

إن لله جنوداً من عسل

وتهافت الذباب على العسل مسموماً تهافته على الجيفة النتنة

«وقد عَرَفوا العدل ورأوْه، وسَمِعوه ووَعَوْهُ، وعلموا أنَّ الناسَ عندنا في الحق أُسوةٌ، فهربوا إلى الأثَرَة فبعداً لهم وشحقاً»[٢]

«إنهم - والله - لم ينفِروا من جورٍ، ولم يلحقوا بعدل»[٣]

واستصرخ الحق جنده فتخاذلوا واستثار الباطل أعوانه فبادروا من كل صوب وحدب.

«مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلاأشباح، ونساكاً بلاصلاح وأيقاظاً نوَّماً، وناظرةً عمياءَ، وناطقةً بكماء!

رايةُ ضلال قد قامت على قطبها تكيلكم بصاعها، وتخبُطُكم بباعها، قائدها خارج عن الملة، قائم على الضِلَّة، فلايبقى منكم يومئذٍ إلا ثفالة كثُفالةِ القدر، تعرُككم عرك الأديم، وتدوسُكُم دوس الحصيد»[٤]

لقد صمت الآذان وعميت الأبصار و رِان على قلوبهم ما كانوا يكسبون

«فعند ذلك أخذ الباطل مأخِذَهُ... وعَظُمتِ الطاغية وصالَ الدهر صيالَ السَّبع العقور، وتواخى الناس على الفجور، وتهاجروا على الدين، وتحابُّوا على الكَذِبِ، وتباغضوا على الصدق.

وكان أهلُ ذلك الزمان ذئاباً. وسلاطينُه سِباعاً وأوساطُه أُكّالاً، وفقراؤه أمواتاً. وغارَ الصدق وفاضَ الكَذِب... وصارالفسوقُ نَسباً، والعفافُ عجباً»[٥]

و بقي الحق يصولُ ويجول، و يتشعب الباطل في نصب الحبائل والكمائن له.

«قد أعدُّوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً»[٦]

١- كلام -٢٢٤-
٢. ٣- رسائل -٧٠-
٤- خطبة -١٠٨-
٥- خطبة -١٠٨-
٦- خطبة -١٩٤-

«فياعجباً! عجباً - والله - يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم»[١]

واستُنكرالحق «فإن اكثر الحق فيما تُنكرون»[٢] واستعيض عنه بالباطل وقديماً فعل وأصبح الحق غريباً في أوطانه

«والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القومُ عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لأسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي»[٣]

وازداد أنصار الحق تخاذلاً وإبطاء وتفرقاً حتى شنت عليهم الغارات وملكت عليهم الأوطان وحاول الحق النهوض بلاجناح فسقط كصاحب الجناح المهيض.

عاد يؤاسي جراحه بكبريائه المعهود:

«ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي»[٤]

فنفسه تتمزق حسرات، كتمزيق الحق نفسه، فهما صنوان لايفترقان.

وللإصلاح مجال ولكنه مشوب بمحاوزة الحق وهيهات أن يرقع الحق بجرثومة فساده «كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها»[٥]

«الذليلُ والله من نصرتموه... وإني لعالم بمايُصلحُكُم ويقيم أودَكم، ولكني لاأرى إصلاحكم بإفساد نفسي»[٦]

أبى له كبرياؤه أن يتنزل لحظة عن رفيع منزلته ويحكم الابد.

«فالحياة في موتكم قاهرين، والموت في حياتكم مقهورين»

واستحب ضعاف النفوس الموت في الحياة على الحياة في الموت فرضوا عيشة الذل والهوان وتفرقوا عن الحق أيدى سبا.

«وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبا»[٧]

ولم يبق سواه غريباً في أرضه ومضطهداً في أوطانه فاختار الحياة في الموت القاهر، والخلود في الوطن الثائر.

١- خطبة -٢٧-
٢- خطبة -٨٧-
٣- خطبة -٩٧-
٤- خطبة -٩٧-
٥- خطبة -١٢١-
٦- كلام - ٦٩-
٧- خطبة -٩٧-

الرحيل

«يا اشباه الرجال ولارجال!..
لوَدِدْت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندماً...
قاتلكم اللهُ! لقد ملأتم قلبي قيحاً وشحنتم صدرى غيظاً وجرعتموني نُغَبَ التهمام
أنفاساً، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان»[1]

بعد هذه الحرقة المميتة، والغربة المقيته، لامقام لمتباعدين ولاجوار المتنافرين وانتحى كل ينشد وطنه، واستحث الحق خطاه مستعجلا ساعة الوصول، وتاركاً الباطل يتخبط في ديجوره.

«اللهم إني قد مَللتهم وملوني، وسئمتُهم وسئموني - فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً مني، اللهم مِث قلوبَهم كمايماث الملحُ في الماء.
أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراسِ بن غنم.

هنالك لودعوت أتاك منهم فوارس مثلُ أرمية الحميم»

وارتحل الحق وحيداً في رحلته، سعيداً بأداء مهمته. مخلفاً بذوره المعطاء في عقول الرجال لما لم تسعها الأرض، منتظراً ايناعها بعد تفريخ،

وما أسرع ماتفاعلت الأفكار ولبت نداء الحق، فتحولت نطفاً تتغذى نداءه و تنمو على لبانه، وانطلقت كالمارد الجبار يهدر و يزأر و يزمجر

لبيك داعي الله، لبيك
لقد أجيب دعاؤك فأبدلت خيراً ممن سئمت
وأعطيت فوق ماطلبت
ودِدْتَ ألف فارس من بني فراس بن غنم
فلبباك عشرون مليونا كلهم غنم مثل أرمية الحميم يهدرون بصورت واحد كالصواعق: الله اكبر، الله اكبر

قادهم ابنك الذى عاش محنتك فالتزم خطك «كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلايعطونه، ثم يطلبونه فلايعطونه، فاذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على

١- خطبة -٢٧-
٢- خطبة -٢٥-

عواتقهم، فيعطون ماسألوه فلايقبلونه حتى يقوموا. ولايدفعونها إلا الى صاحبكم قتلاهم شهداء. أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»[١]

١- عن أبي جعفر(ع): الغيبة النعمانية

المرأة في الإسلام ومن خلال نهج البلاغة*

الأستاذ لبيب بيضون

سوريا

* هناك تعليقات للعلامة السيد جعفر مرتضى على هذه المقالة، أشير إليها بالأرقام، ذكرناها في آخر المقال.

الاهداء

الى من دك عروش الطاغوت والكفر، على أنغام الفتح والنصر.
الى من طارد فُلولَ الباطل والضلال، ليبني صروح الايمان والكمال.
الى باعث الأمجاد، بالهمم الشداد،على طريق الحق والسداد.
الى أمين الأمة، وإمام الكلمة.

روح الحق وريحانه، ورحمته ورضوانه

(روح الله الخميني)

الى رجال الحرب والجهاد، ودعاة العزة والحرية والرشاد، من أتباع علي والسبطين والسَّجاد، وأبي ذرَّ وعمار والمقداد،الى اللبوات الصامدات، والشريفات الفاضلات.

حفيدات فاطمة الزهرا، وزينب الكبرى، عقيلة الهاشميات،اللواتي شيدن حميدالخلال والخصال، في نفوس الشبان والاطفال، حتى قدّموا للحياة الرجال والأبطال، ودفعوا بالليوث الى الوغى والأشبال،فلقنوا دروس الكرامة للاجيال، وأحيوا في القلوب جذوة الامال،الى من كُنَّ أحد أسرار انتصار الثورة الاسلامية في ايران،لأن الشعب من تربية الامهات يكتسبُ العقيدة والايمان،كما ينطبع بمبادئ الشجاعة والبطولة أو الاذعان.

الى المرأة المسلمة التى تقدمت أمام الرجال في الميدان تحطم سدّ الامبراطورية الطاغية صاحبة السلطان،فأرست بنهضتها مبادئ العز لكل بني الانسان،حتى سارت بصيتها وأعمالِها الخالدة الرُّكبان،قدمت ومازالت تقدم للمجد مواكب الشجعان،لم يَرَ الكونُ مثلَهن فداءً ولا رأى الثقلان.

الى شهداء الصدق الذين لم يسبقهم الى الحق إنس ولاجانّ،آثروا الموت ليبقى الدينُ والاسلام راسخ البنيان،واستجابوا لنداء اللهِ خالق البرايا والاكوان،الرحمنُ علّم القرآن، خلقَ الانسانَ، علمه البيان،الذي خلق الارض، ورفع السماءَ ووضع الميزان فالمجرم المعتدي قرينُ الشيطان،تأكله النيران،وللشهيد مقعدُ صِدْقٍ عند ربه في الجنان.

لبيب

عناصر البحث

الفصل (١) ــ المرأة في مفهوم الاسلام
الفصل (٢) ــ مناقشة جريئة ــ حول بعض كلمات الإمام (ع)
الفصل (٣) ــ مقارنة بين صفات المرأة والرجل
الفصل (٤) ــ نظرة الإمام علي (ع) الى المرأة في نهج البلاغة

الفصل الاول:

المرأة في مفهوم الاسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) خلق آدم وحواء :

تمت كلمة الله ان يخلق له خليفة يعمر الارض، وأن يهبه من الخصال والقدرات مايجعله أهلاً للسجود له، فأخذ حفنة مباركة من التراب، ونفخ فيها من روحه فتمثلت بشراً سويا، ثم أمر الملائكة بالسجود لادم فسجدوا أجمعين.

ولما أراد سبحانه لهذا المخلوق الكريم أن يتكاثر، خلق له من نفسه زوجاً يسكن اليها. يقول جل من قائل:

«الذى خلقكم من نفسٍ واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منها رجالاً كثيراً ونساء...» (سورة النساء - ١)

فالنفس الواحدة هي آدم والزوج هي حواء.

(٢) البناء النفسي للانسان:

و يتضح من هذا أن الانسان مؤلف بحسب تكوينه من عنصرين اثنين: عُنصر الجسم وعنصرالروح. فهو عدا عن كونه جسماً مادياً صرفاً، ينطوي على عالم آخر مجرد، عالم يضم جملة من الطبائع والنوازع النفسية، التي يشترك بها كل أبناء البشرية، مؤكدة وحدة النفس الأصلية التي خُلقوا منها.

وهذه النفس رغم قوتها وفعاليتها في الانسان إلا أنها طلسم عجيب غريب، عجزت العقول عن إدراك كنهها واستكشاف حقيقتها، ومن أغرب مافيها أنها تحوي المتناقضات من النوازع والغرائز، فما فيها من رغبة طيبة إلا وتقابلها نزعة سيئة.

وكانت قيمة هذا المخلوق الجديد مقرونة بما آتاه الله من إرادة في اختيار الافعال، اذ أن قيمة المخلوق بمايفعله من ذاته لابما يكون مقسوراً على فعله.

ولتحقيق هذه القيمة كان لابدّ من أن يكون الانسان محل اختبار وامتحان، ومن مستلزمات ذلك أن تكون دوافع الخير فيه على قَدَم المساواة مع دوافع الشر.

(٣) قيمة الانسان:

وجاء القرآن الكريم يحدد قيمة الانسان وفق هذا التصور الاصيل لمركب الانسان، فقيمته تنطلق من مدى استجابته لدوافع الخير، ومجابهته لدوافع الشر، وهو ماعبّر عنه بالتقوى:

«إنَّ أكرمَكم عِندَاللهِ أتقاكم» (سورة الحجرات -١٣)

(٤) توزيع القدرات :

ومنذ قرراللّه سبحانه مبدأ الزوجية في خلق الانسان، قسّم أعباء الحياة بين الزوجين تقسيماً متعادلاً وفق مبدأ العدل، ونتيجة لذلك وزّع القدرات والميول بينهما بشكل يتلائم مع الوظيفة المطلوبة منها. فكان كل من الرجل والمرأة بما آتاه الله من مواهب ونوازع أقدرَ على القيام بوظيفته من الاخر. و يظهر العدل الالهي مرة أخرى في أنه سبحانه لايطلب من الانسان إلا ماهو مُوهّل لفعله، مصداقاً لقوله تعالى:

«لايُكَلِّفُ اللّهُ نفساً إلاّ وُسعَها» (سورة البقرة - ٢٨٦).

وانطلاقاً من هذا المبدأ اذاقام الرجل بوظيفته وقامت المرأة بوظيفتها، حصلنا على المردود الأعظم لطاقة الزوجين، وعاش الناس في سعادة واستقرار.

من هذا المنطلق نجد أن التعريف الأعم لقيمة الفرد في مجتمعه، هو أن قيمته تكون بمقدار قيامه بوظيفته، وفق ماوهبه الله من امكانيات لتحقيقها. وهو مؤدّى قول الامام علي(ع):

«قيمة كلّ امرئٍ مايُحسنه» أى مايُحسن فعله.

(٥) تلاؤم القدرات مع الوظيفة:

و يتجلى توزيع القدرات والرغبات بين الزوجين، أن أُوكل بالمرأة أمرُ إنجاب النسل وتربيته، ولهذه الغاية منح الله سبحانه المرأة وعاء الحمل، أعني الرحم، وآتاها من قوى التحمل لالام الحمل والوضع، ثم الصبر على تربية الطفل وتغذيته وتنظيفه. في حين أوجد فيها العاطفة الثّرة للحنوّ عليه و مداراته والتلاؤم معه، فهي حين تربيه تكون مندفعة بتلك العاطفة دون أن تبالي بالتعب والنَّصَب أو تشعر بالكلال أو المَلَل. و بذلك تكون قدحققت وظيفتها وقامت بدورها، واستنفدت طاقاتها لخدمة المجتمع و بناء نواته الأساسية وهي الأسرة.

ومن دواعي تلك التربية للطفل ولتأمين الحفاظ عليه، أوجد سبحانه في المرأة طبائع ضرورية، لم يوجدها في الرجل، منها: قوة الجَلَد والرحمة والخوف، فتربية الطفل تحتاج الى صبر وتجلد، والطفل نتيجة ضعفه يحتاج الى الرحمة دون القوة، وعندما تخاف المرأة على طفلها تقوم بالتصرفات التي تجنّبه الاخطار.

أما الرجل فقد كلّفه حمايةَ الأسرة التي يعيش فيها الاطفالُ في ظل أمهم، التي تنصرف الى رعايتهم، ولهذا الغرض أعطاه البسطة في العقل والجسم، فبتفكيره البعيد يستطيع تقدير مصلحة الاسرة، و بقوته العضلية وغيرته يستطيع أن يذود عن كيان أسرته، كما يدافع عن كرامة وطنه وشرف عقيدته اذا ماحاول أحد التصدي لهما.

وتلبية لنوازع الشرف في الانسان، ورغبة في إقامة حياة اجتماعية سعيدة مستقرة، شرّع الاسلام الزواج، الذى يبتني على أسس واضحة بين الزوجين... وحتى تكون الزوجة متعة للرجل دون سواه،[1] وسعياً لتحديد عوامل الفسوق، أمر المرأة بالحجاب ومنعها من الاختلاط المشبوه. في حين أكد على ضرورة تعليمها وتثقيفها وتزو يدها بتعاليم الدين والاخلاق حتى تقوم بوظيفتها التر بو ية على أتم وجه.

الفصل الثاني:

مناقشة جريئة

لستُ أخفي ان الذي دعاني الى كتابة هذا الموضوع، مناقشةٌ حادة حصلت بيني و بين احدى الفتيات الايرانيات، إثر اختتام المهرجان الألفي لنهج البلاغة، الذى انعقد في طهران في الفترة من ١٢- ١٦ رجب ١٤٠١هـ، الموافق ١٧- ٢١ أيار ١٩٨١م. الذي أقامته مؤسسة (بنياد نهج البلاغة).

فقد قابلتني احدى الصحفيات، وكانت مثقفة و صريحة وجريئة الى أبعد الحدود، كماهي صفة المرأة الايرانية.

وكان أول سؤال وجهته لي باعتباري من الباحثين في نهج البلاغة أن قالت: لماذا تحامل الامام علي(ع) على المرأة في نهج البلاغة، ولم يمدحها بكلمة واحدة؟ بل قال: «المرأة شر كلها، وشرّ مافيها أنه لابد منها»

فصدمتُ مبدئياً من كلامها، وشرعت أحادثها بالحسنى، حتى استبصرتْ واهتدت الى الصواب، وقلت لها:

أولا : أحسني ظنّك بإمامك يا آنسة. فالامام علي(ع) ليس عدواً لاحد، إنما هو صديق للحق وعدو للباطل.

ثانياً : أنت تعلمين أن كل رجل يعطي رأيه بالمرأة من خلال تجربته في حياته مع المرأة، أقصد مع زوجته. فاذا كانت زوجته سيئة ظنَّ أن كل النساء سيئات، واذا كانت زوجته صالحة اعتقد أن كل نساء العالم صالحات. والامام علي(ع) كانت زوجته (فاطمة الزهراء) سيدة نساء العالمين، وهي باعتقادنا معصومة عن الخطأ. فكيف يكون نظره الى المرأة؟ لابد أنه جيد جدا.

ثالثاً : ان النساء لَسْنَ من درجة واحدة، ففيهن المؤمنة والكافرة، والتقية والفاسقة، شأنهن في ذلك شأن الرجال. وقد أوضح ذلك القرآن الكريم بشكل لايقبل الشك ، حتى أنه ضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها من أكبر

الكافرين، بينما كانت هي من أعظم المؤمنين، واستحقت بذلك أن تكون في أعلى درجات الجنة. يقول تعالى:

«ضَرَبَ اللّهُ مثلاً للذينَ كفروا آمرأةَ نوحٍ وآمرأةَ لوط، كانتا تحتَ عبدينِ منْ عبادِنا صالحَينِ فخانتاهُما، فلمْ يُغنيا عنهما من اللّهِ شيئاً، وقيلَ آدخلا النارَ مع الداخلينَ * وضربَ اللّهُ مثلاً للذينَ آمنوا آمرأةَ فرعونَ إذْقالتْ: ربِّ آبنِ ليْ عندك بيتاً في الجَنَّةِ، وَنَجّني مِن فرعونَ وَعَمَلِهِ، وَنَجّني مِنَ القومِ الظالمين» (آخر سورة التحريم).

فاذاكان الامام على(ع) يعلم هذا كله، ثم بعد ذلك يقول في نهجه «المرأة شر كلها، وشرّ مافيها أنه لابد منها» أويقول «النساء حبائلُ إبليس». فهو لايقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومثيلاتها من المؤمنات أمثال: «خديجة ومريم وآسية، وانما يقصد بها المرأة الفاسقة الكافرة، التى هي كالشيطان، بل أسوأ من الشيطان، لانها تنطلق في اعمالها بدافع من هواها ونزواتها وشهواتها، دون أن يكون لها أي ضابط أو زاجر.

* * *

ثم انتقلت معها الى مناقشة قول الامام على(ع): «ان النساء نواقص العقول، نواقص الحظوظ، نواقص الايمان...» و بيّنتُ لها أن من يَرُدّ على هذه الكلمات لايُردّ على الامام علي(ع) وانما يَرُدّ على الله تعالى، لأن الامام لم يأت بها من عنده، وانما قررها من القرآن، فمن المبادئ التي أنزلها الله في القرآن ولامجال للشك فيها، أنّ شهادة الرجل كشهادة امرأتين في القضاء، وأن حظ الذكر كحظ الانثيين في الارث، وأن المرأة أثناء الحيض والنفاس تقعد عن الصلاة والصيام.

وإنّ ذكر الامام لهذه الصفات هو من باب بيان الواقع، وليس من باب التوهين بقيمة المرأة. فالوظيفة التي انيطت بالنساء جعلتهن يتصفن ببعض الصفات. مثل: تغليب العاطفة على العقل (ناقصات العقول) ومثل: أخذ نصف الميراث (ناقصات الحظوظ) ومثل: القعود عن الصلاة والصوم حال الحيض (ناقصات الايمان). وهذا حق، لأن المرأة التي يُطلب منها تربية الولد تحتاج الى العاطفة اكثر من العقل، ولأن المرأة التي لم يَطلب منها اللّهُ تعالى إعالة أحدٍ حتى نفسها، يكفيها نصف الارث و يزيد؛ ولأن المرأة التي أوكل اليها إنجابُ أفراد البشرية لابدّ لها من الحيض الذي يَنْقض طهارتها ويحرمها بعض الأيام من الصلاة والصيام.

وهذا النقص في بعض الأشياء لايحطّ من قيمة المرأة اذا مانظرنا اليها من خلال وظيفتها. فالرجل في مقابلها ناقص في أشياء أخرى. وفي مقابل كلّ مَلكةٍ للرجل

ملكةٌ للمرأة، مصداقاً لقول النبي(ص): «النساء شقائق الرجال».

والفضل لايكون بالملكات والقدرات، بقدر مايكون في كيفية استخدام تلك الملكات، في الخير أم في الشر، وفي الاحسان أم في العدوان، مصداقاً لقول الامام(ع): «قيمة كل امرئ مايُحسنه».

فاذا أحسنت المرأة استخدام قدراتها العالية التي خصّها الله بها، كانت أفضل من الرجل.[٢] فمثلا اذاهي بعاطفتها الوثابة انصرفت الى الاصلاح وتربية الاجيال، وليس الى الكيد والغيرة والفساد. واذاهي بحظها من المال قامت بفعل الخيرات والمبرّات، ولم تَهْدُره بالمظاهر والتبذير. واذا هي في أثناء حملها صبرت وتحملت حتى أنجبت طفلا، تربيه ليكون عنصراً بنّاء في المجتمع... عند ذلك تكون صانعة الأبطال ومربية الأجيال ومضاهية الرجال.

وسوف نتكلم بالتفصيل عن عوامل النقص الثلاثة السابقة عندالمرأة، في فصل لاحق من هذا الكتاب.

الفصل الثالث:

مقارنة بين صفات المرأة والرجل

(١) - المقارنة بين عنصر المرأة وعنصرالرجل:

على الرغم من ان النساء يختلفن من حيث المواهب والمشاعر، كماهو شأن الرجال، الا انه يمكن ان نميز فيهن جملة من الصفات التي تُمَيِّزهن عن الرجال. ولايمنع ذلك أن توجد امرأة تتمتع بصفات الرجال او تفوقهم فيها، الا أن ذلك من النادر الذي لايتخذ قياسا. وهذا مايدعونا الى اعتبار «عنصر الرجل» الذي يتصف بمعدل خصائص الرجال، والى اعتبار «عنصر المرأة» الذى يتصف بمعدل خصائص النساء. والمقارنة عادة تتم بين هذين العنصرين الاعتباريين.

من هذا المنطلق نجد أن عنصر المرأة يتمتع بخصائص تختلف كليا عن عنصرالرجل، وذلك وفق الوظيفة التي أسندت الى كل واحد منهما. وهذا الاختلاف ليس في النوع و انما في الكم.[٣] فكل صفة في الرجل موجودة في المرأة، ولكن الاختلاف هو في الشدة.

(٢) - تباين القوى النفسية :

كما أن المرأة تختلف عن الرجل في الصفات العضو ية والجسدية، فهي تختلف عنه في الصفات النفسية والروحية. تلك الصفات التي تنتج عن البناء النفسي للانسان. فهو مركب من الناحية النفسية من عدة قوى منها: التميز والعلم والارادة، وقوةالشهوة والشجاعة والغضب.

ولهذه القوى مراكز، منها: العقل والقلب، والنفس بأشكالها المطمئنة واللوامة والأمّارة بالسوء.

(٣) - قوى الروح:

وقد ذهب بعض الفلاسفة الى القول بأن القوى النفسية خارجة عن الجسم، بينما قال آخرون بأنها داخل الجسم. كما أن بعضهم ذهب الى أن العقل والقلب والنفس والروح هي شيء واحد، بينما ذهب آخرون الى التمييز فيما بينها، والى بيان العلاقة المنتظمة فيما بينها. فقال هؤلاء بأن الروح تتجلى في الانسان في عدة قوى مرتبطة ببعضها هي:

١- النفس: وهي مركز الرغبات والغرائز الخيّرة والشريرة.

٢- القلب : وهو مركز الارادة والتقرير.

٣- العقل: وهو مركز التمييز بين الخير والشر والحسن والقبيح.

٤- الحواس: وهي مركز الاتصال بين الجسم والخارج.

وتتدرج هذه القوى حسب الترتيب السابق في علاقتها ببعضها. فالنفس التي هي مركز الرغبات، توحي للقلب بفعل الشئ، والقلب الذي هو مركز الارادة، يسترشد بالعقل ليعرف خير ذلك الشئ من شره، فاما أن يقرر فعل ذلك الشيء أو يمتنع عنه، فاذا هو قرر فعله أمر الحواس عن طريق مديرها العقل، فتنفذه.

ولهذا قيل: العقل خادم القلب، والعقل أستاذ الحواس.

وسوف نتكلم في بعض هذه القوى فيما يلي:

(٤) - العقل:

أول ما ميّز الله به الكائن الجديد الذى خلقه من روحه و شرّفه على الكائنات الاخرى، هو العقل. يقول النبي(ص):

«إنَّ أوّل خَلْقٍ خلقه الله عزوجل: العقل. فقال له: أقبلْ فأقبل. ثم قال له: أدبرْ فأدبر. فقال: وعزّتي وجلالي ماخلقتُ خَلقاً هو أحب اليّ منك، بك آخذ وبك أعطي، وبك أثيب وبك أعاقب».

وعرّف العلماء العقل بأنه: المعرفة المستعملة في تحري النفع وتجنب الضرر، فيجعل صاحبه يتصرف وفق الحكمة والمصلحة التي لاتخرجه عن طاعة الله.

وقد اشتُقَّ معنى العقل من عَقْلِ الناقة أي شدّها وربطها، فهو بشدّ المرء عن

متابعة هواه و يمنعه من الا تيان بالأعمال السيئة.

وقد عرّف بعضهم العقل بأنه القوة المتهيئة للعلم.

لكنه حسب التعريف الأول لايقتصر على العلم؛ بل هو الدافع الى العمل بمقتضى العلم، فاذا عَلِم الخير دفع صاحبه اليه، واذا عَرَف الشر نهاه عنه. وهذا هو المعنى الذي قصده الشارع و تضمنه الحديث النبوي السابق، وهو ماقصده الامام(ع) بقوله: «العقلُ ماا كتُسِبَ به الجنة»

فكل عقلٍ مهما ملك من قدرات في العلم والفهم والتميز والذكاء، ثم لم يوصل صاحبه الى فعل الخير واكتساب الفضائل التي تورده الجنة، فليس بعقل.

وقد ورد العقل بمعنييه السابقين في القرآن والحديث.

فالى المعنى الاول أشار النبي(ص) في الحديث النبوي السابق.

والى المعنى الثاني أشار(ص) بقوله: « ماا كتسب أحدٌ شيئاً أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يردعه عن ردى».

وقال أمير المؤمنين(ع): «كفاك من عقلك ماأوضح لك سُبُلَ غَيِّك من رشدك ».

أما في القرآن، ففي كل موضع رُفع فيه التكليف عن العبد لعدم العقل، فاشارة الى المعنى الاول.

وفي كل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فاشارة الى المعنى الثاني..

كقوله تعالى:

«وتلك الأمثالُ نضربُها للنّاسِ ومايَعْقِلها إلاالعالِمون) (سورة العنكبوت ـ ٤٣)

وكقوله سبحانه: «إنَّ شَرَّ الدَّوابّ عِنداللّهِ الصُّمُّ البُكم الذينَ لايعقلون» (سورة الانفال ـ ٢٢)

وكثيراً ماكان القرآن يؤنّب الكافرين بأنهم يملكون عقولاً ولكنهم لايستعملونها. يقول جل من قائل:

«أم تحسبُ أنّ أكثرَهم يسمعونَ أو يعقلون. إنْ هُم إلا كالانعامِ، بَلْ هُم أضَلُّ سبيلاً» (سورة الفرقان ـ ٤٤).

و يقول سبحانه:

«وَلَقد ذرَأنا لجهنمَ كثيراً مِنَ الجِنِّ والأنسِ، لهُمْ قلوبٌ لايفقهونَ بها، ولَهُمْ أعينٌ لايُبصرونَ بها، ولهُمْ آذانٌ لايسمعونَ بها. أولئك كالانعامِ بَلْ هُم أضلُّ، أولئك هُم الغافلون» (سورة الاعراف ـ ١٧٨)

والمقصود بهذه الاية أن لهم قلوباً وأعينا وآذاناً، ولكنهم لايستخدمونها في الخير

والنفع، فهي معطلة عن غايتها التي أوجدت من أجلها.

وقال بعض الحكماء : ان العقل جوهر بسيط. وقال آخرون: هو جسم شفاف ومحله الدماغ. وقال بعض العلماء: إن محله القلب. و يستدل هؤلاء بأن العقل لم يذكر في القرآن بل ذكر محله القلب، كما في قوله تعالى: «أفلمْ يسيروا في الأرضِ فتكونَ لهمْ قلوبٌ يعقلونَ بها، أوآذانٌ يسمعونَ بها، فانها لا تعمى الابصارُ ولكنْ تعمى القلوبُ التي في الصدور» (سورة الحج - ٤٦)

و يؤيد هذا المعنى قول الامام(ع): «العقل في القلب، والرحمة في الكبد».

ويمكن التوفيق بين المعنيين السابقين للعقل بأن نعتبر للعقل معنيين ومركزين:

الاول: العقل بمعنى المعرفة والعلم ومركزه الدماغ.

الثاني: العقل بمعنى الارادة والامر ومركزه القلب.

و يعتبر العقل الاول مركز العلم، بينما يعتبر العقل الثاني مركز الحكمة. والحكمة بالتعريف وضع الشئ في موضعه الصحيح. فكم من عالم عاقل، ولكنه لايتصرف التصرف السليم، ولايقدر عواقب الامور، ولايعمل لفائدته ومصلحته. فالقلب السليم هو الذي يوصل صاحبه الى السعادة في الدين والدنيا، وفي الاخرة والاولى. ولذلك قال سبحانه «إلا منْ أتى اللّهَ بقلبٍ سليم» (سورة الشعراء - ٨٩)

وبما أن القلب هو مركز الارادة، فهو أفضل بَضعة في الانسان، اذا سار في الاتجاه القويم، الذي هو طريق الحكمة، ولم يقع تحت سيطرة الشهوات والنزعات التي تصرفه عن سبيل الحكمة، وتحرفه عن جادة الاعتدال.

التباين بين عقل المرأة وعقل الرجل:

واذا كنا في صددالبحث في التباين بين عقل المرأة وعقل الرجل، فاننا نجد هذا التباين في مستويات:

١- في مستوى التميز بين الخير والشر والنافع والضار. فالتميز في الامور الاساسية متساوٍ بين الناس مصداقاً لقوله تعالى: «ونَفسٍ وَماسوّاها فألهمها فُجورها وتقواها» (الشمس - ٨).

اما في الامور الفرعية والدقيقة فمستوى التميز يختلف من إنسان لاخر. و قد ورد في اخبار أن الله وزّع العقل على الرجال، فبعضهم على مرتبة و بعضهم على مرتبتين و بعضهم على ثلاث و بعضهم على اربع. والانبياء من هذه الناحية هم في أرفع

الدرجات. وكذلك وزّعه على النساء على مراتب، وذلك مصداقاً لقوله تعالى «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» (سورة الزخرف ـ ٣٢).

وفي هذا المستوى نجد أن عنصر الرجل يتفوق قليلاً على عنصر المرأة، ولكن ذلك لايمنع من امتياز بعض النساء على بعض الرجال، كقول المتنبي في رثاء أم سيف الدولة الحمداني:

ولو أن النساء كَمن فقدنا لَفُضِّلتِ النساء عُلى الرجالِ

٢ـ في مستوى الاستفادة من هذا التميز، في فعل الخير و تجنب الشر، وعدم الانصياع لرغبات النفس الامّارة بالسوء، وهو مانعبر عنه بالارادة التي مركزها القلب. فبما أن المرأة عاطفية بفطرتها، فهي تنساق وراء رغباتها وأهوائها بسرعة دون أن تُحَكِّم عقلها في كل أمر تقوم به فتَعْرِضَه علي مِحك الشرع وتَزِنه بميزان الحكمة. فيكون قلبُها أقرب الى الانجراف بتيار الشهوات من الانصياع لنداء العقل.

ونتيجة هذا التباين في العقل بين المراة والرجل، نجد أن الرجل يتميز بالحزم والتصلب في المبدأ الذي يتبناه، بينما نجد المرأة تتميز بسرعة التقلب في التفكير وعدم الدقة في التعبير، و بشدة الحساسية وضعف التحمل. فهي تتأثر بسرعة لأقل طارئ، وتنهار عزيمتها لأقل محنة، وعوضا عن تحكيم عقلها للخروج من المأزق الذي تقع فيه، فانها تبدأ بالبكاء والعويل.

ولكون المرأة عاطفية على هذا النحو، جعل الشارع الحكيم شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد.

٣ـ العقل المحافظ والعقل المبدع:

أما اذا نظرنا الى العقل من ناحية الذكاء، نجد أن ثمة فرقاً أساسيا من هذه الجهة بين الرجل والمرأة، وذلك حسبما حققه علم النفس الحديث.

ففي حين يتساوى الجنسان من حيث مستوى الذكاء العام، فقد وجد أنهما يختلفان من حيث طبيعة الذكاء. فهناك نظرية تقول ان العقل قسمان: قسم محافظ و قسم مبدع، والقسم المبدع يأخذ من المحافظ ليبدع. وقد وجد أن طبيعة العقل عندالمرأة أميل الى القوى المحافظة، بينما طبيعة العقل عند الرجل أقرب الى قوى الابداع. فمن ناحية الذكاء نجد أن عند المرأة قدرةً أكبر على حفظ المعلومات، بينما يتفوق الرجل

بالقدرة الفكرية على الابداع والاختراع.

وأما من الناحية النفسية والاجتماعية، فتتجلى الطبيعة المحافظة للمرأة في تمسكها بالعادات والتقاليد الموروثة وعدم تجاوزها أو تغييرها، وفي أنها تحاول أن تظهر دائماً بمظهر الفضيلة وحسن السيرة متسترة برداء من التمويه والغش. بينما تتجلى طبيعة الرجل المبدعة في تحلله من العقائد والاخلاق، واتخاذه فلسفات جديدة في الحياة، وانطلاقه لاكتشاف العلوم النظرية والتطبيقية، دون أن يكترث بسمعته و بنظرة الناس اليه. لذا قيل: ان المدنية هي من صنع الرجال وليس النساء.

ومن هذا المنطلق نجد في الدول التي أتاحت جميع الفرص للجنسين بالتساوي، أن عدد النساء اللواتي يتفوقن في الرياضيات والفيزياء قليل جدا بالنسبة للرجال. وكذلك الامر في الفلسفة والسياسة والموسيقي ونظم الشعر، والرسم والطب والهندسة وتصميم الازياء.

٤ـ تطور العقل ونضجه:

وقد لاحظ العلماء فرقاً ملحوظاً بين نشاط عقل الرجل ونشاط عقل المرأة خلال مراحل الحياة. فان تأخر عقل الرجل في اكتماله عن عقل البنت بسنتين خلال فترة المراهقة، يجعله يستمر في نشاطه الى مدى أكبر. و يتوافق هذا النشاط العقلي مع النشاط الجنسي، الذى يصبح محدوداً بعد الخمسين.

٥ ـ النفس :

وهي مركز العواطف. وتأتي العاطفة كخاصة مقابلة للعقل. فالانسان من حيث بنائه الروحي يتألف من عقل وعاطفة. وهما موجودان في المرأة والرجل ولكنهما يختلفان في الشدة. فحين وزع الله سبحانه العقل والعاطفة على الرجل والمرأة، زاد في عقل الرجل على حساب عاطفته، وزاد في عاطفة المرأة على حساب عقلها، وذلك ليتلاءم كل منهما مع الدور الذي أوكل اليه في الحياة. وليكون التباين بينهما سبباً للألفة والرغبة. وليس هذا يعني تفضيلاً للرجل على المرأة أو العكس. فالتفضيل لايكون في وجود الشيء في الانسان وانما في مدى استخدامه في وجود الخير. ففي حين يمكن أن يستخدم الرجل عقله للحيل والمكر، فيرتكب الجرائم والموبقات،

يمكنه أن يستخدمه في طرق الخير لحماية كيانه ومساعدة الاخرين. وكذلك الامر بالنسبة للعاطفة، فيمكن أن تستخدمها المرأة في الكيد والحقد فتعيث في الارض فسادا، كما يمكن أن تستخدمها في العطف على زوجها وأولادها وخدمتهم، فتملأ الارض سعادة ومحبة.

وكما ذكرنا سابقاً فان الله سبحانه حين باين بين الرجل والمرأة فيما وزع عليهما من عقل و عاطفة وغيرهما من القدرات، فانما أجرى ذلك ليستطيع كل واحد منهما القيام بدوره في الحياة ووظيفته في الوجود على أكمل وجه. ووجه التفضيل يبقى في مدى قيام الفرد بتلك الوظيفة واستخدام طاقاته الفطرية لتحقيقها.

أهمية تربية المرأة:

ومن ثمرات كون المرأة عاطفية، أنها تستطيع أن تربي أولادها وتوجههم وتغرس فيهم، ماتشاء من الخير، فاذا أحسنا توجيه المرأة منذالصغر، حصلنا على ينبوع غزير من الطاقات الخَيرة، التي نستطيع بها أن نبني المجتمع الفاضل.

لذلك شدد النبي(ص) على أهمية تعليم البنت وتربيتها، حتى قال: «من كانت عنده بنتان، فأحسن تربيتهما وتهذيبها كفلتُ له الجنة». وفي هذا المعنى قال الامام الخميني حفظه الله: «المرأة نصف المجتمع، ومربية النصف الاخر» وذلك لبيان قيمتها في المجتمع، وأهمية تربيتها والعناية بها.

ومن هذه الوجهة نفسر مدى إكرام الأم والتوصية بها. فقد أوصى النبي(ص) كثيراً بالأم فقال «الجنة تحت أقدام الامهات» وماذلك إلا لفضلها الكبير على الانسانية والبشرية، فهي الحاملة والوالدة والمربية والمتحملة لصنوف العذاب والالام.

التباين بين نفسية المرأة والرجل:

و يذكر علم النفس فرقاً بيناً بين نفسية الرجل ونفسية المرأة، فقد بينت الدراسات أن نفسية الرجل «فاعلية» بينما نفسية المرأة «انفعالية». وهذا يفسر رغبة الرجل في الاعتداء على غيره، بينما يفسر رغبة المرأة في العيش في ظل رجل يؤمّن حمايتها وسعادتها. ولذلك وجد أن أغلب جرائم الرجال هي القتل والسرقة والاعتداء والبطش، بينما أغلب جرائم النساء هي الزنا.

الجنس والأمومة:

ومن الفروق الاساسية بين طبيعة الرجل والمرأة، هو في الناحية الجنسية. فقد جعل الله سبحانه تسلسلاً بديعاً مترابطاً في العلاقة بين عناصر الخليقة. فالرجل تستهويه المرأة فتشده اليها، والمرأة يستهويها الاطفال فتسعى وراءهم، و بذلك يكتمل بناء الأسرة القوى، الذى يدفع الحياة الى الاستمرار على الارض... فمن الملاحظ أن من أهم ضرورات الرجل اشباع غريزته الجنسية، و يكون الدافع له الى الزواج هو تأمين حاجته الجنسية وحفظ نفسه من الفسوق، دون أن يفكر في موضوع الانجاب والاولاد. أما المرأة فيضعف دافعها الجنسي أمام عاطفة الامومة التي تسيطر على كيانها. فهي تتخذ الجنس وسيلة للحصول على الأولاد. واذا كان اهتمامها و تعلقها ينصب في البداية على الزوج، فان ذلك يتقلص مع انجاب الاولاد، الذين تربطها بهم رابطة أقوى من الجنس، هي رابطة الأمومة، فهي تشعر بأنهم قطعة من كبدها، لابل أغلى من حياتها.

٦ ـ بعض مظاهر نفسية المرأة:

وسوف نستجلي فيما يلي بعض مظاهر نفسية المرأة:

١ـ الرقة والرحمة:

تتميز المرأة عن الرجل بعطفها وحنانها، ورقة عواطفها ورَهَف أحاسيسها، وشدة تأثرها وسرعة انفعالها، كما أنها تتميز بصبرها وجلدها وقوة تحملها. وهذه الخصال الرفيعة تتناسب مع وظيفتها في الحياة. فتربية الطفل تحتاج الى الرقة والحنان والعطف والرحمة، كما تحتاج الى الصبر والتجلد والتحمل.

أما الرجل فيتميز بقسوته وعنفوانه وجبروته و بطشه، ولذلك قال تعالى في صفة الرجال (واذا بطشتم بطشتم جبارين).

كما يتميز بحزمه وعزمه وشجاعته ورباطة جأشه. وهي خصال تفرضها عليه طبيعة المهمة التى أوكلت به، وهي تأمين حاجات الأسرة وحمايتها من الخارج.

وقد اعطى الله المرأة أيضاً خصالاً تناسب حاجات الاسرة والتربية، منها النظافة والاناقة وحب الترتيب، فنجد هذه الصفات مطبوعة في فطرة أغلب النساء.

والرجل بخشونته وقسوة طبعه وقلة رحمته، يحب المرأة التي تعوّضه بعض ذلك برقتها ووداعتها ورحمتها. فيجد فيها فيض الحنان والحب، الذى يُمَتّن بينهما أواصر الزوجية، ويجعلهما ينجبان أولاداً طيبين.

٢- الاهتمام بالمظهر والسمعة:

ونلاحظ ان المرأة تهتم بالمظهر أكثر من الرجل، الذى يهتم بالجوهر. فاذا راقبنا اهتمامات المرأة، نجد أنها مهما بلغت من العلم والفهم، فهي مسيرة الى الاهتمام بالاشكال والمظاهر، ممانسميه زينة الحياة الدنيا. وقد غرس الله سبحانه هذه الخاصة في المرأة، لتكون المرأة متعة للرجل، يتمتع بزينتها وجمالها، و يشم رائحتها وعَبَقها، فتسره اذا نظر اليها، وتُجَنّبه النظر الى غيرها. وهذا مصداق قول الامام علي(ع): «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة» والقهرمان هوالذى يحكم في الامور و يتصرف فيها برأيه. فالامام(ع) لايرغب أن تَنصرف المرأة الى الانشغال بتصريف الامور العامة، ممايمنعها عن مزاولة وظيفتها الأساسية، وهي أن تظل في بيتها ريحانةً لزوجها وراعيةً لاولادها.

وبما أن المرأة عاطفية، فانها قد تنساق وراء هذه المظاهر،ولا تتحرج لاشباع تلك الرغبة من التساهل في أوامر الشرع، فتستخدم تلك الغريزة في غير محلها الصحيح. فعوضا عن أن تتزين لزوجها، فانها تقوم بعرض مفاتنها أمام الغرباء في الازقة والطرقات، ولاتخفى مفاسد هذا التصرف في إشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمع.

أما من ناحية السمعة، فقد وجد أن المرأة تحاول المحافظة على سمعتها بين الناس، فهي اذافعلت المنكر تفعله في الخفاء بعيداً عن أعين الناس، حتى لايفتضح أمرها وتهدر كرامتها. أما الرجل فهوحين يفسق لايتورع عن ذكر ذلك أمام الناس، وربما تفاخر بفعل ذلك ، دون أن يبالي بسمعته وشهرته.

٣- الحب والكره:

ان المرأة بدافع عاطفتها الشديدة، اذا أحبت انساناً أحبته فوق التصور، واذا أبغضته فانها لا تنسى بغضها له. وفي ذلك يقول الامام(ع): «المرأة تكتم الحب أربعين

سنة، ولا تكتم البُغض ساعة واحدة» (الحكمة ٢٢٨ الملحقة بآخر تفسير ابن أبي الحديد).

ومن أمثلة الصنف الاول حب خديجة(ع) للنبي(ص) وحب فاطمة الزهراء(ع) للامام علي(ع). ومن أمثلة الصنف الثاني بغض عائشة للامام(ع) لأسباب لامجال لذكرهاهنا، حتى أنّ إيمانها لم يمنعها بدافع ذلك الكره من أن تحارب الامام عليّاً(ع)، فيذهب بجريرتها خمسة عشر الفاً من الضحايا المسلمين* وذلك في موقعة الجمل التي جرت قرب البصرة. مخالفة بذلك أمر خالق الاكوان في محكم القرآن، حين أمرها بملازمة بيتها وعدم التدخل في أمور السياسة، وذلك في قوله تعالى مخاطباً نساء النبي(ص) خاصة حيث يقول «وقَرْنَ في بيوتكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيةِ الاولى، وأَطِعْنَ اللّهَ ورَسولَه» (سورة الاحزاب - ٣٤) أي أن خروج زوجة النبي(ص) من بيتها هو مخالفة لأمر اللّه وعدم طاعة للرسول(ص). وقد نظم هذا المعنى الشيخ كاظم الأزري في قصيدته المشهورة فقال:

حفظتْ أربعينَ ألفَ حديثٍ ومن الذكر آيةً تنساها

٤ - الكيد والمكر:

الكيد هو إرادة مَضَرّة الغير بشكل خفي، عن طريق المكر والحيلة والخديعة.

والمرأة السيئة تكيد للرجل لتغويه، كمايكيد الشيطان لبني الانسان. ومن أبرز الامثلة القرآنية على ذلك كيد امرأة العزيز ليوسف(ع) الذي ظل صامداً بتأييد ربه، وفضّل السجن على ارتكاب الفاحشة. وذلك مصداق قوله تعالى على لسان العزيز: «فلما رأى قميصَه قُدَّ منْ دُبُرٍ قالَ إنَّهُ من كيدِكُنّ، إنَّ كيدَكُنَّ عظيم» (سورة يوسف - ٢٨). وقوله على لسان يوسف(ع):

«قال: ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ ممايدعونَني إليه، وإلا تصرف عني كيدَهُنَّ أصْبُ إليهنّ وأكُنْ منَ الجاهلينَ* فاستَجابَ لهُ ربّهُ فصرفَ عنهُ كيدَهُنَّ إنّهُ هوَالسميع العليم» (سورة يوسف ٣٣و٣٤).

وغيرخافٍ أيضاً كيد المرأة للمرأة اذا تعارضت مصالح إحداهما مع الأخرى، وغالباً مايحدث ذلك بدافع الغيرة.

* - ذكرالطبري أن عدد القتلى في معركة الجمل عشرة آلاف من جيش عائشة وخمسة آلاف من جيش الامام علي(ع).

٥ ـ الغيرة :

تتجلى الغيرة في أبسط أشكالها عندالمرأة في حب تقليدها لغيرها من النساء، وفي محاولة امتلاك كل شئ تملكه رفيقاتها. وهو مرض سار، مردّه إلى حب الذات والعُجْب بها.

و يتداخل مفهوم الغيرة بهذا المعنى مع مفهوم الحسد، وهو شائع بين الرجال و بين النساء. ومن أمثلته غيرة هابيل من أخيه قابيل، حين حسده وادعى أنه أفضل منه. فلما احتكما الى الله فتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، زادت غيرة قابيل، حتى سولت له قتل أخيه، فقتله.

ومن أخطر أشكال الغيرة أن تحب امرأتان رجلاً واحدا،فتتخاصمان للحصول عليه. وهو من الامور الخطرة، التي تسئ الى الحياة الزوجية وتجعلها جحيماً لايطاق. ويحدث الامر نفسه عندما يتزوج الرجل اثنتين، فتغار إحداهما من الاخرى وتكيد لها، وهو مُحَرّم شرعا. وهو ماعبّر عنه الامام بقوله:

«غيرة المرأة كُفْرٌ، وغيرة الرجل إيمان».

و يقصد بغيرة الرجل، غيرته على عِرضه وحريمه وحفظهم من الشرور والاعتداء.

وقد أوجب الله سبحانه على الرجل العدل بين نسائه، حتى لايكون للمرأة عذر في غيرتها.

٦ ـ الغدر:

تتميز المرأة العاطفية بسرعة التقلب وعدم الثبات على رأي، فهي تحب اليوم وتكره غداً، وتحب شخصاً ثم تنقلب الى غيره.

ولذلك قيل في المثل: «ونساؤهم كهوائهم».

وقد وصمها المتنبي بالغدر وعدم الوفاء بالعهد حيث قال:

اذا غدرتْ حسناء وَفَتْ بعهدها فمن عهدها أن لايدوم لها عهدُ

وهذه الصفات أبعد ماتكون عن المرأة المؤمنة الملتزمة. أما المرأة الطائشة التي تتبع هواها وتنساق وراء رغباتها، فهي تتخبط في غيّها وبغيها، ولا ترى أي ضير في نكث العهد، وعدم الوفاء بالوعد،

والغدر بصاحبها عن قصد وعمد.

أما الرجل فهو أكثر اندفاعاً الى العمل بما يعتقد، والثبات على عقيدة معينة، والدفاع عنها بوعي وتصميم، والوفاء بعهده مهما كلفه ذلك. فاذا وعد اعتبر وعده ديناً في عنقه، مصداقاً للقول المأثور: «وعْدُ الحرِّ دَيـن». ومن أشهر الأمثلة على ذلك وفاء السموءل لمن أودع عنده عدداً من الدروع، ففضلّ ذبح ابنه دون أن يسلمها لغير أصحابها.

٧- افشاء السر:

وفي حين شدد الشارع الاقدس على حفظ السر وعدم الكلام إلا عند الضرورة، خوفَ الضرر وخوف الوقوع في الخطأ، وأكد على ترك الغيبة لأنها تنطوي على فضيحة المؤمن أو بهتانه، نجد أن أغلب النساء لا يحفظن لسانهن بل يواصلن الكلام و يتفاخرن بكثرته، ولا يتورعن عن الكلام على الغير بما فيه وبما ليس فيه. وهذا من أكبر المعائب الاخلاقية... و يكفينا للتأكد من ذلك مراقبة النساء في مجالسهن، فبعض حديثهن عن أمور الدنيا وزينتها، وأغلبه غيبة وافتراء على الناس.

وبما أن المرأة عاطفية فهي لا تقدّر عواقب الامور، فاذا أفضى اليها أحد بسر، فانها تفشي به الى رفيقتها وتوصيها بكتمانه، وهذه تفشيه بدورها لغيرها بشرط الكتمان، حتى يشيع الأمر في كل مكان.

وبما أن المرأة لا تحفظ سرا، فقد حظرت الحكومات زواج العسكريين من النساء الاجنبيات.

وفي هذا الصدد قال الامام علي(ع) من خطبة له يعظ فيها أصحابه:

«واجعلوا اللسان واحدا. وليخزن الرجلُ لسانه، فان هذا اللسان جموح بصاحبه. واللّهِ ماأرى عبداً يتّقي تقوى تنفعُه حتى يخزن لسانه. وان لسان المؤمن من وراء قلبه، وان قلب المنافق من وراء لسانه. لأن المؤمن اذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه، فان كان خيراً أبداه، وان كان شراً واراه. وان المنافق يتكلم بما أتى على لسانه، لا يدرى ماذا له وماذا عليه.»

ولقد قال رسول الله(ص): «لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيم قلبُه. ولا يستقيمُ قلبه حتى يستقيمَ لسانُه... فمن استطاع منكم أن يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليمُ اللسان من أعراضهم، فليفعل». (نهج البلاغة الخطبة ١٧٦)

قصة المتكلمة بالقرآن

وقد حفل تاريخنا الاسلامي العتيد بالعديد من النساء المؤمنات اللواتي اِلتزمن بالورع والتقوى، حتى فُقْنَ في ذلك الرجال الاتقياء. وكمثال عليهن تلك المرأة التي آثرت أن لا تتفوه بكلمة واحدة إلا من القرآن، حتى لا تقع في خطأ أوريب، فسمّيت لذلك (المتكلمة بالقرآن) وظلت على تلك الحالة أربعين سنة.

قال عبدالله بن المبارك :

«خرجت حاجّاً الى بيت الله الحرام وزيارة نبيه(ص)، فبينا أنا في الطريق اذ أنا بسواد. فتميزت ذاك فاذا عجوز عليها درع (أي قميص) من صوف وخمار. فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت (سلامٌ قولاً منْ ربٍّ رحيم). فقلت لها: رحمك الله ماتصنعين في هذا المكان؟ قالت (وَمَنْ يُضلِلِ اللهُ فمالهُ منْ هاد). فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق. فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: (سُبحانَ الذي أسرى بعبدِهِ ليلاً منَ المسجدِالحرامِ الى المسجدِ الاقصى). فعلمتُ أنها قضت حجّها وهي تريد بيت المقدس. فقلت لها: انت منذكم في هذاالموضع؟، قالت:(ثلاث ليال سوياً). ماأرى معك طعاماً تأكلين. قالت(هوَ يُطعمني وَيَسقين). فقلت: فبأي شيءٍ تتوضئين؟ قالت(فانْ لمْ تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا). فقلت لها: إن معي طعاما فهل لك في الأكل؟ قالت(ثم أتِمُّوا الصيامَ الى الليل). فقلت: قد أبيح لنا الافطار في السفر. قالت(وأنْ تصوموا خيرٌ لكم إن كنتمْ تعلمون).

فقلت: لم لا تكلميني مثلما أكلمك ؟ قالت (مايَلفِظُ مِن قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد). فقلت: فمن أي الناس أنت؟ قالت (ولا تَقفُ ماليسَ لك بهِ علمٌ، إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤاد كُلُّ أولئك كانَ عنهُ مسئولا). فقلت: قد أخطأتُ فاجعليني في حلٍّ. قالت: (لا تثريبَ عليكُم اليوَم يغفراللهُ لكم). فقلت: فهل لَك أن أحملك على ناقتي فتدركي القافلة؟ قالت (وماتقدموالانفسكم من خيرتجدوه عندالله).

قال ابن المبارك : فأنَختُ الناقة. فقالت «قُل للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِن أبصارهم» فغضضتُ بصري عنها، وقلت لها: اركبي ... فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزّقت ثيابها، فقالت «وما أصابكمْ من مصيبةٍ فبما كسبتْ أيديكم». فقلت لها اركبي. قالت «سبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذاوما كنّاله مُقرِنين[أي مطيقين] وإنا إلى ربّنا لَمُنقَلبون». فأخذتُ بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصيح، فقالت «واقصدْ في مشيك واغضضْ من صوتك». فجعلت أمشي رويداً رويدا وأترنم بالشعر، فقالت «فاقرؤوا ماتيَسّرَ منه». فقلت: لقد اوتيت

خيراً كثيرا. فقالت «وما يَذَّكَّر إلا أولوا الالباب».

فلما مشيتُ بها قليلا قلتُ لها: ألك زوج؟ قالت «يا أيها الذينَ آمنوا لا تَسألوا عن اشياء إنْ تُبدَ لكمْ تَسؤكُم». فسكتُ ولم أكلمها، حتى أدركتُ بها القافلة. فقلت لها: هذه القافلة، فمن لك فيها؟ فقالت «المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيا». فعلمتُ أن لها أولادا. فقلتُ: وماشأنهم في الحج؟ قالت: «وعلاماتٍ بالنجمِ همْ يهتدون». فعملت أنهم أدلاّء الركب.

فقصدتُ القباب والعمارات، فقلت: هذه القباب، فمن لك فيها؟ قالت: «واتَّخَذَالله ابراهيمَ خليلاً» «وكَلَّمَ اللهُ موسى تكليما» «يايحيىٰ خُذِالكتابَ بقوة». فناديتُ: يا ابراهيم، ياموسى، يايحيى. فاذا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا. فلما استقر بهم الجلوس، قالت «ابعثوا أحدَكم بوَرِقِكُمْ هذهِ الى المدينة، فلينظرْ أيها أزكى طعاماً، فليأتكمْ برزقٍ منه». فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدّموه بين يديّ، فقالت «كُلوا واشربوا هنيئاً بماأسلفتمْ في الأيامِ الخالية».

فقلت: الان طعامكم عليّ حرامٌ حتى تخبروني بأمرها. فقالوا: هذه أمّنا، لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن، مخافةَ أن تزلّ فيسخط عليها الرحمن. فقلت: «ذلك فضلُ اللهِ يُؤتيهِ من يشاءُ واللّهُ ذوالفضلِ العظيم».

الفصل الرابع:

نظرة الامام علي(ع) الى المرأة في نهج البلاغة

سوف نتناول في هذا الفصل البحث في أقوال الامام علي(ع) عن المرأة، والتي وردت في نهج البلاغة، سواء في الخطب أو الكُتُب أو الحكم.

ونثبت قبل الخوض في هذا البحث النصوص المعتمدة مع أرقامها، حسبما وردت في كتاب (تصنيف نهج البلاغة) للمؤلف:

الرقم — قال الامام علي عليه السلام:

١٥١ وانَّ النساء هَمُّهُنَّ زينة الحياةِ الدنيا والفسادُ فيها.

ح٢٣٨ المرأةُ شرٌّ كُلُّها، وشرُّ مافيها أنه لابدّ منها.

ح١٢٤ غَيرة المرأة كفرٌ، وغَيرة الرجل إيمان.

ح ٦١ المرأة عَقرَبٌ حُلْوَةُ اللّبْسة.

ح ٢٣٤ خيارُ خصالِ النساء، شرارُ خصالِ الرجال: الزَّهْوُ والجُبْنُ والبُخل. فاذا كانت المرأة مزْهُوّةً (أي فخورة) لم تُمَكّنْ من نفسها، واذا كانت بخيلةً حفظت مالَها ومالَ بعلها، واذا كانت جبانةً فَرِقَتْ (أي فزعت) من كل شيٍ يَعْرِض لها.

٢٧٠ وقال (ع) في وصيته لابنه الحسن(ع) بعد انصرافه من صفين:

واياك ومشاورةَ النساء، فانّ رأيَهُنَّ إلى افنٍ (أي نقص)، وعزمَهُنَّ إلى وَهْنٍ. واكْفُفْ

عليهن من أبصارهنّ بحجابك إياهن، فانّ شدةَ الحجابِ أبقى عليهنّ، وليس خروجُهن بأشدَ من إدخالك من لايوثقُ به عليهنّ. وانْ استطعتَ ألايعرفنَ غيرَك فافعلْ. ولا تُمَلِّكَ المرأةَ من أمرها ماجاوز نفسها، فانّ المرأةَ ريحانةٌ وليست بقهرمانةٍ. ولا تَعْدُ بكرامتها نفسَها، ولا تُطمِعْها في أن تشفعَ لغيرها. وإياك والتغايرَ في غيرِ موضعِ غَيرةٍ، فانَّ ذلك يدعو الصحيحةَ الى السَّقمِ، والبريئةَ الى الرِّيب.

ح ١٣٦ جهاد المرأة حُسنُ التبعّل.

٧٨ ومن خطبة له(ع) بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء وبيان نقصهن:

معاشرَ الناسِ، إنَّ النساء نَواقصُ إلايمان، نواقصُ الحظوظِ، نواقصُ العقول. فأما نقصانُ إيمانهنَّ فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن. واما نقصان عقولهن فشهادة امراتين كشهادةالرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهنَّ فمواريثهنّ على الانصاف من مواريث الرجال. فاتقوا شرارَالنساءِ، وكونوا من خِيارهن على حَذَر. ولا تطيعوهنَّ في المعروفِ حتى لايطمعنَ في المنكر.

ومن وصية للامام علي(ع) لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

ولا تَهيجوا النساء بأذى، وإن شَتَمْنَ أعراضَكم وَسَبَبْنَ أمراءكم، فانهنّ ضعيفاتُ القوى والا نفسِ والعقول. وان كنّا لنؤمَر بالكفّ عنهنّ وانهنّ لمشركاتٌ. وان كان الرجُل ليتناولُ المرأةَ في الجاهليةِ بالفهر(حجر يدق به الجوز) أوالهِراوةِ(العصا)فيُعَيَّرُ بها وعَقِبهُ مِن بعده.

بيان بعض حكم الامام علي(ع) وأقواله:

من المصنفات السابقة، لانستغرب جملةً من الاقوال التي أفادها الامام علي(ع) عن المرأة المنحرفة التي تعمل بهواها دونما تقيّد بمبدأ، كماهو حال كثير من النساء. يقول(ع):

- وإنّ النساءَ همُّهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها (الخطبة رقم ١٥١)
- المرأةُ شرٌكلها، وشرُّمافيها أنه لابدّ منها (الحكمة رقم ٢٣٨)
- غيرة المرأة كفرٌ، وغيرة الرجل إيمان (الحكمة رقم ١٢٤)- المرأة عقربٌ حُلوةُ اللّبسة (الحكمة رقم ٦١)

(١) - هَمّ المرأة:

فاذا تركت المرأةُ عقلها جانبا، وألقت أوامر الشرع وراء ظهرها، لم يَعُدْ لها من هَمَّ في الحياة غير زينتها وزخارفها، والانسياق وراء شهواتها. فقال الامام(ع): «وإنَّ النساءَ هَمُّهُنّ زينة الحياةِ الدنيا والفسادُ فيها».

(٢)- المرأة الفاسدة شر كلها:

وعندها تصبح المرأة شراً كلها، على الرغم من حاجة الرجل والوجود البشري اليها. فقال(ع): «المرأةُ شرٌّ كلها، وشرُّ مافيها أنه لابدّ منها».

(٣)- غَيرة المرأة وغَيرة الرجل:

والمرأة بدافع غيرتها على زوجها قدتنساق وراء عاطفتها، فتتصور أن زوجها يمكن أن يتزوج عليها، فخير سبيل لتتفرد به هو أن تفقره أوتمنعه من مغادرة الدار، أو تَصِمه بالريبة في كل نظرة ينظرها، ممايسبب لها فسادَ حياتها الزوجيه و يعود عليها بالضرر والسوء. ولذلك نهاها الامام(ع) عن هذه الغيرة المحرمة، واعتبرها كفراً بالنعمة التي أنعمها الله عليها،[٤] فقال(ع): «غَيرة المرأة كفر». وهذه الغيرة مختلفة جداً عن غيرة الرجل التي تعني الحفاظ على زوجته وأهله ضد أي اعتداء خارجي أو انتهاك لكرامتهم، فهذا واجب على كل رجل، وهو جزء من الايمان، فقال(ع): «وغَيرةُ الرجلِ إيمان».

(٤) - غدر المرأة:

وفي الحكمة الرابعة يبيّن الامام(ع) جانباً من نفسية المرأة الشريرة، التي دأبها أن تغدر بزوجها، في حين تظهر له حُسْنَ معاشرتها وتصرفاتها، فهي كالعقرب التي تلدغ الانسان بعد أن تعطيه الثقة والأمان، فقال(ع): «المرأةُ عَقْرَبٌ حُلْوةُ اللَّبسَة»[٥]

(٥)- خيار خصال النساء:

ونتيجة التباين في خصال المرأة وفي وظيفتها عن الرجل، تعتبر بعض الخصال السيئة في الرجل، خصالاً جيدة في المرأة. وَ يَعُدّ الامام(ع) ثلا ثاً من هذه الخصال وهي: الزهو والجبن والبخل. فيقول(ع): (خيارخصال النساء ،شرار خصال الرجال:«الزَّهوُ والجُبنُ والبُخل. فاذا كانت المرأةُ مَزْهُوَّةً (أى فخورة بنفسها) لم تُمَكّن من نفسها. واذا كانت بخيلةً حفظت مالها ومالَ بعلها. واذا كانت جبانةً فَرِقَتْ (أي فزعت) من كل شيءٍيَعرِض لها) (الحكمة رقم ٢٣٤)

فالمرأة التي لا تستهين بنفسها يدفعها اعجابُها بنفسها الى أن لا تُمَكّن أحداً من نفسها، وهي صفة جيدة في المرأة. على عكس المرأة الدنيئة التي تُسَلّم نفسها لكل طالب بلامقابل.

وبما أن السعي وراء زينة الدنيا يحتاج الى المزيد من المال الذي يرهق كاهل الرجل، كانت المرأة البخيلة أفضل من المسرفة، لانها بذلك تحافظ على مالها ومال زوجها وأسرتها.

أما الجبن والخوف عند المرأة فهو من أفضل الصفات، لأن المرأة التي تَدّعي الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون أن تحترس، وبما أنهاضعيفة، فهي بذلك تُعَرّض نفسها للمهالك ، ولوكانت تخاف لتجنبت أماكن الخطر، ولحسبت لكل أمر ألفَ حساب.

أما الرجل، فمن أسمى خصاله أن يكون متواضعاً كريماً شجاعا، على أن لايُخرجه ذلك عن حدود الشرع، فينقلب تواضعه الى ذل، وكرمه الى إسراف، وشجاعته الى تَهَوّر.

(٦)- معاملة النساء والحفاظ عليهن:

ولم يبخل الامام(ع) عن اسداء بعض الارشادات الضرورية للرجال، في كيفية معاملة نسائهم والحفاظ عليهن. فالمرأة التي تنساق عادة وراء عاطفتها، يجب أن تكون في ظل رجل يصونها من الشذوذ والانزلاق، وَ يَمحَضُها النصيحة والرأي الصائب،

الذي يجعلها تفوز بسعادة الدنيا والاخرة.

يقول الامام(ع) في آخر الوصية التي كتبها لابنه الحسن(ع) عند انصرافه من صفين:

«وإياك ومشاورةَ النساءِ، فانّ رأيَهُنَّ إلى أفنٍ (أي نقص) وعزمَهُنَّ الى وَهْنٍ (أي ضعف). واكفف عليهنّ من أبصارهن بِحجابك إياهن، فانّ شدة الحجابِ أبقى عليهن. وليس خروجُهُنّ بأشدَّ منْ ادخالك من لايوثق به عليهن. وان استطعتَ ألا يَعرِفنَ غيرك فافعل. ولا تُمَلِّك المرأةَ من أمرها ماجاوز نفسها، فانّ المرأةَ ريحانةٌ وليستْ بقهرمانةٍ. ولا تَعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تُطِمعها في أن تشفعَ لغيرها. وإياك والتَغايُرَ في غير موضعِ غيرة، فانّ ذلك يدعو الصحيحةَ الى السَّقمِ، والبريئةَ الى الرِّيب» (الخطبة رقم ٢٧٠).

و يتضمن هذا النص الامور التالية:

١- مشورة المرأة :

ففي البداية يبين الامام(ع) أن تفكير المرأة مرتبط بعاطفتها ارتباطاً وثيقا، ورأيها في الاشياء مرتبط باهتماماتها. فلاينبغي للرجل أن يشاور المرأة، فان رأيها قد يُضعف رأيه و يُثَبِّط همّته. ولايستشير النساء إلا العاجزُ من الرجال. يقول(ع): «وإياك ومشاورة النساء فانّ رأيَهُنّ إلى أفنٍ، وعزمَهُنَّ إلى وهن».

وأما اذا كانت المرأة ذات رأي قويم وعزم قوي، فلماذا لايشاورها الرجل، ولايكلفها بجسيم الاعمال والمهمات؟ كمافعل الامام الحسين(ع) حين كلّف أخته مولاتنا زينب العقيلة(ع) بأن تتابع نهضته من بعده، وأن تبين للملأ أهدافها ومراميها، فقامت بذلك بكل ثبات ورباطة جأش، وحَمَتْ ابن أخيها الامام زين العابدين(ع) وجميع السبايا، فكانت بذلك «بطلة كربلاء».

٢ - حَجْبُ المرأة وعدم الاختلاط:

ثم يؤكد الامام(ع) على أمرِ المشرّع بحفظ المرأة، فان عدم اختلاطها بالرجال أحفظ لها ولهم. فقال(ع): «واكْفُف عليهنّ من أبصارهن بحجابك إياهن) أي اِحْجبهُنّ عن الغرباء حتى لا تقع أبصارهن على مايكون سبباً لفسادهن. ثم يقول(ع): «فإنَّ شدةَ الحجابِ أبقى عليهنّ» وليس المقصود بالحجاب هنا مايوضع على الرأس والعنق والجيب، وانما المقصود

به الاعتزال وعدم الاختلاط. وان كان حجابُ الرأس هو واجب أيضاً بنص القرآن الحكيم. يقول تعالى عن الحجاب الاول مخاطباً نساء النبي اللواتي هنّ قدوة المسلمات: «وقَرْنَ في بيوتكُنَّ، ولا تَبَرَّجنَ تَبَرُّج الجاهليةِ الاولى، وأطعنَ اللهَ ورسولَه» و يقول سبحانه عن حجاب الرأس «ياأيها النبي قُل لازواجك وبناتِك ونساء المؤمنين يُدنينَ عليهنّ من جلابيبهنّ، ذلك أدنى أن يُعرَفنَ فلايؤذين» (سورة الاحزاب ٥٩).

ثم يؤكد على لزوم ستر العنق ومايليه من الصدر وهو الجيب فيقول «وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاماظهر منها، وليَضربْنَ بِخُمُرِهِنّ على جيوبهن» (النور- ٣٢)

والمقصود بالزينة الظاهرة ماتظهره المرأة من جسمها حال الصلاة، وهو الوجه الوضوئي واليدين الى الزندين والقدمين الى الكعبين.[٦]

ثم قال الامام(ع): «وليسَ خروجهن بأشدَّ من إدخالك من لايُوثَقُ به عليهن» فهو(ع) يقول: «ان خروج النساء من البيت أهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لأن من تكون هذه صفته يتمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيب، بينما لايتمكن مِن ذلك إذا رآهن في الطريق.

ورغم ان المشرع الحكيم سمح للمرأة بالخروج من بيتها في حالات الضرورة والحاجة، فان الامام(ع) شدّد كثيراً على هذه الناحية، لتقديره المفاسد الكبيرة التي تنشأ عن اختلاط النساء بالرجال، كماهو في عصرنا لحاضر. ولذلك قال(ع): «وانِ استطعتَ ألا يعرفْنَ غيرَك فافعَلْ». ورغم أن الخطاب في هذه الوصية هو للامام الحسن(ع) فهو غير موجه اليه بقدر ماهو موجه لعامة المسلمين، لأن عقيلات أهل البيت كُنَّ أشدَّ الناس تمسكاً وتطبيقاً لتعاليم الشريعة.[٧]

روى ابن شهرآشوب في المناقب أن النبي(ص) قال لفاطمة(ع): «أي شيءٍ خيرٌ للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولايراها رجل. فضمّها اليه وقال: ذريةٌ بعضها من بعض».

وقد أثر عن زينب العقيلة(ع) أنها كانت لا تعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي. وكانت عندما تضطر الى مغادرة بيتها، تخرج ليلا محجبة ومعها الحسن(ع) عن يمينها والحسين(ع) عن شمالها، وأبوها أميرالمؤمنين أمامها.

وقد كانت مولاتنا سُكينة بنت الامام الحسين(ع) شبيهة بجدتها فاطمة الزهراء(ع)، فكانت منقطعة الى العبادة ودائمة الاتصال مع الله، لا تغادر بيتها ولا تلتفت عن مسجدها. حتى أنه لماخطبها ابن عمها الحسنُ المثنى بن الامام الحسن(ع) قال له أبوها الحسين(ع): «أعطيك فاطمة بنتي فهي كأمي الزهراء في العبادة، أما

سكينة فلا تصلح لرجل، لأنها غالبٌ عليها الاستغراق مع الله.

ومن غريب الأمر، أن يذكر أحد المؤرخين وهو الزبير بن بكار في كتابه نسب قريش أن سكينة نفسها كانت تقيم مجالس الانس والشعر والغزل، وأنَّ بيتها كان منتدى للرجال والنساء. وفي هذا تزوير متعمد، للحط من قيمة أهل البيت في نظرالناس وتشكيكهم بهم. والحقيقة أن التي كانت تقوم بهذا الأمر هي سكينة بنت خالدبن الزبير، فقدكانت تجالس الشعراء و يتغزلون بها وبجمالها. فرفع ابن بكار هذه الوَصْمة عن آل الزبير وجعلها في آل البيت(ع)، لأن الوضع السياسي يناسب ذلك. وقدكشف هذاالافتراء ابوالفرج الاصبهاني في كتابه الاغاني حيث قال: ان التي كانت تجالس الشعراء هي سكينة بنت خالدبن الزبير وليست سكينة بنت الحسين(ع).

٣ ـ المرأة ريحانة:

ثم يؤكد الامام(ع) أن وظيفة المرأة هي في ممارسة الاعمال المناسبة لها، ومن أجلّها إنجاب أولادها ورعاية أسرتها، فهي لم تخلق لتَحَمّل المسؤوليات الشائكة والاعمال التي تضر بأنوثتها بل خُلقت لتظل وردة جميلة وريحانة عطرة. فقال(ع): «**ولا تُمَلِّك المرأة من أمرها ماجاوزَ نفسَها، فانَّ المرأةَ ريحانةٌ وليستْ بقَهْرمانة**» و في هذا إرفاق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها و أنوثتها ولايزيدها أعباء فوق أعبائها. وقد شرحنا هذاالقول سابقا حين تكلمنا عن اهتمام المرأة بالمظهر.

ثم يقول(ع): «**ولا تَعْدُ بكرامتها نفسها،ولا تُطمِعها في أن تشفعَ لغيرها**» أي لا تُجاوز باكرامها نفسَها، فتُكْرِم غيرها بشفاعتها. وكل ذلك مبني على طبيعة المرأة في الانسياق وراء عاطفتها وتجاوز حدود حقها إذا أسلس لها العنان. وإنَّ تَشَفُّعَ المرأة للولد بشكل متكرر منساقةً وراء عاطفة الامومة يسئ الى تربيته.

٤ ـ المرأة لاتحكم:

ومن هذا المنطلق نهى النبي(ص) عن إمارة النساء، لانها اذا حكمت تحكم بهواها، فتشيع في الارض الفساد، وهذا من علامات آخرالزمان وقيام الساعة.

قال النبي (ص): «**اذاكان أمراؤكم أخيارَكم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمرُكم شورى**

بينكم، فظهرُ الارض خيرٌ لكم من بطنها. واذا كان أمراؤكم أشراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمركم الى نسائكم، فبطن الارض خير لكم من ظهرها».

وقال الامام علي(ع): «ومن أمارات الساعة: إمارة النساء والصبيان وكثرة السراري وارتفاع البنيان. ولا تقوم الساعة حتى تشتغل الرجال بالرجال، والنساء بالنساء».

و يقول الامام(ع) في مستدرک نهج البلاغة ص ١٧٦: «يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة ـ وهو شر الأزمنة ـ نسوة كاشفات عاريات، متبرجات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات الى الشهوات، مشرعات الى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات».

٥ ـ خطر تمادي الرجل في الغيرة:

ثم ينهى الامام(ع) في موعظته حول معاملة المرأة، ينهى الرجل عن التمادي في الغيرة على النساء والزوجة، فيسئ الظن بهن بدون سبب، فان ذلك يولد فيهنّ رد فعل سيئاً، فخير الأمور الوسط، وكل شئ في محله جميل. يقول(ع): «واياك والتغايرَ في غير موضع غَيرة، فانّ ذلك يدعو الصحيحةَ الى السَّقَم، والبريئةَ الى الرِّيب» فاذا كانت المرأة سَوية بريئة فان شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتميل الى الشذوذ والى سلوك سبل الريب.

٦ ـ جهاد المرأة :

ننتقل الان الى بيان جانب هام من وظيفة المرأة الفطرية، وذلك حين تكون زوجة صالحة.

ان سر نجاح الزواج كامن في علاقة المحبة والالفة بين الزوجين، وفي التوافق النفسي والروحي بينهما. وتلعب هنا العلاقة الزوجية دوراً كبيرا.

لذلك أكد الشارع الحكيم على تقوية العلاقة ليصون الأسرة ويجعل بناءها قوياً متيناً. ووضع المسؤولية الكبرى في تمتين تلك الرابطه على الزوجة بالذات، لانها أوتيت الوسائل اللازمة لذلك ، واعتبر عملها هذا في تقوية تلك الرابطة مسؤولية كبيرة لايجوز لها أن تستهين بها، وسماها «جهاد المرأة» في مقابل «جهاد الرجل» الذى يقصد به مجاهدة الاعداء والسعي في تأمين ضرورات الحياة. وقد ترجم الامام علي(ع) هذا المعنى بقوله: «جهادُ المرأةِ حُسنُ التَّبَعّل» و يقصد

بالتبعل إطاعة المرأة لزوجها وتأمين كل حاجاته المادية والعاطفية، حتى يظل مشدوداً اليها ومشغولا بها عمن سواها، فتكون له دِرْءاً يُجَنِّبه الحرام، وحافظاً يصونه من طوارق الأيام. وفي ذلك يقول النبي(ص): «ما استفاد امرؤ فائدةً بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة، تَسُرّه اذا نظر اليها، وتطيعه اذا أمرها، وتحفظه اذا غاب عنها، في نفسها وماله».

٧ ـ خبر أسماء بنت يزيد الأنصارية:

ولبيان الفرق بين جهاد المرأة وجهاد الرجل، وأن جهاديهما متكاملان، نورد قصة أسماء بنت يزيد الانصارية، وافدة النساء على رسول الله(ص).

ومجمل القصة أن أسماء أتت الى النبي(ص) وهو في أصحابه فقالت: بأبي وأمي أنت يارسول الله، أنا وافدة النساء اليك . ان الله عزوجل بعثك الى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك و بإلهك . وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعدُ بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات أولادكم. وانكم معاشرالرجال فُضّلتم علينا بالجُمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزوجل. وان أحدكم اذا خرج حاجاً أو معتمرا او مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربّينا أولادكم، أفما نشارككم في هذا الاجر والخير؟ فالتفت النبي(ص) الى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط، أحسن من مسألتها هذه في أمر دينها؟ فقالوا: يارسول الله أي امرأة تهتدي الى مثل هذا؟! فالتفت اليها النبي(ص) وقال: «إفهمي أيتها المرأة وأعْلِمي من خلفك من النساء، أنّ حُسنَ تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها أمره، يعدل ذلك كله. (المجالس السنية ج ٢ ص ١٣٣)

٨ـ مظاهر نقص المرأة:

نعود الان للحديث عما ختمنا به المناقشة الجريئة التي تمت مع الصحفية الايرانية في طهران.

فبعض النساء يتهمن الامام علياً(ع) بالتحامل على المرأة لأنه وسمها بالنقص. ولكني أقول ان كلام الامام(ع) هو من قبيل بيان الحال، وليس مقصوده الحط من قيمة المرأة تجاه الرجل. فكل شئ لايملكه الانسان هو نقص فيه. واذا كانت المرأة

ناقصة في بعض الامور، فان الرجل ناقص في أمور أخرى. إلا أن الافضلية النهائية هي للرجل، لقوله تعالى: «الرجالُ قوّامونَ على النساء بِما فضّل الله بعضهم على بعض»[٨] (سورة النساء - ٣٤) ولذلك جعل الله قيادة الاسرة بيد الرجل.

وقد حدد الامام علي(ع) نقص المرأة في ثلاثة مجالات هي:

«نقص العقول ونقص الحظوظ ونقص الطهارة»

يقول الامام علي (ع) من خطبة له بعد فراغه من قتال عائشة في حرب الجمل، في بيان نقص النساء:

«معاشرَ الناسِ. إنَّ النساء نَواقصُ الايمان، نواقصُ الحظوظ، نواقصُ العقول. فأما نقصانُ إيمانهنّ فقعودهن عن الصلاةِ والصيامِ في أيامِ حيضِهنَّ، وأما نقصانُ عقولهن فشهادةُ امرأتينِ كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصانُ حظوظهن فمواريثهنّ على الانصافِ من مواريثِ الرجال. فاتقوا شرارَ النساءِ، وكونوا من خِيارهن على حَذَر. ولا تطيعوهُنَّ في المعروفِ حتى لا يَطْمَعْنَ في المنكر»

وسوف نشرح فيما يلي مظاهر النقص السابقة وعواملها:

١- نقص الطهارة:

وقد عبّر عنه الامام(ع) بنقص الايمان في قوله «إنَّ النساء نَواقصُ الايمان» ذلك أن العبادة التي هي لُبّ الايمان لا تستقيم بدون طهارة. وفي حين يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد أن المرأة تقعد عن الصلاة والصيام في أيام المحيض، وهي تشكل نحواً من ربع حياتها. وسبب ذلك أن المرأة أثناء المحيض تعاني من تبدلات عضوية ونفسية تجعلها غير مهيأة لممارسة العبادات. يقول تعالى: «يسألونَك عنِ المَحيضِ قُلْ هو أذى». ويصح ذلك بالنسبة للجُنُب من الزوجين، فالجنابة والحيض والنفاس يرافقها ظلمة تُغَشّي النفس لا تزول إلا بزوالها.

هذا وان حالة الحيض لما تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والانجاب والارضاع. فهو ليس منقصة للمرأة بل كرامة تعتز بها. لأن المرأة بهذا النحو تكون مُنجبة للأجيال وصانعة للابطال.

٢- نقص الحظوظ:

ويقصد به حظ المرأة في الارث، فنصيب النساء على الانصاف من نصيب

الرجال، وذلك في قوله تعالى « لِلذَّكَرِ مِثْلُ حظِّ الأُنثَيَيْنِ» وهذا في نظرى تكريم كبير للمرأة. ففي حين لم يطالب الاسلام المرأة بأية نفقة لاحد، نراه يعطيها نصف مايعطي الرجل. بينما طالب الرجل بالانفاق على أسرته ووالديه وحتى على إخوته إن كانوا محتاجين. فالتفريق في سهم الارث إنما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة والتكليف بين الرجل والمرأة. ولو أعطى الله المرأة كالرجل في تلك الحال لكان ذلك ظلما وجورا.

وهذا النقص أيضا ليس مدعاة للحط من قيمة المرأة، وانما هو لتحقيق العدل والانصاف، والتعادل بين الحق والواجب.

٣ـ نقص العقول:

وقد شرحنا جانباً من هذا النقص حين بيّنا التفاوت بين المرأة والرجل من حيث توزيع العقل والعاطفة، ليقوم كل منهما بدوره على أحسن وجه.

وقد ورد هذا النقص على لسان الامام(ع) في موضع آخر من النهج، وذلك في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو بصفين، حين وصّاهم بعدم التعرض للنساء بأذى، وانْ تَفَوَّهنَ بألفاظ السبِّ والشتم. يقول(ع):

«ولاتهيجوا النساء بأذى، وإن شَتمن أعراضَكم وسَبَبنَ أمراءكم، فانهنَّ ضعيفاتُ القوى والأنفسِ والعقول».

فمن صفة النساء اذا أثيرت حفيظتهن، أنهن يسترسلن في التفوه بأنواع الكلام، دون أن يستطعن كبح جماح أنفسهن وعاطفتهن. ولهذا السبب كانت المرأة في الماضي اذا تكلمت أمام السلطان أو الأمير، فلايحاسبها كمايحاسب الرجل، بل يقول: انها امرأة والمرأة تتكلم بعاطفتها.

ولهذا السبب اعتبر الشارع المقدس شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد، لأن المرأة بدافع عاطفتها الغالبة عليها يمكن أن تُحوّر مضمون الشهادة فتخرجها عن حقيقتها، اضافة الى أنها كثيرة النسيان وقليلة الدقة العقلية.

ولاينفي ذلك تمتع بعض النساء بعقول ناضجة قدتفوق عقول الرجال. ومن أقرب الامثلة على ذلك تلك المرأة المخزومية التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفحمته حتى قال: ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت إمامكم فَفَضَلَتْه؟!

خبر أم البنين مع الحجاج:

ومن ذلك خبر أم البنين زوجة الوليد بن عبدالملك حين جادلت الحجاج الثقفي فأفحمته. فقد روى ابن قتيبة في (عيون الاخبار) انه لمادخل الحجاج على الوليدبن عبدالملك ، وعليه درع وعمامة سوداء وقوس، بعثت اليه زوجته أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان تسأله: من هذا الاعرابي المُسْتَلئِم في السلاح عندك وأنت في غلالة؟ فأرسل اليها قائلا: هذا الحجاج. فأعادت الرسول اليه فقال: انها تقول لك : واللهِ لأن يخلوبك مَلَك الموت في اليوم أحياناً أحب اليّ من أن يخلوبك الحجاج. فأخبر الوليدُ الحجاج بذلك وهو يمازحه. فقال: يا أميرالمؤمنين، دَع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فانما المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة، فلا تُطلعهن على سِرك ولا تُدخلهن في مشورتك .

فلما دخل الوليد على زوجته أخبرها وهو يمازحها بمقالة الحجاج. فقالت: ياأميرالمؤمنين، حاجتي أن تأمره غداً أن يأتيني مُسَلّما. ففعل ذلك ، فلما أتاها الحجاج حجبته، فلم يزل قائماً حتى أذنت له. فقالت: ياحجاج، أنت المُمتَنّ على أميرالمؤمنين، بقتلك ابن الزبير وعبدالرحمن بن الأشعث! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شرُّخلقه ماابتلاك برمي الكعبة الحرام، ولابقتل ابن ذات النطاقين (أي عبدالله بن الزبير الذي أمه أسماء بنت أبي بكر)، أول مولود في دار هجرة الاسلام! وأما نهيك أميرالمؤمنين عن مفاكهة النساء و بلوغ لذاته وأوطاره، فان كُنّ ينفرجْنَ عن مثلك فما أحقه بالأخذ منك ! وان كنّ ينفرجن عن مثله فهو غيرقابل ذلك .. ثم أمرت جواريها فأخرجنه.

(شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد طبعة مصرج ١٦ ص ١٢٦)

ومن أراد المزيد من هذه الاخبار الطريفة فليراجع الكتاب الجامع: آثار ذوات السوار لجامعه محمدعلي حامدحشيشو- طبع صيدا.

٤ ـ التحفظ في إطاعة النساء.

ثم يُعَقِّب الامام (ع) بقوله: «فاتَّقُوا شِرارَ النساءِ، وكونوا من خيارهنّ على حَذَر،

ولا تطيعوهُنَّ في المعروفِ حتى لايطمعنَ في المُنكر». وفي هذا بيان واضح الى أن النساء لَسْنَ بصفة واحدة، فمنهن الصالحات وهن المؤمنات، ومنهن الشريرات وهن الفاسقات والكافرات.

وعلى المؤمن أن يجتنب النساء الشريرات، ولايستسلم للنساء الصالحات، بل يكون حذرا من انزلاقهن الى الحرام. واذا كُنّ صالحات فلايطيعهن في كل شئ، لأن اطاعتهن في كل مطلب يُشجعهن على التمادي في الطلب، حتى يطلبن المنكر.

خاتمة

وأختم حديثي بالقول: ان نظرة الامام علي(ع) هي عينُ نظرةِ الاسلام، ونفسُ نظرةِ النبي(ص)، فهوالذي تربّي في أحضان النبي(ص) وزقّه العلم زقّا، حتى أصبح باب مدينة العلم. واضافة لعلمه الرحيب، فقد تبدّى ذلك العلم في أعماله وأفعاله، حتى أصبح القدوة الرائدة للمسلمين، فسُمي لذلك الإمام، دون غيره من الأنام. فتمثل الاسلامُ في شخصه وفكره نموذجاً حيا صادقا، كما تمثل هو في ضميرالاسلام والمسلمين إماماً هادياً عليّا.

ولاعجب في ذلك ، فالامام عليه السلام هوالقرآن الناطق في مقابل القرآن الصامت، وهو أحد الثقلين مع القرآن، اللذين لن يفترقا حتى تقوم الساعة، مصداقاً لقول النبي(ص) في حديث الثقلين:

«واني تارك فيكم ماإن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، الثقلين: كتابَ الله عزوجل وعترتي أهلَ بيتي، فلا تَقَدَّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتزهقوا، ولا تعلموهم فانهم أعلمُ منكم. وإنّ اللطيفَ الخبيرَ أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يَردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تَخلُفُونّي فيهما»

ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال:

«هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لايفترقان حتى يردا عليّ الحوض».

تعليقات على هذه المقالة

تعليقات على «المرأة في نهج البلاغة»:

١ ــ هذا ليس هو السبب الرئيسي هنا؛ وماذكره المؤلّف بقوله: «وسعياً» لتحديد عوامل الفسوق هو الأهم بالاضافة إلى أنَّ الاسلام يسعى لتركيز عامل الثقة فيمابين الزوجين... إلى غير ذلك ممَّالامجال له هنا.

٢ ــ أي ذلك الرجل الّذي لايستخدم قدراته في خدمة الحقّ والانسانيّة.

٣ ــ هناك بعض الاختلاف النوعي أيضاً، بملاحظة الدور الّذي أهلت المرأة للقيام به... و يلاحظ ذلك في كلمات نفس المؤلّف التالية أيضاً...

٤ ــ وإذا كانت الغيرة تصل الى حدّ تنسى معه الله سبحانه بل وتتحدّى معها أوامره تعالى ونواهيه بشكل علني وسافر وعن سابق توجّه واطّلاع؛ فانَّها تعني أنَّها في حالة غيرتها وثورتها لا تعترف بسلطان الله سبحانه ولاتخضع لأوامره وزواجره... ولعلَّ هذا أقرب الى مايرمي إليه الإمام علي(ع) من كلمته المأثورة: «غيرة المرأة كفر».

٥ ــ ولعلَّ الأقرب الى مايرمي اليه أميرالمؤمنين(ع) من كلمته هذه، هو أنَّ المرأة كثيراً ماتؤذي الرجل عن عمد أو من غير عمد، ولكنَّها وبملاحظة وضعها العاطفي والأنثوي المثير له تجعل الرجل ليس فقط لايجد ألم لسبتها وانَّما هو يلتذّ بها أيضاً.

٦ ــ البحث المتقدم فقهي، فيه الكثير من الأخذ والردّ بين الفقهاء. وماذكره المؤلّف هنا هو مارآه مناسباً بحسب سياق بحثه هذا.

٧ ــ لاريب في أن من الخير للمرأة هو أن لا ترى الرجل ولاالرجل يراها كما قرّرته الصديقة الطّاهرة فاطمة الزهراء عليها السّلام في مقام جوابها لسؤال أبيها الرسول الأكرم(ص) لها عن ذلك... ولكن ذلك ليس هو كلّ ماينبغي أن يقال في هذا المجال... وإلاَّ... فإنَّ المقامات والأحوال تختلف... فقديفرض الواقع الموضوعي على المرأة أن تقف مع الرجل جنباً الى جنب لتسجّل موقفاً نضالياً ورسالياً يدفع اليه التكليف الشرعي وضرورة الحفاظ على حياة الاسلام وعلى حيويّته، وعلى حدوده وثغوره... ولأجل ذلك نجد «فاطمة الزهراء» ومن بعدها ابنتها العقلية «زينب» وسواهما من عقائل الرسالة يشاركن في تسجيل مواقف رساليّة وسياسيّة علنيّة وفي ملأ من الناس... مع عدم التّخلّي عن الإلتزام بالحجاب وعدم الإخلال به... وإذن فانَّ

من المناسب إلفات نظر القارىء الى أنَّ الظروف تختلف وتتفاوت وتبعاً لها يحصل الاختلاف والتفاوت في الوظيفة الشرعية الإلٰهيّة الّتي لابدَّ من إلتزام بها وأدائها على النحو الأفضل والأكمل...

٨ ــ هذه الآية ليست في مقام تقرير الأفضلية النهائية والمطلقة للرجل على المرأة وانّما هي مقام اعطاء الرجل حقّ القيمومة على المرأة وتقرير: أنَّ القرار النهائي يرجع إليه لأنّه هو الّذي يتصدّى للإنفاق على المرأة ولأنّه هو الذي يملك قدرة أكبر على اتّخاذ القرار الأنسب مادام أنَّ عواطفه ليست بدرجة من القوّة بحيث تهجن على عقله ولأسباب أخرى شرح جانباً منها المؤلّف نفسه فيماتقدّم وفيمايأتي.

من وحي نهج البلاغة

حسين مسعودي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله: أما بعد:

كما أنّه لايقدر ان يصف نور السموات والارض إلا نورالسموات والارض ولايقدر أن يصف كتاب الله إلا كتاب الله فكذلك لايستطيع ان يصف نهج البلاغة إلا نهج البلاغة. اللهم إلاّ كما يقال عن البحر انه لُجي أوالشمس انها مضيئة أو الكون انه فسيح أما ان يحاط بنهج البلاغة او تدرك غايته او يسبر غوره او يبلغ كنهه فهذا مالايتسنى لمتتبع ولايتهيأ لمستقص لاأستثني من ذلك عالماً ولامجتهداً مهما علا شأنه ورسخت قدمه لأن في هذا الكتاب من العلوم الالهية والكونية والغيبية والرياضية والتربوية والتعبوية.

مالاعين رأت ولاأُذن سمعت ناهيك عما اشتمل عليه من الاغراض النوعية الاخرى كالبدنية والمعاشية والتعايشية والتعاملية والاقتصادية والاحتجاجية وما الى ذلك من ترغيب يجلو لك الجنة بحورها وولدانهاومن ترهيب يستثير عليك النار بجحيمها وسعيرها فلوأنّ امرء أُوتي فصاحة سُحبان وقس بن ساعدة مزدوجتين لماقدر ان يعطى ناحية واحدة حقها و يلم بجوانبها و يفصح عن مكنوناتها مما كان عليه أميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام وانما تجلى بريق من هذه النواحي الخارقة في خطب نهج البلاغة هذا الكتاب القدسي الذي ألّفه وجمع أشتاته ومتفرقاته الشريف الرضي السيد ابوالحسن محمد بن أبي احمد الحسين الموسوي طيب الله ثراه وهل لمن وهب

لطافة الحسن وصفاء الذهن وصحة التمييز إلا ان يكون عييَّ اللسان ناضب اليراع كليل النظر عن ان يتكلم أو يخط او يصور عظمة و سمو واشعاع نهج البلاغة الذي قيل عنه وهذا اصح تعبير (انه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) فكيف بواضع نهج البلاغة أمير المؤمنين علي(ع) الذي هو باب مدينة العلم يفتي أهل التوراة بتوراتهم واهل الانجيل بانجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفرقان بفرقانهم. إنه امير المؤمنين في بلاغته وعلمه وفصله في قضائه وسبقه في اسلامه وشجاعته في مواقفه انه أمير المومنين في قربه من رسول الله(ص) كهٰرون من موسى وشهادة النبي بأنه الايمان كله يوم برز لعمرو إنه أمير المؤمنين في رده الشمس واخباره بالمغيبات الى جانب تقاه وزهده وخالص توحيده الذي لاأدل عليه من قوله ـ ماوحّد الله مَن كيَّفه ولاحقيقته أصاب من مثله ولاإياه عنى من شبَّهه ولاصمده من أشار اليه وتوهَّمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لاباضطراب آلة مقدرٌ لابجول فكرة غني لاباستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له وبمضادته بين الأمور عرف ان لاضد له و بمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له ضادَّ النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متباياتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها لايشمل بحد ولايحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الالة الى نظائرها منعتها منذ القدمية وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول و بها امتنع عن نظر العيون لايجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ماهو اجراه و يعود فيه ماهو ابداه ويحدث فيه ماهو أحدثه اذاًالتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولامتنع من الأزل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام (الى آخرها) ـالله اكبرـ ماأعلى وارفع وأرق وأسمى هذا النموذج التوحيدي وكم له في نهج البلاغة من أمثال وأشباه عز نظيرها وامتنع مشبهها مما أوجب على الشريف الرضي ان يقول ـ كان أمير المومنين(ع) مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه أُخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قائل خطيب و بكلامه استعان كل واعظ بليغ وان كلامه هو الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي وليس كلامه إلا البحر الذي لايساجل والجم الذي لايحافل ـ كما حدا بابن ابي الحديد شارح النهج أجزل الله ثوابه ان يقول ـ وماذا اقول في رجل تعزى اليه كل فضيلة وتنتهي اليه كل فرقة

وتتجاذبه كل طائفة فهو رئيس الفضائل و ينبوعها وأبوعذرها وسابق مضمارها ومجلي حلبتها كل من بزغ فيها بعده فعنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى: وزاد على هذا بقوله في شعره:

(تقيلت افعال الربوبية التي عذرت بها من شك انك مربوب)

وهو مادعا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مقدمة شرحه للنهج ان يقول ـ كلما انتقلت من موضع الى موضع في نهج البلاغة احس بتغير المشاهد وتحول المعاهد فتارة اجدني في عالم يغمره من المعاني ارواح عالية في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحي اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفرد بها عن مداحض الزلل الى جواد الفضل والكمال: الى ان يقول: وأحياناً كنت اشهد ان عقلاً نورانياً لايشبه خلقاً جسدانياً فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني فخلصه من غاشيات الطبيعة وسما به الى الملكوت الاعلى ونما به الى مشهد النور الاجلى... وآنات كأني اسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمه وأولياء أمر الأمة يعرفهم مواقع الصواب و يبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب و يرشدهم الى دقاق السياسة و يهديهم طرق الكياسة و يرتفع بهم الى منصات الرئاسة و يصعدهم شرف التدبير و يشرف بهم على حسن المصير.

اقول: وهل تعني هذه الاقوال من هؤلاء الرجال الاعلام ذوي الشأن والمقام في عالم الرقي الفكري والتمحيص العلمي والتوجيه الاجتماعي والتنقيب عن الحقيقة في مكمنها والكشف عن جوهريتها والحض على صيانتها إلا عن اهلها المقدرين قدرها الآوين الى ظل نعمتها والموطنين النفس على اعتناق ايجابياتها ونبذ سلبياتها. انها ولاشك تعطينا الشاهد العدل والقول الفصل على انَّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام هو لاغيره بعد النبوة المثل الاعلى للكمال الانساني والصفاء الروحي والعلم اللَّدني والوارث الاول والاخير لحكمة الرسول الاعظم(ص) وفصل خطابه...

وهل التقى مخلوق بخالقه. مثل ماالتقى به أميرالمؤمنين(ع) في نهج البلاغة علماً وتوحيداً وتنزيهاً وزهداً وحكمة وصبراً وتسليماً وأمراً بمعروف ونهياً عن منكر اذ كل غريبةٍ من غرائبه وكل موعظة من مواعظه وكل حكمة من حكمه تضرب اليها آباط الابل وتقصر في ادراكها المسافات وتستفرغ لاجلها الجيوب. ولامشاحة ولاجدال بان من يحاول أن يعرف علياً(ع) من زاوية غير زاويته الخاصة المتمثلة في منطق

نهج البلاغة ومسترشداً بأفعاله المؤيدة بمؤاخاة النبوة لها ووقوف تعاليم الاسلام ونظمه بازائها فانما يرجع من محاولته وعلى عينيه غشاء الخيبة وفي حقيبته حصيلة الافلاس - ولابد من القول بأن نهج البلاغة هو الجامعة الرحمانية في الارض تتولى التدريس فيها ملائكة السماء فتتخرج من بين جدرانها ومن على مقاعدها أفواج العارفين المهتدين المسترشدين برؤية الحقائق المجردة واللطائف المؤكدة فيحيون ويحيون ويقنون فيفنون تاركين وراء ظهورهم مايذهب جفاء للمغترين الواهمين ومقدمين ماينفع الناس ويمكث في الارض صدقة بين ايديهم للمتدبرين المستبصرين. فسلام عليك أيها النهج السوي والحبل المتين والعروة الوثقى والجامعة السماوية في الارض والسلام من السلام على من أسس بنيان هذه الجامعة ورفع قواعدها وضمن بقاءها وعظمتها وخلودها هدانا الله صراط اسلامه وبصرنا بأنوار معارفه وجعلنا بهديه من المهتدين.

ومما يتفق مع مانحن بصدده ماسبق لي أنا العاجز أن قلته في غديريتي المستوحاة من أخذ البيعة لأميرالمؤمنين يوم الغدير ثامن عشر ذي الحجة الحرام (منها)...

تأتيه مافاز امرٌ لم يسقه ... ساقي الغدير على الصراط مداما
كلاً ولم يرق العلى من لم يجد ... للمرتضى حقاً عليه لزاما
ماذا أعدد من مناقبه التي ... جازت هناك العد والأرقاما
نهج البلاغة اغرقت أمواجه ... في لجها الألباب والأفهاما
ومغيبات العلم جلاها بما ... بهر العيون واذهل الاحلاما
والشمس من بعد المغيب اعادها ... الله اكبر مبتغى ومراما
وبذي الفقار طغاة مكة فلّها ... ومحا بها الاسراج والالجاما
واللات والعزى هنالك غادرت ... يده هياكلها ثرى وحطاما
من ذا سواه يقي فراش المصطفى ... ويصد عنه مهاجمين طغاما
من ذا لعمرو غير فارس هاشم ... يلقيه للوحش الدنيء طعاما
في كل معترك لنصرة دينه ... هل كان إلا للعدو حِماما
هو ذا أميرالمؤمنين بصورة ... وضّاءة عنها الضلال تعامى
هو ذا أميرالمؤمنين خليفة ... وأخا ووارث حكمة وإماما
ليس الزمان بناشر من فضله ... إلا كما نشر الخضمُّ غماما
يارب زدنا في الولاء لحيدر ... ولمن يواليه هوى وغراما
واكتب لنا في يوم عيد غديره ... أجر الملائك سجّداً وقياما

واجعل لنا أرحام آل محمد حجج الإله على الورى أرحاما
صلى وسلم ذو الجلال على الذي أزكى وعطر هديه الأنساما

والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله

الزهد في نهج البلاغة

عيسى سليمان حبيب

سوريه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله حمداً يليق بجلاله، والصلوة والسلام على سيدنا محمدٍوآله.

من مسك الختام في كتاب الله، وعزيزِ آية: قوله تعالى:

«اَليومَ اكمَلتُ لَكُم دينَكُم، وَأتمَمتُ عَليكُم نعمتي، وَرَضيتُ لَكُم الإسلامَ دينا»

من كمال الدين أصولاً وفروعاً و بقيام حافظه، ومن تمام النعمة بالهداية والولاية، ومن رضاءالله تعالى لنا تسليم أمرنا للولي، من كلِّ أولئك نودُّ أن نستخلص حقيقتين:

- الاولى: أن الإسلام الذي ارتضاه لنا سبحانه مدرسة إنسانية شاملة لكل جوانب حياة الإنسان الروحية والمادّية، ولكل قضايا دينه ودنياه. ولامراء في أنَّ رسالة الإسلام أكملُ نداءٍ تلقَّته الارض من السماء، وأجلُّ حلقات دين التوحيد. وافصح رسالاته إبانةً لصلة الإنسان بخالقه، والدنيا بالاخرة وأدقها وصفاً لكلٍ من الطريق إلى حسن الثواب، والطريق إلى سوء المآب.

واذا كان محمد صلى الله عليه وآله المعلم الاول في هذه المدرسة العظيمة، وكتابة (القرآن الكريم) أول كتابٍ فيها، يليه حديثه الشريف «وماينطق عَنِ الهوىٰ إن هوالا وَحيٌ يوحى» صارَ واضحاً وسهلاً أن نستخلص الحقيقة:

ـ الثانية: وهي أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام المعلمُ الثاني فيها، وخطبة الشريفة التي يضمُّ معظمها كتابُ (نهج البلاغة) هي الكتاب الثاني فيها.

على عليه السلام ربيب بيتِ النبوة، عرف التوحيد قبل المؤمنين بسنين وعبدالله مع محمدٍ(ص) قبل الدعوة، وأوتي من علم الكون تسعة أعشار وكلُّ الناس عشرا، لم يكن تلميذ النبي وابن عمة فحسبُ بل كان منه كماقال صلاة الله عليه وآله:

«عليٌّ مني بِمَنزلة رأسي مِن جَسدي»[1]

ولم يكن حافظاً للقرآن الكريم فحسب أو عالماً لأسراره يُؤقِرُ سبعين جملاً من سورة الفاتحة فقط، بل كان

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2]

ولانبالغ إذا قلنا إن الحديث الشريف لايجعله تابعاً للقرآن بل صنواً له إذ كلاهما تابع متبوع. وأمام هذا الحديث الذي (وماينطق عن الهوى) يصغر قول الخليل بن أحمد:

(احتياج الكلِّ إليه، واستغناؤهُ عن الكل، دليلٌ على أنه إمامُ الكلِّ في الكل)[3]

فلاعجب أن يكون الامام على عليه السلام مدهشاً للدارسين على اختلاف عقائدهم ومشاربهم فمايكاد الواحد منهم يقترب من بحره حتى يقدم لدراسته اوكتابه بالتعبير عن شعورٍ بالهيبة وكأنه أمام محيطٍ زاخر لايعرف أني يخوض ولا كيف يخرج.

بمثل هذا الشعور سنحاول قراءة (الزهد) كجانب من شخصيته عليه السلام من خلال خطبة واقواله التي يضمها كتاب نهج البلاغة الذى كان للشريف الرضي ـ طيب الله ثراه ـ فضل جمعه، وهو مازال فينا كتاباً لم نقرأه حقَّ القراءة، ونبراساً لم نستضء به حق الاستضاءةَ. محاولين التزام الكتاب دون التاريخ والاخبار، نظراً لوفرتها ولأننا لن نستطيع الإتيان بشيء منها إلا مكرورا.

ما مفهوم الزهد عنده؟ أهو خُلُق معجز لانستطيع بلوغه؟ أم مدرسة نتعلّم منها قَدْرَ ما تستطيع؟ أهو خِضَمٌّ فلسفة؟ أم جادة صواب؟ أم ثورة روحية؟ ما وسائله؟ ماسِماتُه؟ ماغايته؟ أين الرهبانية والصوفية منه؟.

١ـ إمامة علي (ع) الصفحة ١٩٩ نقلاً عن ذخائر العقبي
٢ـ إمامة علي (ع) الصفحة ٢١١٠ نقلاً عن كتاب معرفة الصحابة
٣ـ تصنيف نهج البلاغة الصفحة ٠٧ ٣ بلاإسناد

١- معنى الزهد وحدوده:

الزهد بالشيء - لغة - ضد الرغبة فيه، وعرفاً : الإعراض عن مباهج الدنيا وملاذها أومتاعها. فما الزهد في عرف الامام (ع)؟

«الزهادةُ: قَصرَ الأمل، والشكر عندالنعم، والتورّع عندالمحارم»[٤]

وجاء في شرح ابن أبي الحديد: (فسّر عليه السلام الزهادة - وهي الزهد- بثلاثة أمورٍ... فقال لايسمى الزاهد زاهداً حتى يبلغ هذه الامور الثلاثة)

ثلاثة مبادئ أو أركان يقوم الزهد بها مجتمعة:

- أما قصرالامل فهو عدمُ الركون، إلى متاع الدنيا لسرعةِ زواله وضآلة شأنه إذا ماقيس بمتاع الاخرة، ولانه يشغل عنها بمايستزيده من رغبةِ الانسان في الدنيا. ولذا قال المعلمُ الاول محمّد صلى الله،عليه وآله:

«لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»[٥]

- وأما الشكر عندالنعم فمنجاة من البطر، وحفاظ على صلة لابس النعمة بواهبها وهذا بالتالي منجاة منه الركون الى الدنيا ونسيان المنعم الكريم.

- وأما الورع عندالمحارم ففيه صون للنفس وحماية لها من المعاصي: ومن الحيدة عن الحقِّ.

«فإن عَزَبَ عنكم فلايغلب الحرام صبركم، ولا تنسوا عندالنعم شكركم» تابع[٤]

فإن عزب (أى بعد) أو شق عليكم بلوغها مجتمعة، فلتغالبوا مايستهوي أنفسكم من حرام الدنيا وهذا يحتاج الى صبر. وأديموا الشكر عندالنعم كيلا تغلبكم الدنيا فهل نكون زهاداً بهذين الشرطين؟ قال ابن ابى،الحديد: «أمران من الثلاثة لابد منهما وهما الورع وشكر النعم جعلهما آكد وأهم من قصر الامل»

وخلافاً لراى الشارح الجليل، لانرى أنَّ الزهد يبلغ بهما ولا أن قصر الأمل أقلُّ منهما أهمية، وقد أكدت خطب الامام (ع) وأقواله أهمية الاستهانة بالدنيا لبلوغ الزهد ومن ذلك قوله:

«أخوف ما أخافُ عليكم: اتباع الهوى، وطول الامل: فأما اتباعُ الهوى فيصدُّ عن

٤- شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص ٨٢
٥- رياض الصالحين ص٢٢٧

الحقّ، وأما طول الامل فيُنسي الاخرة»[٦]

ومادام طول الامل ينسى الاخرة ولازهد مع نسيان الاخرة، فلازهد بلا قصرالامل، و يزداد الامر وضوحاً ورسوخاً بقوله عليه السلام:

«الزهدُ كُلُّهُ بَين كلمتين: قال سبحانه: «لكيلا تأسوا على مافاتكم»، ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالاتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»[٧]

أفلا يعني هذا أن قصرالأمل في الدنيا يشكل القاعدة الهامة التي يقومُ عليها الزهد؟ إنه ليذكرنا بتقسيمه للناسِ أمام الجنة والنار إلى ثلاثةٍ: ساعٍ سريع نجا، و بطئ رجا، ومقصر هوى.

أما الزاهد العابد الذى أخذ الزهد بطرفيه فقد سعى إلى الاخرة سريعاً فنجا، وأما البطيءُ الذي عاقت الدنيا سعيه فراخ يغالبها صابراً شاكراً فقد رجا رحمة الله ومَن لم يفر بشئ مماشبق فقد هوى.

مبادئ بسيطة يقوم عليها الزهد في مدرسة الامام المنبثقة من مدرسة الإسلام اذا اجتمعت بلغ بها الزاهد مرتبة الكمال البشري وإن لم تجتمع بلغ مادون ذلك . فليس الامر معجزاً، ولاهوَ وليد تأويلات فلسفية كماسنرى في الصوفية، بل هو مدرسة نتعلم فيها الاهتداء إلى جادة العبور من الدنيا إلى الاخرة.

و بالبساطة نفسها يجلو الإمام(ع) الصلة بين الدنيا والاخرة:

«الدنيا دارُ ممرٍ، لادارُ مَقَرٍّ»[٨] او «إنما الدنيا دارُ مجازٍ، والاخرةَ دارُ قرار، فخذوا مِنْ ممرّكم لمقركم...»[٩]

الرحلة شاقةٌ لما حفّت به من بهارج، والدرب كثيرة المزالق والمداحض. فمن اجنازها جاداً إلى قصده. لم يثنه جمال المشهدِ عن طلب المرام ولم يشغله جمال الرياضِ والوان الجبالِ إلاّ بقدر مايخفف من وعثاء السفر ولم يحزنه فوتها مادام يقترب من القصد. أما من اجنازها بطيئاً فسوف يشغله ماحفّ بها عن السعي الجاد.

«فإنَّه الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يُصب صاحبتها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً عليها»[١٠]

٦- شرح محمد عبده الصفحة ١٠٠
٧- تصنيف نهج البلاغة ص٤١٦
٨- شرح محمد عبده ص ٥٩١
٩- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢
١٠- شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٨٤

يمكن أن نعرف (الزهد) هنا بأنه ذلك النضج العقلي أو السمو الإنساني الذي بلغ بصاحبه ذروةً من الكمال يُطلُّ منها على الدنيا فتبدو لعين عقله أقلَّ شاناً من أن يشغله عن حقيقته الازلية وهي صلته بالخالق وشوقه إلى وجهه، أو بعبارةٍ أبسط: يبدو كل مافيها وسيلةً والاخرةُ هي الغاية، عملاً بالاية الكريمة:

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة. ولا تنس نصيبك من الدنيا»

٢- من الزاهد؟

بعد أن نبيّنا جادة الصواب في الزهد، يجدر بنا أن نبحث عن صورةٍ لحياةِ الزاهد في الدنيا، فربما قدّم لنا الوصف مزيداً من وضوح النهج أمامنا، وقد ورد في كتاب النهج وصف الزهاد في أكثر من موضع ولكنّ أوجزه وأشملة ماجاء في:

«كانوا قوماً من أهل الدنيا وليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بمايبصرون، وبادروا فيها مايحذرون، تَقَلّبُ أبدانهُم بينَ ظهراني أهل الاخرة، ويرون أهل الدنيا يعظمون موت أجسادهم، وهم أشدُّ إعظاماً لموتِ قلوبِ أحيائهم»[١١]

الزاهد: من أهل الدنيا، يعيش جسدياً على الخبز والماء والهواء.

وليس من أهلها فيما عدا ذلك؛ فهو مشغول بالاخرة إنشغالهم بالدنيا. يفتدى بعقله (بصيرته) افتداءهم بأهوائهم، يطلب الموت بمقدار مايفرون منه لأنه مطمئن إلى مابعده وهم خائفون، عصم بدَنَهُ عن ملاذّها ونذره للاخرة بقدر ماأعرفوا أبدانهم بالمتع، فهان عنده موت الجسد بقدر ماعظم عندهم، واستعظم رسوخ قلوبهم في الدنيا بقدر ما غرقوا في الغفلة. وكأنّ الغربة في الدنيا صارت شعبةً من شعب الزهد. وهذا مصداق الحديث الشريف:

«الدنيا سِجنُ المؤمن وَجَنّة الكافر»

ونقرأ في هذا القاعدة الاساسية لحياة الزاهد لاجملةً اخلاقه ومبادئه وفضائله التي سنعود إليها في بحث سماتِ زهدالامام(ع)

٣- نشأة الزهد:

كلُّ حلقات الدين السماوي، وجلّ العقائد الوثنية. حثّت الانسان على الخير

١١- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٣

حسب مفهومها وأغلبها وعد الانسان بالثواب وأوعده بالعقاب، واكثرها عرف لونا من الزهدِ أوجذراً من جذوره، وأقربها إلى الإسلام زهد السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وعرفت أطراف الجزيرة العربية قبيل بعثة محمدٍ(ص) صوامع، وأديرةً، انقطع فيها رهبان ونساك للعبادةِ والقراءةِ وكان هؤلاء يبشرون بظهور نبيٍّ تتحدث عنه كتبهم (الراهب بحيرىٰ)

ويحاول بعض المستشرقين أن يصلوا بين زهد اولئك وزهد مدرسة الإسلام وقد كثرت الاراء والاقوال في ذلك حتى أننا لانستطيع تفنيدها في هذه العجالة إلا أنَّ أمر رفضِ الاسلام للرهبانية التي ابتدعوها واضح في الاية الكريمة:

«ورهبانيةً ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فمارعوها حق رعايتها»

وعلى الرغم من تقدير الرسول الكريم(ص) لعلم المؤمنين منهم فانَّ حديثه (لارهبانية في الاسلام) مشهور. وماذلك إلا لأنَّ أهلها لم يرعوها حق رعايتها فحولوها إلى هربٍ من الدنيا وتخلّ عن الواجبات والفرائض وهذا ماسنعود إلى تفصيله.

أما فصل الزهد في مدرسة الإمام فهو من صميم مدرسة الإسلام العظمى تابع بالفطرة من عمق إيمان الامام(ع) وتلامذته، وتطبيع تعاليم القرآن بصدق في حياتهم. وحملهم راية الاسلام عبادةً وثورة. فكيف نشأ زهدهم؟

ـ كان الامام(ع) أعمق المؤمنين صلةً بالقرآن الكريم، فقد عبدالله مع النبي(ص) قبل أن يعبده أحد وسمع القرآن قبل أن يسمعه أحد:

«كنت اسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعاً»[١٢]

و هو بعد غض الاهاب، مرهف القلب، متوقد الفكر، مرهف المشاعر فنزل القرآن على قلبه نزول المداد على الرقعة البيضاء

ـ نزلت السور القرآنية ببيان ساحرٍ ووصف مؤثر فحقرت من شأن الدنيا أبلغ تحقير وعظمت شأن الاخرة بجاليها جحيماً ونعيماً.

فاذا صور جهنم مرعبة ينخلع لها القلب، وترتعد الفرائض وتصفرّ الوجوه.

واذا صورالجنة أخاذه رائعةً بين سعادة روحية ونعيم بدنيّ، ينشرح لهاالصدر، ونحن النفس و ينحفر الضمير إلى الثواب، حتى لتغدو النفس البشرية وكانها زجاجة صافية مافيها إلا إشراقه العقل ووجيب القلب.

١٢ـ شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥

- ومن ثمَّ جاءت موعظة الإسلام تضيء جادة اليمين وتحذر من جادة الشمال فتصف المؤمنين في الدنيا بالورع والتقوى والإيثار والتواضع والرحمة والزهد في الدنيا وتصفهم في الآخرة متكئين على الارائك تشع وجوههم نضرة ونفوسهم غبطة ينظرون الى وجه الله وقدرضي الله عنهم و رضوا عنه. وتصف الكافرين على النقيض من ذلك في الدنيا والاخرة

فاذا بأصحاب النبي(ص) الاوائل يشتعلون حماسة للقاء وجه ربهم و يأخذون أنفسهم بكل مايقربهم من الله من صفات أسبغها القرآن الكريم على المؤمنين المقربين فإذا هم زهاد في الدنيا على اروع مايكون الزهد حالاً وإمامهم في ذلك بعدالنبي عليٌّ عليه السلام يقرأون القرآن وكأنه نداءٌ روحي يفجر في نفوسهم العجائب.

- وبعد غياب الرسول، وتَحسُّن حال المسلمين وتهافت أكثرهم على الدنيا صارالزهد ضرورة لابدَّ منها فراح الصابرون منهم يتخذون منه شعاراً بل مبدأ ثورياً في ملحمة الاسلام يرفعونه في وجه زعامة المسلمين التى تهاونت أو تواطات مع ذلك الانحدار الخطير في مسار رسالة محمد وراحت خطب الامام(ع) تحفزهم وتنطق باسمهم، ولمعت أسماء سلمان المحمدى، وأبي ذر الغفاري وحذيفة بن اليمان... وبدأ الزهد يتخذ طابع تيار ثوري ضمن مدرسة الاسلام وأخذت أسسه تتبلور من خلال خطب الإمام(ع) وسيرته وأصحابه.

٤ - وسائل الزهد:

لم يألُ للإمام عليٌّ(ع) جهداً في دعوة الناس إلى الزهد. وفي خطبة الشريفة أساليب متعددة لهذه الدعوة بين نصائح مباشرة أو دعوة إلى الاعتبار والتبصر أو ذمٍ للدنيا وتهوينٍ لشأنها في مقابل تعظيم الاخرة. ولكنّ أروعها اتخاذه من نفسه وسيرته نبراساً يضيءُ لهم طريقهم. فمن مواعظه المباشرة:

«أيُّها النّاس! انظروا إلى الدنيا نظرَالزاهدين فيها، الصادقينَ عنها»[١٣]

«عبادَالله! أُوصيكم برفضِ الدنيا التاركة لكم، وإنْ لم تحبُّوا تركَها»[١٤]

ولعلّ القولَ الثاني يوضح المقصد من القول الاول، إنَّها ستتركنا غيرعابئةٍ بنا ولن

١٣- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩٦

١٤- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٨٦

يهون علينا فراقها إلا الزهد فيها و مبادرة الفراق قبل حلوله، فلنستقبلها بماتودعنا به من إعراضٍ وقلة احتفال. وكيف يكون الرفض؟ هل هو رفضٌ لكل مافيها وهروبٌ من مسؤلياتنا فيها من عملٍ وجهاد وطلبٍ للعلم ونشرٍ لدين الله؟

ـ إن الدنيا في خطب الامام(ع) مثلها في القرآن الكريم والحديث الشريف، ليست نقيض الاخرة بل سبيل إليها، هي دار ممرٍ وابتلاءٍ وتزود ولذا كان يقول:

« إنما الدنيا دار مجازٍ، والاخرةُ دارُ قرار، فخذوا من ممرِّكم لمقركم، ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلمُ اسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبَكم قبلَ أنْ تَخرج منها أبدانكم، ففيها اختُبرتم ولغيرها خلقتم»[١٥]

إنه رفضُ الحذر المتحرر من سلطانها، رفض من يريدها تسلس قيادها له ولايسلس قياده لها، لان إسلاس القياد للدنيا مهلكة لأنها حافلة بألوان الغرور

«حلوة حضرةٌ، حُفَّت بالشهوات، وتَحَبَّبتْ بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلَّت بالامال وتزيَّنتْ بالغرور»[١٦]

إنَّ في خضرتها لفتنَةً، وآن في شهواتها لقوة، تُطِلُّ على الانسان من كلِّ بابٍ وتعترضُ سبيله متبرجةً، وتسنح له مع كلِّ سانحة، حتى نوقظَ الغرائز وتؤلبَ الاهواء، وتخدع البصيرة، فلاينجو من غرورها إلا من أوتي صبراً عظيما

«كمثلِ الحيَّةِ لينٌ مسُّها، والسمُّ النافِعُ في جوفها، يهوى إليها الغرُّ الجاهلُ ويحذرُها ذواللبِّ العاقل»[١٧]

ـ لاينخدع بها ذواللبّ لأنه يدرك غدرها، وغدرها نتيجةٌ محتومةٌ لسرعةِ تقلبها، فمايكاد الإنسانُ يأنسُ بها و يستطيب طيبها حتى تفجعه بما استهواه وملك عليه لُبّه، لذلك أفاضَت خُطبهُ عليه السلام بعرضِ هذه الصفة من صفات الدنيا محذرةً ومكررةً فهي تارةً:

«لاندومُ حَبْرَتُها، ولا تُؤمَنْ فجعتها، غرارة ضرارة، حائلةٌ زائلة نافدةٌ بائدة» تابع[١٦]

ومن صفاتها تارةً أخرى:

«فإنها غدارةٌ غرّارةٌ خدوع، معطيةٌ منوعٌ، ملبسةٌ نزوعٌ، لايدومُ رخاؤها، ولاينقضي

١٥- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢
١٦- شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٨
١٧- شرح محمد عبده ص ٥٨٧

عناؤها ولايركَدُ بلاؤها»[١٨]

يكثر مثل هذا الوصف في خطب الإمام(ع) للدنيا، وفي مواضع كثيرةٍ من نهج البلاغة فيأتي بأدقِّ الوصف وأعمق التحليل لأحوالها بأساليب بلاغيةٍ رائعة، وقد وَرَدَ ذمُّ الدنيا فيما ينوف على خمسين خطبةً أو حديثاً له عليه السلام، ونستطيع أن نجمل الصفات الواردة للدنيا بمايلي: الإغراء والغرور، إشرافها على الزوال، الخير فيها مشوبٌ بالشر، تربُّص دهرها بأهلها، سوء عاقبة الركون إليها ووعورة مركبها صغُر شأنها عندالله... الخ.

- ولكنّ الدنيا لا تقصرُ في مكاشفةِ الانسان العبرة والعظة: فـ

«ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار»[١٩]

وذمُّ الإمام لها ليس هدفاً بل إمعاناً في التنبيه والتحذير وطلباً للعظة والاعتبار فهو يصفُها لمن يذمها قائلاً: «اتغترُّ بالدنيا ثمَّ تذمها؟» ثمَّ يقول:

«إنَّ الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها، ودارُ عافية لمن فهمَ عنها، ودارُ غنى لمن تزوَّدَ منها، ودارُ مواعظَ لمن اتَّعظَ بها»[٢٠]

كلُّ أولئك واجدٌ فيها مبتغاه. روى ابن أبي الحديد عن بعض الكتب الالهية القديمة أنَّ الله سبحانه قال لها: «يادنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه» فهي لا تناصب خليفة الخالق العداء، ولا تنصب له شباك الهلاك .ولكنَّه يراها ولايبصرها يقوده هواه فيَقَعُ في حبائلها.

«حقاً أقول: ماالدنيا غرَّتك ولكن بها اغتَرَرتَ، ولقد كاشفتك العظات، وآذَنتْك على سواء، ولهي - بما تعدك من نزولِ البلاء بجسمك ،والنقصِ في قوتك- أصدقُ وأوفى من أن تكذبك أوتَغرَّك »[٢١]

إنها تَقَدَّمُ له العظةَ تلوَ العظة بمايُبتلى به غيرهُ أوبمايُبتلى به هو، وماعليه إلا أنْ يقرأها كمايقرأ في الكتاب فيتعظ و يعتبر، فماغايةُ العظة؟

- يكفي أن يتعظ بمصيرالسابقين وفيهم مَن بَلَغ من الغنى أو السلطان حداً عالياً ليذكر أنه لاحقٌ بهم لامحالة، وعندها يزهد في عَرَضِها و بالزهد يزدادُ بصيرةً.

١٨- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٢
١٩- شرح محمد عبده ص ٦٢٦
٢٠- شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٠٤
٢١- شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٧٨

«ازهدْ في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فلست بمغفول عنك»[٢٢]

وهكذا فانه «من اعتبر أبصَر، ومَن ابصر فهم، ومن فهِمَ عَلِمَ»[٢٣]

- تسلسل رائع يحمل الانسان على أخذ نفسه بالرياضة، بالتدربِ على الزهد.

العبرة نقود إلى الزهد والزهد إلى البصيرة الواعية، والبصيرة إلى الفهم، فهْم مافطرت عليه الدنيا وفهم ثوابها وعقابها، ثمَّ إلى العلم...!

- فإن لم يَكف الانسان كلّ هذا ليعتبر فيبصر فانَّ أمامه من القدوة مايفتح القلب العمي، أتظن أيها الانسان أن في الزهد مذلة؟ لوكان كذلكمارضيه الله لأنبيائه وإن كان الزمن قد باعد بيننا و بينهم ففي الكتاب خبرهم وإن لم يردناخبر الكتاب ففي سيرة النبي(ص) أحسن قدوةٍ

«وقد كانَ - صلى الله عليه وآله - يأكلُ على الأرض، ويجلسُ جلسة العبد، ويخصف بيده نعلة، و يرقّعُ بيده ثوبه...»[٢٤]

وما سيرة الامام عليه السلام إلا استمرار لسيرة النبي(ص). لذا جعل منها درساً عظيماً شاملاً في المدرسة الشاملة وهذا الدرس يفرضه كونه في محل قطب الرحى من قيادة المؤمنين، ومولاهم جميعاً «اللهمَّ مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه» وهومرجعهم بعد غياب النبي(ص)، وحجة الله على خلقه.

وهو في ذلك كلّه المثل الاعلى لهم والقدوة التي لا تُدرَك ، وقد حفلت كتبُ التاريخ والسيرةِ بأخبار زهده المعجز، وحفلت خطبه بدروس الاقتداء حتى أنه يصرح بواجب اقتدائهم بسيرته فهاهوذا يكتب إلى عثمان الانصارى عامله على البصرة:

«ألا وإنَّ لكلِّ مأمومٍ إماماً يقتدي به و يستضي بنور علمه، ألا وإنَّ إمامَكم قداكتفى من دنياه بطمْريه ومن طُعْمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرونَ على ذلك . ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد وعفةٍ وسداد»[٢٥]

هاهي ذي سيرته قدوة لعماله ورجاله ولكنَّ صبره معجز لايستطيعونه، ولايريد أن يحملهم على المشقة، فليأخذوا أنفسهم بمايجب أن يتّصف بها كلّ حاكم الورع عن الحرام لانه يصد عن الحق، والاجتهاد في طلب العلم والثواب لكيلا بطول الامل،

٢٢- شرح محمد عبده ص ٦٤٦
٢٣- تصنيف نهج البلاغة ص ٣٨٩
٢٤- تصنيف نهج البلاغة ص ٢٨٤
٢٥- شرح محمد عبده ص ٥٠٥

والتعفف عندالطمع لئلا تشغلهم الدنيا، وسداد البصيرة حتى لايغلبهم غرورها.

ومن رائع سيريه في الزهد حديث (المدرعة) التي قال فيها:

«والله لقد رقعتُ مدرعتي حتى استحيَيْتُ من راقِعها، ولقد قالَ قائل: ألا تنبذها عنك؟ فقلتُ: اُغرُبْ عني، فعند الصباح يَحمَدُ القومُ السرى»[٢٦]

فاذا كانَ عليه السلامُ يرى الدنيا ممرّاً فإنَّ السرى هو الرحلةُ عبرها، والصباح يومُ الحساب وإنه يرى: «الناسُ في الدنيا ركبٌ يسارُبهم وهم نيام» وحين يستيقظون سوف يعلمون ماكان يعلمه قبلهم فيحمدون ماراض نفسه عليه قبل فوات الأوان، وهذا مادعا الرسول الكريمَ لأنْ يقولَ له:

«إنَّ الله - عزوجل - قدزينكبزينة لميزين العباد بزينةٍ أحبُّ إليه منها، وهي: زينة الأبرارِ عندالله، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأُ من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، وَحَبَّبَ إليك المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، و يرضونَ بك إماماً»[٢٧]

فلاهو يصيب منها ولاهي تصيب منه مَثَلُ من يعبر نهراً فلا تبتلُّ نعلاه.

ولذلك يقول(ع):

«من أحبَّنا - اهل البيت- فليستعِدَّ للفقر جلباباً»[٢٨]

٥ - سمات تيارالزهد الثوري الاسلامي:

صار لزهد الامام والصحابة السباقين بقيادة الرسول(ص) ملامح مذهبٍ ثوري، وتوضحت هذه الملامح بعدالتحاق الرسول بالرفيق الأعلى بقيادةِ الامام علي عليه السلام فليس الزهد بأن نجوع ونعرى ولكن بأن نروض النفس ونربأ بها عن أن تطلب ماليس ضرورياً لامساك الرمق. وليست الحياة مطلباً بل هي فرصةٌ للاجتهاد (ونفهم في الاجتهاد: العمل. والعلم). وليست الدنيا نقيض الاخرة بل سبيلٌ إليها. وقد رأينا أنهم لم يتأثروا في ثورتهم بغير القرآن الكريم.

وهكذا ثارالزهاد بقيادة الامام(ع) على من يحاولون تمييع ثورية الإسلام وروحيته وتحويلها إلى سياسةٍ وطبقات. كماثاروا بقيادة النبي(ص) على وثنية

٢٦- الامام علي عليه السلام ص ١٨٩ بلاإسناد
٢٧- الامام علي عليه السلام ص ١٨٨ بلاإسناد
٢٨- شرح محمد عبده ص ٥٨٦

الجاهلية وطبقاتها. وكأنهم بذلك يسنون للعصر الحديث سنةً (الثورةِ على الثورة).

وقدجعلوا من الزهد قاعدةً لثورتهم في حب الله ورسوله وآله، وأقاموا زهدهم على جانبين هامين من الاجتهاد: (العملِ في حب الله - وطلبِ معرفته). وأمثالهم كان الامامُ (ع) يصف

«طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة، اولئك قومٌ اتخذوا الارض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً والدعاء دثاراً. ثم قرضوا الدنيا (أى تركوها خلفهم) على منهاج المسيح.»[٢٩]

ولعلنا نستطيع أن نلمح في هذا القولِ الشريف - الذي جمع بين الزهادةِ والانقطاع الي العبادةِ - بذرةً من بذور التصوفِ الاسلامي الذي ستشهده القرون التالية.

- الزهد والصوفية:

فتح مثل هذا الباب الواسع في مقالنا يخرجنا من ميدانه، لكن الموقف يقتضي أن نشير إلى أهم مايميز زهد الامام(ع) وأصحابه عمَّا سُميَّ من بعد بالتصوف الإسلامي فنحنُ نرى أنَّ زهد الامام تصاعد مع التاريخ مواجهاً لامعان القيادة السياسية في طغيانها فاذا جمعنا إلى هذا إخفاق تورات أهل النبيّ استطعنا أن نميز تراجع الجانب أوالوجه العملي الثوري من الزهد وتصاعد الوجه الروحي من مجاهدة النفس إلى تنظيم للرياضة الروحية وإمعانٍ فيها طلباً لمعرفة الله. وهكذا تطور مبدأ رفض مايفتن الحواس إلى رفض حياة الحواس، لانّ كل حسّي امتداح للطبيعة وحياة الحواس ارتباط بالطبيعة وهو بالتالي نفي للأخلاق، فالأخلاق تناضل ضد الطبيعة بقيادة العقل ومثل هذا الكلام يشيرُ إلى أنَّ تعابير الفلسفة وأقيستها قد دخلت التصوف من بابه الامامي أما زهد الامام(ع) فقدكان مبنياً على البساطة في المبدأ والصدق في الموقف.

- الزهد والرهبانية:

على الرغم من قول الحسن البصري: (رحم الله عليا، كان رهباني هذه الامة) فان بعد مابين الزهد والرهبانية يبقي وجود صلة تأثر بينهما إلا أن يكون رهبانيها من حيث إحاطته بالعلم الذي لم يحط به غيره أو أن يكون التعبير لايقصد به الدقة العلمية.

٢٩- شرح ابن ابي الحديد ج ٤ ص ٢٨٦

ونقاط التباين واضحة يمكن اختصارها بمايلي:

- الرهبانية تكبت الفطرة البشرية للنفس والإسلام يرفض ذلك و يرفض الرهبانية، وزهد الامام من صميم الاسلام.

- الرهبانية تقوم على الانقطاع إلى التعبد والتأملّ و بذا تنفي الجانب العملي من العبادة. والزهد عبادة وعمل: عمل في رزقٍ يمسك الرمق. وعملٌ في حب الله.

- الرهبانية هرب من شرور الدنيا، والزهد مواجهة لها، وكفاح لاحقاق الحق. فهو زهد هيادىّ تربوي للامام والمأموم والقائد والمقود.

- و نتيجةً لماسبق تبدوالرهبانية كما ابتدعوها غير ملائمةٍ لروح العصر. لسلبيتها سلوكاً وعلماً. أما زهدُ الامام فهوصالحٌ أساساً لكل ثورات الامم الحديثة المكافحة لتحقيق الحق والسلام. بل هو خيرُ اساسٍ.

٦ - غاية الزهد:

إذا كان هدف كلّ من الصوفية والرهبانية انقاذ النفس البشرية (الذات) من مداحض الدنيا تقرباً إلى الخالق، فان غاية الزهد ليست فرديةً ذاتية فقط، بل إننا نستطيع أن نلمس فيه الهدف الذاتي والغاية الغيرية العامة. وأهمَّ مايرمي إليه:

- عصمة النفس: «إنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنةً يوم الخوف الأكبر» وليس هذا إذلالاً لإنسانيتها بل ارتقاء بها عمّايحولُ دونَ خلودها. ومن نافلة القول أن نذكر أنَّ العصمة عن طريق الزهد غيرُالنجاة السلبية الهاربة بالرهبانية أوالتصوف

- العدل: العدل أسمى ماتريد الشعوبُ أن تستظلَّ به في حياتها السياسية والاجتماعية وترو يض النفس بالزهد خيرُ وسيلةٍ لتسليح الإنسان بالقدرة على اقامة العدل واحقاق الحق -وهذا هوالهدف العام للزهد- وقدكان الامام عليه السلامُ خيرَ قدوةٍ في ذلك فإنَّ زهده لم يضعف قوته في القتال، وماعرف عنه أنه سكت على باطل. أو توانى في قيادةِ المؤمنين في سبيل الله. وما الإمارة في نظره إلاوسيلة لاقامة الحق ودفع الباطل فهو يقولُ في نعل يخصفها: «لهي أحَبُّ إليَّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقا أوأدفع باطلا»[٣٠]

٣٠- شرح محمد عبده ص ٨٨

وهو عليه السلام يرى إقامة الحق أمانةً في عنقه بعدالرسول(ص) وهو منه بمنزلةِ هارون من موسى. أو بمنزلة الرأس من الجسد.

٧ـ خاتمة:

هذا غيضٌ من فيضِ ماجاء في خطب الامام عليٍ عليه السلامُ في الزهد: سواء ماكان تفسيراً له و بياناً لسبيله وإظهاراً لفضل أهله. أم ذمّاً لمتاع الدنيا وتمجيداً لثوابِ الاخرة.

ولم يكن غرضنا إحصائياً بل كان تلمُّس ميزان هذا السلوك الإنساني السامي الذي صار تياراً أومذهباً ثورياً في تاريخ المسلمين كان له الفضل الكبير في الحفاظ على قدسيةِ رسالةِ محمد صلى الله عليه وآله، ولن يشقَّ على دارس كتاب نهج البلاغة أن يختار مزيداً من الاقوال ذاتِ المعنى الجليل أو التوجيه العميق إلى الزهد قدتجاوزناها لكفايةِ ماانتقينا منها.

بهذا الزهد قامت رسالة محمد(ص) و بفضله ثمَّ الفتح، وظلَّ المنارة المضيئة في ليلِ أهوائهم وأنوائهم. نذر أصحابه أنفسهم لحماية الدين ونشر أحكامه، وإحقاق الحق. ونصرة الله. وإن الله والحق لايفترقان.

فما أحوجنا ـ اليوم ـ وقد مزقت رياح الاهواء شراع الرسالة، وطفا المسلمون على أمواج التاريخ كَغُثاء السيل، ووقف بنا العالم على شفا حفرةٍ من نار ـ ما أحوجنا إلى زهدٍ مثل زهد مدرسة الامام، يعصم نفوسنا من الميل إلى الباطل و يروضنا على إحقاق الحق، و يقينا شرَّطول الأملِ واتباع الهوى علَّنا نعيد لرسالة الحق سيرتها الظافرة، والله وليُّ التوفيق.

المراجع

١- نهج البلاغة شرح ابن ابى الحديد
٢- نهج البلاغة شرح محمد عبده
٣- تصنيف نهج البلاغة للسيد لبيب بيضون
٤- الامام علي عليه السلام للسيد عباس علي الموسوي
٥- إمامة علي عليه السلام للسيد محمدجواد مغنيه
٦- رياض الصالحين من كلام سيدالمرسلين للنووي

الفقر أسبابه وعلاجه*

الأستاذ لبيب بيضون

دمشق - سوريا

* وهناك أيضاً تعليقات على هذه المقالة من قبل السيد جعفر مرتضى، المشار إليها بالأرقام.

الفصل الاول:

ماهو الفقر؟

تعريف الفقر والفقير:

الفقر في اللغة هو مايكسر فِقار الظهر، والفقير هو المكسور فِقار الظهر.

والفقير الشرعي هو الذي لايملك قوت سنته له و لعياله، لاقوة ولافعلا. نقصد بالقوة اذا كان له مرتب شهري أو مورد يأتيه على دفعات خلال العام.

وتسمى الحالة بين الفقر والغنى: الكفاف، وهي أن يكون الانسان مكتفياً بدون زيادة.

والفقر لايكون من المال فحسب، فهو يطلق أيضا على فقرالعلم وفقرالنفس وفقرالدين وفقرالقوة، وكلها تعني فقد الشئ والحاجة اليه.

درجات الفقير:

وردت في القرآن آيات كثيرة تذكر الفقير والمسكين، منها آية الزكاة التى تبين مصارف الزكاة حيث تقول:

(إنَّما الصَّدقاتُ لِلفُقَراءِ وَالمَساكينِ وَالعاملينَ عَلَيها) (التوبة ٦٠)

مما يدل على أن الفقير غير المسكين.

وقد اختلف في الفرق بينهما وأيهما أكثر خصاصة وعوزا.

وفي مجمع البحرين ج٣ (مادة فقر) يقول الشيخ الطوسي في النهاية: ان المسكين أسوأ حالا من الفقير، لقوله تعالى (أومِسكيناً ذا مَتربَة) وذوالمتربة هو المطروح على التراب من شدة احتياجه.

وليس أوضح في الدلالة على الفرق بين الفقير والمسكين مما روي في الصحيح عن عبدالله بن مسكان عن أبي بصير، قال: قلت للامام جعفرالصادق(ع) في قوله تعالى (إنما الصَّدقات للفُقَراءِ وَالمَساكين...) فقال(ع): «الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم.*

فالفقير هو الذي لايملك ولايسأل، مصداقا لقوله تعالى:

(لِلفقراءِ الذينَ أحصِروا في سبيلِ الله، لايستطيعونَ ضَرْباً في الارضِ، يَحسَبُهُم الجاهِلُ أغنياءَ مِنَ التَّعَفف، تعرفهمْ بِسيماهمْ، لايسألونَ النّاسَ إلحافاً، وَماتنفِقوا مِن خَيرٍ فَإنَّ اللّهَ بِهِ عَليمٌ) (البقره ٢٧٣)

والاول، أي الفقير العفيف الذي لايسأل، هو أولى بالعطاء من غيره، لذلك ذُكر في آية الزكاة قبل المسكين الذي يسأل.

وفي زماننا الحاضرْ لانجد الفقير العفيف إلا في النادر، لابل إن أكثر من يسألون و يتظاهرون بالفقر هم مكتفون أو أغنياء.

النسبية في الفقر:

تختلف حاجات الانسان في الحياة مع تقدم الحضارة والرفاهية. فاليوم أصبح المنزل المستقل من حاجيات الفرد، كما اتسعت الحاجات المنزلية حتى اصبحت تضم الغسّالة والبراد وما الى ذلك.

وفي حين كان الاولاد لايُكَلِّفون أباهم نفقة تذكر، أصبحوا اليوم عبءً كبيراً عليه. والامام علي(ع) يقول: «قِلّة العيال أحد اليسارين».

وبما أن الفقير هو الذي يكون مورده أقل من مصروفه، فلايبعد اليوم أن نعتبر الموظف وكل من يتقاضى أجراً مقطوعا: فقيرا، اذا كان يعيل عدة أولاد.[1]

* ـ البرهان ج ٢ ص ١٢٥

معاني الفقر:

ورد الفقر في القرآن والاحاديث بمعان مختلفة. ويمكن حصر معاني الفقر على أربعة وجوه هي*:

(١)- وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للانسان وللموجودات كلها. يقول تعالى (أنتم الفقراء الى الله، والله هوالغني الحميد). (سورة فاطر- ١٥).

(٢)- عدم المقتنيات، وهو المذكور في قوله تعالى (للفقراءِ الذين أُحصِروا في سبيلِ الله...)(البقرة- ٢٧٣).

وهم الذين منعهم عملهم في سبيل الله عن الكسب.

(٣)- فقر النفس: وهو المعني بقول النبي(ص): «كاد الفقر أن يكون كفرا».[٢]

(٤)- الفقر الى الله تعالى، كما في قول موسى(ع): (ربِّ إنّي لِما أنزلتَ إليَّ مِن خيرٍ فقيرٌ (القصص- ٢٤)

و هو المشار اليه بقول النبي(ص):«اللّهُمَّ أغنِني بالافتقار اليك، ولا تُفقرني بالاستغناءعنك».

الفقر المذموم:

من الوجوه السابقة يتبين أن من الفقر مايكون مذموما، ومنه مايكون محموداً ممدوحا.

والفقر بلحاظ ذاته كفر، لكنه اذا اقترن بالصبر أصبح عبادة وزيناً للمؤمن.

والسبب في أن الفقر بذاته كفر، أن الانسان إذالم يكن ورعاً وواثقاً بر به ثقةً تامة، فان فقره قد يدفعه لاستخدام كل وسيلة للحصول على المال، دون أن يتقيد بالشرع، فيغتصب و يسرق ويحتال، وقد يفعل غيرذلك من المحرمات، فيضل و يكفر. ولذلك قال النبي(ص): «كاد الفقر أن يكون كفرا». وقال(ص) في الامام علي(ع): «لوتَمَثَّل الفقرُلعليّ رجلاً لقتله». وهوالذي عبرنا عنه «بفقر النفس»[٣] لأن غنى النفس يدفع

* - سفينة البحارج٢ ص ٢٧٨ (مادة فقر)

الانسان الى التعفف عما في ايدي الناس. يقول الامام(ع): «الغنى الاكبر، اليأس عما في أيدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

قال بعض أصحابنا: جاء في دعاء النبي(ص): «نعوذ بك من الفقر والقلة». قيل: الفقر المستعاذ منه إنما هو فقر النفس الذي يُفضي بصاحبه الى كفران نعم الله و نسيان ذكره، و يدعوه الى سدّ الخِلَّة (أي سدّ حاجته) بمايتدنس به عرضه و يُثلم به دينه. والقلّة تُحمل على قلة الصبر أو قلة العدد.

وقال الامام علي(ع) لابنه محمدبن الحنفية: «يا بني، إني أخاف عليك الفقر، فاستعذْ بالله منه، فان الفقر منقصةٌ للدين، مَدْهشة للعقل، داعيةٌ للمَقْت» (الحكمة ٣١٩ نهج).

وفي الخبر أنه (ص) تعوذ من الفقر، وقال: «الفقر سواد الوجه في الدارين»، ثم قال في موضع آخر: «الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الانبياء»، وقال(ص): «اللّهم أحيِني مسكيناً وأمِتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين». فكيف نوفق بين القولين؟ يمكن ذلك بلحاظ أن الفقر الذي تعوذ منه هو الفقر الى الناس، والذي دون الكفاف، والذي افتخر به(ص) الفقر الى الله تعالى.

وسؤال الفقر لم يرد في الادعية، بل ورد في اكثرها الاستعاذة من الفقر الذي يشقى به الانسان، وعن الغنى الذي يصير سبباً لطغيانه.

فقر الدين:

ومن أدنى معاني الفقر «فقر الدين» وهوالفقر الحقيقي، لأنه يورد صاحبه الى النار والى غضب الجبار. وفيه قال الامام علي(ع): «الفقر الموت الاكبر».[٤]

عن الامام جعفرالصادق(ع) قال: «الفقر الموت الاحمر». فقلت له: الفقر من الدينار والدرهم؟ قال: «لا، ولكن من الدين».*

وفي ذلك قال الامام علي(ع): الفقر والغنى بعد العرض على الله» (الحكمة ٤٥٢ نهج). وهونظيرما أشار اليه النبي(ص) بقوله: «أتدرون ما المفلس؟» فقيل: المفلس فينا من لادرهم له ولامتاع له. فقال(ص): «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة، و يأتي قدشتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دمّ هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فان فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يَقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

* - الكافي ج ٢ ص ٢٦٦

الفقر الممدوح:

في الخبر المأثور: «من أحبنا أهل البيت فليُعِدّ للفقر جلباباً»[5] وعن الامام الصادق(ع) قال في مناجاة موسى (ع): «ياموسى اذا رأيت الفقر مُقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين، واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنبٌ عُجِّلَتْ عقوبته» *

و عن الامام الصادق(ع) قال النبي(ص): «طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والارض». *

فالفقر الممدوح هوالذي يقترن بالتعفف والصبر. والفقير الممدوح هو من لايجد إلاّ القوت من التعفف، ولايوجد مَن هذه صفته في ألف الف واحد.

وفي ذلك يقول الامام علي(ع): «الفقر أزين للمؤمن من العِذار على خد الفرس. وان فقراء المؤمنين ليتقلبون في رياض الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا» **

و قيل للفقر ثلاثة أحوال هي:

أولها: الرضا بالفقر والفرح به، وهو شأن الاصفياء.

ثانيها: الرضا به دون الفرح، وهذا له ثواب ولكن أقل من الاول.

ثالثها: عدم الرضا به والكراهة في القسمة، وهذا لا ثواب له أصلا.

هذا و اذا كان الغنى مدعاة للفجور، كان الاكتفاء مع العفة أفضل بلامقارنة. يقول الامام علي(ع): «والحِرْفةُ مع العفة، خيرٌ من الغنى مع الفجور» (الخطبة رقم ٢٧٠ نهج)

الغنى الممدوح:

غالباً مايكون الغنى بالنسبة للانسان استدراجاً له وامتحاناً لايمانه وتقواه. يقول الشاعر تحت عنوان (الدرهم مَحَك الاتقياء):

لايَغُرَّنَّك من المرء رداءٌ رقَّعه
وقميصٌ فوق ساق الكعب منه رفعه

* - الكافي للكليني ج ٢ ص ٢٦٣

** - مستدرك نهج البلاغة للشيخ الهادي كاشف الغطاء ص ١٨٤

وجبين لاح فيه أثر قد قلعه أره الدرهم تعرف غيّه أو وَرَعه

فان هو شكر ربه، بأن أخرج الحقوق من ماله، فواسى بها الفقراء، ولم يدفعه غناه الى التكبر عليهم، ولم ينشغل بغناه عن واجباته الدينية، ولم يَسُقْه غناه الى الفجور، خرج من امتحانه ناجحا، والا كان ماله و بالا عليه وخسر خسراناً مبينا.

يقول الامام علي(ع): «العفاف زينة الفقر،والشكر زينة الغنى» (الحكمة ٦٨ نهج).

و يقول (ع): «ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عندالله!. وأحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله» (الحكمة ٤٠٦ نهج).

وعن الامام الصادق(ع): «لاخير فيمن لايحب جمع المال من حلال، يَكُفُّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويَصِل به رحمه».

وغالباً مايصد المال الغني عن طاعة الله، فيغريه الشيطانُ بارتكاب المحرمات، ولو ظل فقيرا لكان خيراً له. وفي ذلك يقول تعالى:«زُيِّنَ للناسِ حُبُّ الشهواتِ من النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضة...» (سورة آل عمران - ١٤)

و يقول الامام علي(ع): «المال مادة الشهوات» (الحكمة ٥٨ نهج).

لذلك وردت في الادعية الاستعاذة من الغنى الذي يصير سبباً لطغيان الانسان، مصداقاً لقوله تعالى:

«إنَّ الانسانَ ليطغى * أن رآه استغنى» (العلق - ٦).

الفقر ذل:

وليس أذل للانسان من أن يصبح محتاجاً الى الناس، فالفقر في نظر صاحبه ضَعَة وذِلّة، وفي نظر الناس استهانة واستخفاف.

فالفقير الذي لايجد قوت يومه، يشعر بالهوان وعدم القيمة في هذه الحياة، لانه لايستطيع أن يعمل شيئاً بدون مال... فاذا هو صبر على ما ابتلاه الله كان له مثل أجر الصائم القائم، وان هو لم يصبر، وشرع باستعطاء الناس كانت مسألته ذلا أكبر، لاسيما اذا كان الذي سأله قادراً على سد حاجته، ولكنه ردّه خائباً، فهو في هذه الحالة يتمنى الموت على ذلك.

عن الامام الصادق(ع) قال: قال رسول الله(ص): «ياعلي، ان الله جعل الفقر أمانةً عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه الى من يقدر على قضاء حاجته

فلم يفعل، فقد قتله. أما انه ماقتله بسيف ولارمح، ولكنه قتله بما نكأ من قلبه»*. ونكأ القلب جرحه أو قتله.

ومن أبشع صور ذل الفقير، أن يتذلل الى انسان مثله لمجرد كونه غنيا، مستهيناً بعزة الايمان.

يقول الامام علي(ع): «ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه، ذهب ثلثا دينه» (الحكمة ٢٢٨ نهج).

و يقول(ع): «ما أقبح الخضوع عندالحاجة، والجفاء عند الغنى» (الخطبة ٢٧٠ نهج)

وتبلغ نظرة الناس الى الفقير مبلغا من الاحتقار تجعله يخرس عن إبداء حجته التي لايصغي اليها الناس، فان تكلم بحق أسكته الناس و كذّبوه، واذا أخطأ استكبروا خطيئته. ولم يُعِنْه أحد على ضعفه و مسكنته، فيشعر أنه غريب وان كان يعيش في وطنه، ولايرمق من بعيد إلا صورة من يأتي ليطالبه بدَينه أو بأجرة بيته.

لذلك قال الامام علي(ع) في أبلغ عباراته: «الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة» (الحكمة ٥٦ هج).

وقال (ع): «الفقر يُخرس الفَطِن عن حجته، والمُقِلّ غريب في بلدته» (الحكمة رقم ٣ نهج).

وقال (ع): «اذا أقبلتِ الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» (الحكمة رقم ٨ نهج).

أما الغني فكل الناس تُعَظّمه وتُسَلّم عليه و تطلب القرب منه، واذا جلس في مجلس بَجّلوه، واذا تكلم بكلام سخيف عظّموه، واذا أخطأ اغفلوا خطأه... حتى إذا ماذهب ماله وقلّ خيره إنفضّوا من حوله، كالشجرة المثمرة اذا انتهى موسم ثمرها وسقطت أوراقها لم يأتها أحد. وما احسن ماقيل في ذلك :

المرء في زمن الاقبال كالشجره ... والناس من حولها مادامت الثمره
حتى اذا راح عنها حملها رحلوا ... وخلفوها تقاسي الحرَّ والغَبَره
تَبّاً لابناء هذا الدهر كلهُم ... حتى ولا واحدٌ يصفو من العشره

وقال احدهم:

يُغَطي عيوبَ المرء كثرة مالهِ ... يُصَدَّق فيما قال وهو كذوبُ

* - سفينة البحار ج٢ ص ٣٧٧ (باب فقر).

ويُزري بعقل المرء قلة ماله ... تُحَمَّقُه الاقوامُ وهو لبيب

وقال آخر:

من كان يملك درهمين تعلمتْ ... شفتاهُ أنواعَ الكلام فقالا
وتقدم الاخوانَ فاستمعوا له ... ورأيتَه بين الورى مختالا
لولا دراهمُه التي في كيسه ... لرأيتَه أزرى البرية حالا
إنَّ الغني اذا تكلم بالخطا ... قالوا صدقتَ ومانطقتَ مُحالا
أما الفقيرُ فان تكلم صادقاً ... قالوا كذبتَ وأبطلوا ماقالا
إنَّ الدراهمَ في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابةً وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحةً ... وهي السنان لمن أراد قتالا

و هذه النظرة هي عكس النظرة الشرعية الصحيحة التي تقيم وزن الانسان على مقدار تقواه وفعله وليس على ماله وجماله.

المسألة ذل أكبر:

ومن سوء الثقة بالله أن يسأل الفقير الناس ولايسأل خالق الناس ومعطيهم. ولذلك نهى الشارع عن السؤال والمسألة لغيرالله، واعتبرها هواناً وذلا لايتناسب مع منزلة المؤمن وعزته وكرامته. وفي ذلك يقول الامام علي(ع):

«من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطا، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه» (الحكمة ٢٢٨ نهج)

و يقول النبي(ص): «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس بوجهه مزعة لحم».

و يقول الامام علي(ع): «ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس» (الخطبة ٢٧٠ نهج)

و يقول (ع): «ماء وُجهك جامدٌ يقطُره السؤال، فانظر عند من تقطره» (الحكمة ٣٤٦ نهج).

واذا كان الغني الذي استعطاه الفقيرُ لئيماً، شعر الفقير بمرارة العبودية، وأنه أصبح كالاسير في يدالغني يتحكم به كيف يشاء. وما أجمل ماقال الامام(ع) في هذا المعنى:

أُمنُنْ على من شئت تكن اميره
واحتجْ الى من شئت تكن أسيره
واستغنِ عمن شئتَ تكن نظيره

القناعة هي الغنى:

وأشد ما نهى عنه الشارع الحكيم أن يسأل الانسان وهو غير محتاج، فهذا عدا عن إهانة نفسه، فهو يحرم الفقراء الحقيقيين من أخذ حقوقهم.

يقول الامام الصادق(ع): «من سأل من غير فقر، فانما يأكل الجمر».

و في الوقت نفسه حضّ الشارع على الزهد بالدنيا، والقناعة بما قسم الله، وعدم الحرص على المزيد من الدنيا. فالانسان يشبعه القُرص و يستره الطِّمر، وفي المثل: «من عدم القناعة لم يُفِدْه المال غنى». وقد توعد سبحانه من يسأل ولايقنع، بالفقر الذي لايزول.

يقول النبي(ص): «من استغنى أغناه الله، ومن فتح على نفسه باب مسألةٍ فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لايَسُدُّ أدناها شئ».

و يقول (ص): «ارض بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس».

و يقول الامام (ع) في وصيته لابنه الحسين(ع): «آي بني، عز المؤمن غناه عن الناس، والقناعة مال لاينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير». (تحف العقول ص٦٠)

و يقول(ع): «الغنى الاكبر، اليأس عما في ايدي الناس» (الحكمة ٣٤٢ نهج).

و يقول(ع): «ولا كنز أغنى من القناعة، ولامال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت. ومن اقتصر على بُلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتَبَوأ خَفضَ الدَّعة» (الحكمة ٣٧١ نهج).

و يقول النووي:

وجدتُ القناعة أصل الفتى ... فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ... ولاذا يراني به منهمك
وعشت غنياً بلادرهم ... أمُرّ على الناس شبه المَلِك

و يقول الامام الصادق(ع): «أرسل عثمان الى أبي ذر مولين له ومعهما مائتا دينار. فقال لهما: انطلقا الى أبي ذر فقولا له: ان عثمان يُقرئك السلام و يقول لك: هذه مائتا دينار فاستعنْ بها على ما نابَك. فقال أبوذر: هل أعطى أحداً من المسلمين مثلما أعطاني؟ قالا: لا. قال: إنما أنا رجل من المسلمين، يسعني مايسع المسلمين. قالا له: انه يقول هذا من صُلب مالي، وبالله الذي لاإله الا هو ماخالطها حرام، ولابعث بها إليك إلا من حلال.

فقال أبوذر: لاحاجة لي فيها وقد أصبحتُ يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له: عافاك

الله وأصلحك، مانرى في بيتك قليلا ولاكثيراً مما يُستمتع به. فقال: بلى تحت هذا الأكاف الذي ترون رغيفا شعير، قد أتى عليهما أيام. فما أصنع بهذه الدنانير؟*

الحرص فقر:

وكم يخطئ من يجمع المال و يحرص على تكثيره وعدم نقصه، بدعوى أنه سيغنيه و يؤمّن مستقبله، فاذا هو في لحظة واحدة قد ادركه الموت، فحُمل الى قبره، لا مالاً أخذ ولا مالا صرف، فعاش في الدنيا عيش الفقراء، و يحاسب على ماله حساب الاغنياء.

يقول الامام علي(ع): «عجبتُ للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، و يفوته الغنى الذي إياه طلب. فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، و يحاسب في الاخرة حساب الاغنياء» (الحكمة ١٢٦ نهج)

ومنه أخذ المتنبي المعنىٰ حيث قال:

ومن يُنفق الساعاتِ في جمع ماله مخافة فقرٍ، فالذي فعل الفقرُ

و يقول الامام علي(ع): «إنّ أخسر الناس صفقةً وأخيبهم سعياً، رجلٌ أخلق بدنه في طلب ماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرته، وقَدِمَ على الاخرة بتبعته» (الحكمة ٤٣٠ نهج).

كما يقول(ع): «يا ابن آدم، ما كسبتَ فوق قُوتِكَ، فأنت فيه خازن لغيرك»(الحكمة ١٩٢ نهج).

و يقول يحيى بن الفضل الاندلسي:

جمعت مالاً ففكرْ هل جمعت له يا جامع المال- أياماً تُفَرّقهُ

المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا حين تنفقه

و يقول أبوالحسن علي المنجم في ذم الحرص:

وذي حرصٍ تراه يَلُمّ وفراً لوارثه ويدفع عن حماهُ

ككلبِ الصيدِ يُمسك وهو طاوٍ فريسته ليأكلها سواه

و يقول أحدهم:

دعِ الحرصَ على الدنيا وفي العيش فلا تطمع

* - البحار ٢٢/٣٩٨

وما تجمع من مال فلا تدري لمن تجمع
فان الرزقَ مقسومٌ وسوءُ الظن لاينفع
فقيرٌ كل ذي حرص غني كل من يقنع

الغنى الحقيقي هو العبودية لله وحده:

المؤمن يستمد غناه من الله، و يتوثق ذلك كلما ازداد يقينه بالله.

وتبدو النوازع التي تسيطر على نفس الانسان وفق اتجاهين:

نوازع تدفعه نحو الله، ونوازع تدفعه نحو المادة والشهوات. و بقدر تحرر الانسان من ربْقة الشهوات وارتباطه بالله يصبح غنيا، لأنه يستغني عن كل شئ في الوجود ماخلا موجد الوجود. وتصبح كل الاشياء في نظره حقيرة أمام الله تعالى، وتلك هي العبادة الحقة.

يقول الامام علي (ع): «إنَّ مِنْ حقِّ مَنْ عَظُمَ جلالُ الله سبحانه في نفسه، وجَلَّ موضعُه من قلبه، أن يَصغُرَ عنده كلُّ ماسواه» (الخطبة ٢١٤ نهج).

وليس من فرق بين من يعبد الأوثان الحجرية، ومن يعبد أصنام المادة والمال، يُكَرّس حياته لخدمتها، و يرى أنها هي التي تنفع وتضُر، حتى يصبح أسيراً لها، تتحكم به دون أن يتحكم بها. فكلاهما يحمل حقيقة الشرك والتبعية لغيرالله، كما قال الشاعر الكبير اقبال:

سيان في الشرك هذا عابدٌ ذهباً يسعى الى جمعه، أو عابد وثنا

ومثل هذا الانسان وان كان ظاهره الغنى الا أنه من أفقر الفقراء.

وفي مقابل ذلك من يكسب الاموال فينفقها في سبيل الله، و يدفعها الى الفقراء والمستضعفين، ولايمسك منها غير قوت الكفاف، فهذا وان كان في ظاهره فقيرا، الا أنه أعظم الاغنياء.

ولاينفي هذا أن يكون المؤمن غنيا، فالشارع حضّ على الغنى، ولكن المحرم أن لايكون الغني عبداً لماله، بل أن يكون المال عبداً له. و يحدث ذلك عندما يعرف المؤمن ربه حق معرفته، و يبلغ في نظره من العظمة حداً تصغر دونه كل الاشياء.

يقول الامام علي (ع):

«إنَّ مِن حق مَن عظُم جلالُ الله سبحانه في نفسه، وَجلّ موضعه من قلبه، أن يَصغُرَ عنده كلُّ

ماسواه. وإنّ أحقَّ مَنْ كان كذلك لَمن عظمتْ نعمةُ الله عليه، ولَطُف احسانه اليه. فانه لم تَعظُم نعمة الله على أحد إلا ازداد حقُّ الله عليه عِظما» (الخطبة ٢١٤ نهج).

وفي هذا المعنى تروى القصة التالية:

ان شخصا سمع بزاهد فأراد أن يزوره، ولما قدم عليه وجده يعيش في قصر فخم، ومن حوله الرياش والخدم. فقال له: عجبت من أمرك ، وقد سمعت أنك زاهد، وما أرى آثار ذلك عليك . فقال الزاهد: ليس الزهد أن لا تملك المال، وانما الزهد أن لايملكك المال. ولقد أنعم الله عليّ بهذه الخيرات التي ترى، وأنا أعمل على إنفاقها في سبيل الله، وأسخرها لقضاء حوائج المؤمنين، وأرى أن وجودها وعدم وجودها عندي سيان.

فقر الصالحين:

يسمى الفقر الذي لايكون الانسان فيه مفتقرا إلا الى الله (فقرالصالحين) وهو أرقى درجة يبلغها المؤمن في معارج الفضيلة والصلاح والسمو والفلاح، حيث يترفع عن مؤثرات الدنيا الفانية، زاهدا بمظاهرها ومُتَعها.

و يحصل هذا الفقر في آخر درجات تربية النفس، تربيةً تسير بها الى العبادة الحقة والفضيلة الانسانية، حيث يدرك الانسان المؤمن أن المال وسيلة لاغاية. وسيلة للاكتفاء والترفع عن حاجة الناس، ثم وسيلة لمواساة الاخرين ورفع البؤس عنهم.

وليس يعني هذا القعود عن العمل والتواكل على الغير، بل انه ينطوي على العمل والجهاد، لتسخير الوجود كله لخدمة الانسان، ونشر العدالة والسعادة بين كل بني الانسان.

انه اقتفاء طريق العارفين، وارتواء القلب من عين اليقين... انه عزة للنفس وإباء، يوصلان الى الجوزاء، وتوحيد صادق لله خالص من كل رياء.

وفي ذلك يقول الفيلسوف الاسلامي الكبير الدكتور محمد اقبال:

يا عبيدَ الماء والطين اسمعوا ... ماهوالفقر الغني الارفعُ
هو عرفان طريق العارفين ... وارتواء القلب من عين اليقينْ
ذلك الفقر عزيز في غناهْ ... هامة الجوزاء من أدنى خطاهْ

يرعش الدهر اذا دوّى صداهْ ... ليس غير الله في الكون إلهْ
فقرنا ليس برقص أو غناءْ ... ليس سكر النفس في موت الرجاءْ
فقرنا معناه تيسير الجهودْ ... فقرنا معناه تسخير الوجودْ
فقرنا العادي سراج لوظهرْ ... يخجل الشمس ويزرى بالقمرْ
إنه ايمان بدر وحنينْ ... انه زلزال تكبير الحسينْ
قمْ وأبلغْ نوره للعالمين ... قمْ وأسمعهُ البرايا اجمعينْ

وعلى هذا الصراط سار سائر الانبياء وخاتم الرسل محمد(ص)، كما سار ربيب النبوة الامام علي(ع) و تلامذته المخلصون كأبي ذر الغفاري(رض)، فكانوا أزهد أهل زمانهم.

الزهد صفة العارفين:

فأما نبينا محمد(ص) فقد وُلد يتيماً فقيرا، في حين كان أعداؤه يرتعون في نعيم العيش ولذات الدنيا، وقد أمره تعالى أن يلازم الفقراء من أصحابه لأنهم يذكّرونه بالله، حيث قال: «واصبرْ نفسك مع الذين يَدْعون ربَّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه، ولا تَعدُ عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا) (الكهف - ٢٨). ولقد عُرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها. خرج من الدنيا خميصا، وورد الاخرة سليما. لم يضعْ حجراً على حجر، حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

وأما موسى (ع) كليم الله، فقد خاطب ربه قائلا (ربِّ إنّي لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٌ) ولم يسأله إلا خبزا يأكله، لأنه كان يأكل من بقول الارض. ولقد كانت خُضْرة البقل تُرى من شفيف صفاق بطنه لهُزاله وتَشَذُّب لحمه.

وأما داود(ع) صاحب المزامير، فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، و يقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها، و يأكل قرص الشعير من ثمنها.

و أما عيسى (ع) روح الله، فلقد كان يتوسد الحجر و يلبس الخشن و يأكل الجَشِب. وكان إدامه الجوع، وسراجه في الليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الارض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ماتنبت الارض للبهائم.

مثال الامام علي(ع):

أما الامام علي(ع) فقد ضرب أروع مثل على التحرر الوجداني والطهارة النفسية، لاسيما وأنه أحد الخمسة أصحاب الكساء الذين قال الله فيهم «إنَّما يُريدُ الله لِيُذهبَ عَنكُم الرجْسَ أهل البيتِ ويُطَهّرَكُم تطهيرا) (الاحزاب - ٣٣).

واذا تصفحنا سيرة الامام(ع) وجدناها تنبض بالحرية وتفيض بالتحرر الوجداني الرفيع. لابل انه لم يكتف بتحرير نفسه و تطهيرها من كل علائق المادة والدنيا، بل قام يعمل جاهدا طوال حياته ليدخر من عرق جبينه الدراهم، ليشتري بها العبيد فيعتقهم لوجه الله تعالى، حتى توفي ولم يخلف درهماً قط. وكان لايفتأ يلبس الخشن و يأكل القديد وهو الخبز اليابس.

ومن أبلغ أقواله التي تدل على زهده وتحرره ومشاركته لكل فرد في دولته بالمكاره والحرمان، كتابه الذي وجهه الى عثمان بن حنيف الانصاري عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعي الى وليمةِ قومٍ من أهل البصرة فمضى اليها، وفيها يقول:

«ألا وإنَّ لكل مأموم إماماً يقتدى به و يستضيئ بنور علمه. ألا وان إمامكم قداكتفى من دنياه بطمريه (أي ثوبيه البالين) ومن طُعمه بقرصيه (أي رغيفي الشعير). ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ماكنزتُ من دنياكم تبرا (أي ذهبا) ولا ادخرتُ من غنائمها وفرا، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمرا...» الى أن يقول(ع):

«وانما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر، وتثبت على جوانب المزلق. ولو شئتُ لاهتديت الطريق الى مصفّى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي أو يقودني جشعي الى تخيّر الاطعمة، ولعل بالحجاز أواليمامة من لاطمع له في القرص ولا عهد له بالشبع. أوأبيتَ مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى! أكون كماقال الشاعر:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكبادٌ تحِنّ الى القِدِّ

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولاأشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جشوبة العيش؟ فما خُلقتُ ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أوالمرسلة شغلها تَقَمّمها».

فالامام عليه السلام لم يكن ليرضى أن يكون همه في الحياة و شغله الشاغل، التمتع باللذائذ المادية والطيبات من الطعام والشراب، كما هو حال الحيوانات والبهائم، لابل ان الانسان أرفع من ذلك، فلقد خُلق ليحمل مبدأ و ينشر رسالة، وتلك هي رسالة

الحق والعدل والمساواة.

لقد اكتفى الامام (ع) من دنياه كلها بثوبيه البالين و برغيفيه الشعير يقيم بهما أوَدَه، وماذا يريد بعد ذلك من حُطام الدنيا ولذائذها. لقد روّض نفسه على القناعة والزهد والتقوى، مما لايستطيع غيره أن يفعله أو يصبر على تطبيقه، وحري به أن يكون بهذه المنزلة من التحرر الوجداني والسمو النفساني، لانه هو القدوة لجميع المسلمين، وهو الامام لجميع الانام.

لقد كانت تحت تصرفه(ع) كل أصناف النعم وكل ألوان الطيبات، من العسل المصفى والخبز الطازج والحرير الناعم، ولكنه مع ذلك آثر أن يكون حظه من هذه الماديات كحظ أقل فرد من رعيته، لأن من أبرز مبادئ رسالته التي قام ينشرها و يطبقها، المساواة بين الناس ونشر العدالة بينهم، وتأمين القسط الانساني الضروري لحياتهم، والرفع من سويتهم المعيشية، ليصبح الجميع مكتفين وأغنياء، لايحتاج أحد منهم الى أحد.

مثال أبي ذر الغفاري:

وعلى هذا المنوال الرائد سار الصحابة الاوائل رضوان الله عليهم، الذين لم يُبَدّلوا ولم يغيروا، ولم يُلههم سلطان ولامال، عن تطبيق ماعاهدوا الله عليه، ونشر ماوطّنوا أنفسهم عليه، ومن أعظم أمثلتهم الصحابي الجليل أبوذر الغفاري.

لقد آمن أبوذر بالرسالة الجديدة إيماناً عميقاً، حتى اضطرمتْ الحقيقةُ في قلبه، وتلجلج صدره بأنوار التحرر واليقين، فأصبح يرى كل شئ في هذه الدنيا رخيصاً أمام مبدئه ودينه، فوهب لعقيدته كل مايملك ، وكل ماأوتي من قوة وعزيمة.

هاهو أبوذر يطوف في ربوع مكة المكرمة، مجاهراً بمبدئه الحق، معلناً حربه على العبودية والاستغلال والجهل والضلال.

لقد قام يحذّر الناس من مغبّة كنز الأموال[٧]، و يدعوهم الى البذل والعطاء والسماحة والمشاركة، دون أن يضع في حسبانه خوفا من سلطة أو رهبة من قوة.

لقد بدأ أول مابدأ بنفسه يطبق عليها مبادئ هذا البذل والعطاء والمساعدة والمشاركة والعدالة والمساواة. فأنفق كل مالديه على الفقراء والمساكين، ثم سار في أرجاء البلاد يدعو الناس الى مادعا نفسه اليه، بكل صمود وتصميم وايمان و يقين.

فلما جاء عهد الخليفة عثمان وانحرف الناس عن مبادئ الاسلام و حقائق الايمان، قام أبوذر يعلنها حرباً شعواء على كل منحرف و معاند، قد استهوته الحياة ومادياتها،[٨] حتّى صرفته عن دينه وانسانيته. فلم يترك مسجداً ولاحلقةً ولامجلساً إلا استغله لتوجيه الناس وإلهاب عواطفهم الطيبة ونبذ عاداتهم السيئة. دون أن يساوره خوف أوهلع، أو يَفُتّ في عضده وَهْنٌ اوضعف. ومم يخاف؟ وهوالذي لايملك مالاً فتأخذه الدولة، ولا أرضاً فتستملكها، ولا داراً فتصادرها ولا وظيفةً فتصرفه عنها. انه لايملك من حطام الدنيا شيئاً فيخاف عليه، فعاد لايخاف إلا الله. لقد قطع عن نفسه كل علائق المادة فأصبحت نفسه حرة بكل معاني الصفاء والتحرر.

انظر اليه وقد قام خطيباً في الناس يصور ما آلت اليه الامور في عهد عثمان، و يستكرمظاهرالانحراف التي حصلت، فيقول: «لقد حدثتْ أعمالٌ ماأعرفها. واللهِ ماهي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه. واللهِ إني لأرى حقاً يُطفأ، وباطلاً يحيا، و صادقاً مكذّبا، و أَثَرَةً بغير تقى. يا معاشر الاغنياء و اسوا الفقراء. وبشرالذين يكنزون الذهب و الفضة ولاينفقونها في سبيل الله بمكاوٍ من نار، تكوى بها جباهم و جنوبهم و ظهورهم».

«اِتخذتمْ ستورالحرير و نضائد الديباج، و تألمتم الاضطجاعَ على الصوف الاذرَبي، و كان رسول الله(ص) ينام على الحصير. واختُلِف عليكم بألوان الطعام، و كان رسول الله(ص) لايشبع من خبزالشعير».

وعاش أبوذر طوال حياته، ينفق ماله على اليتامى والمحرومين، و يوزع حصيلة أتعابه على الفقراء والمعسرين، وقد وقف نفسه لخدمة المساكين والمحتاجين، يدافع عن حقوقهم و يُعَرّض نفسه للهلاك من أجلهم، حتى نُفي الى صحراء (الرَّبَذة)، وهي مكان بين المدينة والشام. فعاش هناك تحت خباء خيمته وحيداً فريداً مع زوجته. وصدق فيه قول النبي(ص): «يا أباذر، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتُبعث وحدك ».

فكان فقرُه هذا أعظم الغنى، وكانت فاقته تلك هي أعظم السعة. وكان وهو في سجنه في منفاه، أعظم إنسان حر عرفته البشرية. ولتلك حال من ينسلخ من علائق المادة والتراب، ليصبح نوراً متألقاً فوق السحاب.

وحانت من أبي ذر التفاتة الى زوجته، وقد أدركه النَّزْع الاخير، فطفق يبكي. فقالت له زوجته: أجزعاً من الموت تبكي ياأباذر وأنت الصادق الصدوق؟! قال: لا ياأمة الله، ولكني تذكرت وصية رسول الله لي، حين قال: «ياأباذر إياك أن تموت وقد خَلّفتَ قيراطين»! فنظرتْ زوجتُه الى ماحولها لترى ماترك زوجها في خيمته، فلم تجد غير حصيرة بالية وابريقٍ يشرب منه وآنية يغتسل بها.

المال مال الله

تنطلق نظرة الاسلام الى المال من حقيقة عميقة، وهي أن المال هو في الأصل مال الله، وكل مال في أيدينا قد أعطاه الله لنا على نحو التوكيل وليس التمليك. فالمؤمن موظف على ماله ليستخدمه فيما أمرالله وأراد، فاذا هو لم يستخدمه وفق ذلك فقد اساء التصرف، وعلى الجماعة المسلمة ممثلة في الحاكم الشرعي أن تحجر عليه، وتمنعه من التصرف به، وتقيم على المال وكيلا عنه. وبهذه الطريقة لايفسح الاسلام للمال أن يستخدم في الظلم والاستغلال والباطل. فالشرع يحمي المالك طالما هو ينفذ الخطة الالهية المرسومة له، فاذا هو شذّ عن ذلك نزع حمايته عنه.

المال وسيلة وليس غاية:

و من هذه النظرية الرفيعة لوظيفة المال يتبين أن الاسلام يعتبر المال وسيلة لاغاية، فهو في الدرجة الاولى وسيلة للاكتفاء الشخصي حتى لايحتاج الانسان الى سواه، وهو في الدرجة الثانية وسيلة لبناء المجتمع السليم وتأمين الحياة الانسانية لكل فرد فيه، في جو يتيح لكل فردٍ الفُرص العريضة ليعمل ويجدّ ويحقق كل طاقاته ومواهبه.

وعندما ينحسر دافع الدين من قلب المؤمن، ينسى علاقته الاساسية بالله، فينكبّ على جمع المال شَغَفاً بالمال، فلايعودهمه غيرملء حصّالته من النقود، فلايبالي من أين جمع المال ولاالغاية من جمعه، فيصبح عبداً للمادة دون أن يستفيد منها أو يفيد أحداً من المحتاجين اليها. وتنعدم قيمته في الجماعة كلما فقد المجتمعُ الفائدة منه، مصداقاً لقول الامام(ع): «قيمة كل امرئ مايحسنه».[٩]

و بالنسبة للمخطط التكاملي للمجتمع يعتبر مثل هذا الفرد سرطانا، لانه يمتص كل الطاقات من حوله، دون أن يعطي شيئا، فاذا لم تتخلص الجماعة منه أتى عليها.[١٠]

لذلك حرم الاسلام الربا والاحتكار والاستغلال والجشع.

و من ذلك ماورد في كتاب الامام(ع) لمالك الاشتر حين ولاّه مصر. يقول(ع):

«فامنع من الاحتكار، فان رسول الله(ص) منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحا، بموازين عدل، وأسعار لاتُجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع. فمن قارف حُكرةً (أي احتكارا) بعد نهيك إياه فنكّلْ به، وعاقبه في غير اسراف» (الخطبة ٢٩٢ نهج).

الفصل الثاني:

أسباب الفقر

أسباب الفقر

اسباب الفقر متعددة، منها من الخالق سبحانه و منها من المخلوق، ومنها من الفرد ومنها من الجماعة. وسوف نتناول هذه الاسباب في هذا الفصل، علماً بأن الاسلام كنظام لم يُقِرَّ الفقر في مجتمعه، بل وَأَده في مهده عن طريق نظامه التكاملي.

أولا : الاسباب التكوينية:

وهي الاسباب الناتجة عن تكوين الله سبحانه للانسان. فالناس منذ أن يخلقوا يتفاوتون في المواهب والقدرات، والاستعدادات والامكانيات. و يتناول هذا التفاوت الصفات النفسية والفكرية والجسدية. فهم يختلفون في الصبر والشجاعة، وفي قوة العزيمة والأمل، ويختلفون في حدة الذكاء وسرعة البديهة، وفي القدرة على الابداع والاختراع. ويختلفون في قوة العضلات وفي ثبات الاعصاب، الى غير ذلك من مقومات الشخصية الانسانية التي وزعت على الافراد بدرجات متفاوته. و يبلغ هذا التباين حداً يستحيل معه، أن نجد شخصين متساو يين في الذكاء والفهم والعاطفة والعقل والجد والاجتهاد والشعور والاهتمام.

وحكمة هذا التفاوت والاختلاف أن الحياة تحتاج بطبيعتها الى أفراد متفاوتين، يناسبون حاجات الحياة المختلفة، وإلا لاستحالت مسيرةُ الحياة وتكاملها. فمثلا إن نسبة من لديهم القدرة على التخصص العلمي للاكتشاف والابتكار والتطو ير

والاختراع في حدود ١٠٪، بينما بقية الناس ينصرفون الى تأمين مرافق الحياة المختلفة والانتاج، كلٌّ حسب ميله الى الزراعة أو الصناعة أو التجارة. وتعود الحياة مرتدة في فوائدها على المجموع.

و ينشأ عن هذا التفاوت في القدرات والانتاج تفاوت في الكسب والتحصيل.

الدنيا دار ابتلاء:

ومن الاسباب التكوينية المرتبطة بمفهوم الدين، أن الله سبحانه خلق الانسان مرتبطاً برسالة جاء الى الدنيا ليؤديها، فهو لم يخلق عبثا، ولم يوجد باطلا. فالدنيا بالنسبة له دار امتحان واختبار، تتكامل في مقصودها مع الاخرة التي هي دارالحساب والجزاء. ومقتضى هذا الاختبار أن يكون الناس عمداً متفاوتين في الامكانيات وأن يكونوا متفاوتين في الرزق والعطاء.

وقد أكدت النصوص القُرآنية والاخبار الشريفة على هذه الحقيقة الاساسية، يقول سبحانه:

«الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبلُوَكُمْ أيُّكُم أحسَنُ عَمَلا» (الملك ٢)

و يقول الامام علي(ع) من كتاب له: «فَانَّ اللّهَ سُبحانَهُ قَد جَعَلَ الدُّنيا لما بَعدها، وابتلى فيها أهلها، لِيَعلَم أيُّهُم أحسن عَملا. وَلَسنا لِلدُّنيا خُلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وَانَّما وُضعنا فيها لنبتلى بِها» (الكتاب ٢٩٤ نهج).

و يقول الامام(ع): «فلم يستنصرْكم مِن ذُلّ، ولم يستقرضْكم من قُلّ. استنصركم وله جنود السموات والارض وهوالعزيز الحكيم. واستقرضكم وله خزائن السموات والارض وهو الغني الحميد. وانما أراد أن يبلوكم أيُّكُم أحسنُ عَملا» (الخطبة ١٨١ نهج).

و يقول الامام الصادق(ع): «ما أُعطي عبدٌمن الدنيا إلاّ اعتبارا، وما زويَ عَنه إلاّ اختبارا».

الرزق مقسوم:

وقد امتحن الله عباده بما قسم لهم من الرزق، فالرزق مُقَدَّر من الله تعالى. يقول سبحانه:

« أهم يقسمون رحمةَ ربّك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ

درجات»(الزخرف - ٣٢).

و يقول الامام علي(ع): «أما بعد،فانّ الامرينزل من السماء الى الارض كقطرات المطر، الى كل نفسٍ بماقسم لها من زيادة أونقصان» (الخطبة ٢٣ نهج).

وقال (ع): «وقدّر الارزاقَ فكثّرها وقلّلها، وقسّمها على الضيق والسَّعة» (الخطبة ٨٩ نهج)

وقال (ع) : «الرزق رزقان:رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأته أتاك » (الخطبة ٢٧٠ نهج)

و يقول الشاعر:

الرزق كالغيث بين الناس منقسمٌ هذا غريقٌ وهذا يشتهي المطرا

وقال آخر:

لا الأمرُ أمري ولاالتقدير تقديري ولا الشؤون التي تجري بتقديري
لي خالق رازق ماشاء يفعل بي أحاط بي علمه من قبل تصويري

وقد تكفل سبحانه وتعالى برزق العباد جميعا، حتى الحيوانات والدواب. يقول سبحانه:

«وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها، و يعلم مستقرها ومستودعها، كلّ في كتاب مبين» (هود - ٦).

و يقول الامام علي(ع): «عياله الخلائق، ضَمِنَ أرزاقهم، وقَدَّر أقواتهم» (الخطبة ٨٩ نهج).

و من شعر الأصم قوله:

وَكيف أخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر
تكفّل بالارزاق للخلق كلهمْ وللضبّ في البيداء والحوت في البحر

ولتقدير الارزاق حكمة لايعلمها إلاّ الله. فكم من عالم عاقل وهو فقير، وكم من جاهل خامل وهو مرزوق، أو كما قال القيراطي:

كم من أديب عالم فَطِنٍ مستكملِ العقلِ، مُقِلٌّ عديمْ
وكم جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

الرزق مشروط بالعمل:

صحيح ان الرزق مقسوم من الله تعالى، ولكنه مشروط بالعمل وعدم التواكل. يقول تعالى:

«هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكُلوا مِن رزقه وَإليه النُشور» (الملك - ١٥)

و يقول سبحانه: «ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم، أفلا يشكرون » (سورة يس - ٣٥)

و يقول النبي (ص): «اِعقلْ وتوكل» (أي اِربط الدابة حتى لا تشرد ثم توكل على الله).

وقال الامام(ع): «قد تكفل لكم بالرزق، وأُمرتمْ بالعمل» (الخطبة ١١٤ نهج).

والرزق شأن كل ماقدّرالله تعالى، وكتبه في اللوح المحفوظ، يكون أحد نوعين:

١- الرزق المحتوم: وهو يأتي على أي حال. وهو ماعبّر عنه الامام(ع) بقوله: «ورزق يطلبك، فان لم تأته أتاك ».

٢- الرزق المحروم: وهو مشروط بالعمل أو بغيره من الاسباب، فاذا قام الانسان بشرطه استحقه.

ولهذا كان على الانسان العمل، ثم تسليم أمره الى الله.

يقول الامام علي(ع): «وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث: مَرَمَّةٍ لمعاش، أو خطوة في معاد، أولذةٍ في غير محرم» (الحكمة ٣٩٠ نهج).

فتراه (ع) يعتبرالرزق من خصال المؤمن الحميدة، و يقرن بينه و بين العبادة لله.

لكنه من الغباء بمكان أن يتكالب الانسان على العمل والنَّصَب، ظَنّاً منه أن رزقه متناسب مع ذلك ،لا بل ان شدة الحرص وكثرة السعي يورثان الفقر. ومفاد ذلك ماورد في الاخبار، أن الذي يأتي الى السوق أول من يأتي، و ينصرف منه آخر من ينصرف، ينقص ذلك من رزقه. وما أجمل الاعتدال في كل الأعمال.

يقول الامام على(ع): «إنَّ اللّهَ لَم يَجعل لِلعبد وإنْ عظمتْ حيلتُه واشتدت طَلِبَتُهُ وقويت مكيدته، أكثر مما سمّى له في الذكر الحكيم (أي اللوح المحفوظ). ولَم يَحُلْ بين العبد في ضَعفة وقلة حيلته وبين أن يبلغ ماسَمّى له في الذكر الحكيم» (الحكمة ٢٧٣ نهج).

ومن كتاب للامام(ع) الى عبدالله بن العباس: «أما بعد، فانك لست بسابق أجلك، ولا مرزوقٍ ماليس لك. واعلم بأن الدهر يومان: يومٌ لك و يومٌ عليك. وأن الدنيا دار دُوَل، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك »(الخطبة ٣١١نهج).

الابتلاء بين الفقير والغني:

ولقد جعل سبحانه وجود الفقير والغني، كل منهما ابتلاء للاخر. فوجود الفقراء هو

امتحان لسماحة الاغنياء وشكرهم وعدم تعلقهم بالدنيا وماديا تها. كما أن وجود الاغنياء هو امتحان لعفة الفقراء وعزتهم، فكم من فقير بالمال غني بالنفس، وكما قال سبحانه: «يحسبهمُ الجاهلُ أغنياء من التعفف»(البقرة - ٢٧٣).

وهو سبحانه في كلا الحالين عادل في حكمه.

يقول الامام علي(ع): «فانَّ اللّه سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم، بأوليائه المستضعفين في أعينهم» (الخطبة ١٩٠ نهج).

وقال(ع): «وقدَّر الارزاق فكثَّرها وقلَّلها، وَقَسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها» (الخطبة ٨٩ نهج)

وبما أن كلا من الغنى والفقر امتحان، فعلى الغني أن يحذر الغنى الذى صار فيه، و يفهم أنه استدراج وامتحان، تماماً كما على الفقير أن يتحسب من فقره، و يعلم أنه ابتلاء واختبار.

يقول الامام علي(ع): «وربَّ مُنْعَمٍ عليه مستدرجٌ بالنُّعمى، وربّ مُبتلى مصنوعٌ له بالبلوى» (أي أن بليّته هي معروف أسداه اللّه اليه) (الحكمة ٢٧٣ نهج).

وقال (ع): «أيها الناس، لِيَرَكُم اللّه من النعمة وجلين، كما يراكم من النقمة فَرِقين (أى فزعين)! إنه من وسّعَ عليه في ذات يده فلم يَرَ ذلك استدراجاً فقد أمِنَ مخوفا، وَمَن ضُيِّقَ عليه في ذات يده فلم يَرَ ذلك اختبارا فقد ضيّع مأمولا» (الحكمة ٣٥٨ نهج).

وتساور الشكوك المؤمن الضعيف الايمان، في سبب ابتلائه بالفقر دون الغنى، ولو علم أن تبعة الغنى أشد وطأة من الفقر لما طلب غير ما قَدَّر الله له.

وفي الحقيقة ان الله سبحانه بميزان عدله و بوافر علمه، يختار مافيه الصلاح لعبده. فان كان العبد مؤمنا أفقره لعلمه بأن غناه سيخرجه عن تقواه، أو أغناه لعلمه بأن فقره سيخرجه عن طاعته. وقد قال النبي: «لو اطلعتُ على الغيب لاخترت الواقع».

ومن يدري أن الله قد يبتلي المؤمن بالعسر والبلاء ليكون صبره عليه كفارةً لذنوبه، حتى يلقى الله تعالى وماعليه خطيئة.

أما الكافر الذي أقام اللهُ عليه الحجة مراراً وتكرارا، وهو يرتع في كفره وعناده، فانه يمتحنه بالغنى ليزيده كفرا، أو بالفقر ليزيده إثما، مصداقاً لقوله تعالى:

«ولايحسبنَّ الّذين كَفَروا أنّما نُملي لَهُم خيرٌ لأنفُسِهم، إنَّما نُملي لَهم لِيزدادوا إثماً وَلهم عَذابٌ مُهين» (آل عمران ــ ١٧٨).

ولقوله جلّ من قائل: «وَيَمُدُّهُم في طُغيانِهِم يَعمَهُون» (البقرة-١٥)

و ينتج من ذلك أن الله حين خص عبده بالغنى لم يفضله على الاخر الذي اختصه بالفقر، وانما هو الابتلاء بشكليه. ولولم يوجد في الدنيا فقير لم يستوجب الاغنياء الثواب.

يقول الامام الكاظم(ع): ان الله عزوجل يقول: «إني لم أغنِ الغني لكرامة به علي، ولم أفقِر الفقير لهوانٍ به علي، وهو مما ابتليتُ به الاغنياء بالفقراء، ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة»*

عقوبة الاستخفاف بالفقير:

ان مقتضى الاخبار أن الفقر والغنى كلّ منهما نعمة من نعم الله تعالى، يعطي كلاً منهما من شاء من عباده، بحسب مايعلم من مصالحه الكاملة. لابل ان بعض الفقر هو مما يختص الله به عباده المقربين الذين أحبهم، وفي ذلك يقول الامام الصادق(ع): «المصائب مِنَحٌ من الله، والفقر عندالله مثل الشهادة، ولايعطيه من عباده إلا من أحب».

فقد قرن منزلة هذا الفقر بمنزلة الشهادة في سبيل الله، وهي مما يختص الله بها المقربين من الخاصة.

وقد روي أن رسول الله(ص) لما ورد المدينة نزل في دار أبي أيوب الانصاري، ولم يكن بالمدينة أفقر منه لما نزل عنده.

وعن النبي(ص) عن الله تعالى في ليلة المعراج قال: «يا أحمد محبتي محبة الفقراء. فأدْنِ الفقراء وَقَرِّبْ مجلسهم منك، أُدْنِك! وبعِّدِ الاغنياء وَبَعِّدْ مجلسَهم منك، فانَّ الفقراء أحبائي»**

وقد ذكرنا سابقاً عدداً من الاحاديث التي تبين مرتبة الفقير الصابر.

ومن المُسَلَّم به أن الفقير الصابر أكثر ثواباً من الغني الشاكر. وأسلم الاحوال من يعيش عيش «الكفاف» فهو ليس بالفقير ولا بالغني. ولذا ورد في أكثر الادعية طلبه، وقد سأله النبي(ص) لآله وعترته.

وقد ورد النهي عن الاستخفاف بالفقير، لأن ذلك يعني استخفافاً بالله سبحانه.

قال النبي(ص): «ألا ومن استخفَّ بفقير مسلم، فقد استخف بحق الله. واللهُ يستخفّ به يوم القيامة إلا أن يتوب».

* ـ الكافي ج ٢ ص ٢٦٥

** ـ ارشاد القلوب ص ٢٧٩

وعن الامام الرضا(ع): «من لقي فقيراً مُسلماً فسلّم عليه خلاف سلامه على الغني، لقي الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان»

و يقول النبي(ص): «لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فان الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر».

ولله در من قال:

لله تحت قباب العرش طائفةٌ أخفاهم عن عيون الناس إجلالا
هُم السلاطين في أطمار مَسكَنةٍ جَرّوا على الفلك الدَّوار أذيالا

و يقول الامام السجاد(ع) من جملة دعائه:

«واعصمني من أن أظن بذي عَدَمٍ خساسةً، أو أظن بصاحب ثروةٍ فضلا، فان الشريف من شرّفته طاعتُك، والعزيز من أعزته عبادتك»*.

ثانيا: الاسباب الشخصية:

في مقابل الاسباب التكوينية التى منشؤها من الله سبحانه، نجد عوامل ذاتية للفقر والغني منشؤها الانسان نفسه.

فالرزق كما ذكرنا تابع للزيادة والنقصان، وتقديره مرتبط بعوامل محددة تماماً، كما هو الامر في الآجال.

بعض عوامل زيادة الرزق:

فمن جهة العوامل التي تزيد في الرزق، ذكرالامام(ع) في نهج البلاغة أهمها، وهي تنطلق من نية الانسان وسريرته، ومن تقواه و طاعته لربه، الى أخلاقه وحسن معاملته للآخرين، الى الشكر وصلة الرحم، الى الدعاء والاستغفار، الى التصدق ودفع الحقوق... ويمكن اجمالها فيمايلي:

«طاعة الله - الشكر - الاستغفار - الدعاء - صلة الرحم - دفع الحقوق - الصدقة»

يقول الامام علي(ع): «واستتموا نِعَمَ الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته»[١١] (الخطبة ١٨٦ نهج).

* - الصحيفة السجادية - الدعاء ٣٥ ص ٢٣٩

و يقول سبحانه: «لئن شكرتمْ لازيدنكم» (ابراهيم - ٧)

و يقول الامام(ع): «ما كان اللهُ ليفتح على عبدٍ بابَ الشكر، و يُغلق عنه باب الزيادة» (الحكمة ٤٣٥ نهج)

و يقول(ع) من خطبة له في الاستسقاء:

«انَّ الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، واغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، و يُقلع مُقلع، و يتذكر متذكر، و يزدجر مُزدَجِر. وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمةِ الخلق، فقال سبحانه (إستغفروا ربّكم إنه كان غَفّارا، يُرسل السماء عليكم مدْرارا، و يُمْددكم بأموال و بنينَ، وَيَجْعلْ لكُم جَنّاتٍ، ويجعل لكم أنهاراً). فرحم اللّه امرءاً استقبل توبته، واستقال خطيئته، و بادر منيته» (الخطبة ١٤١ نهج).

و يقول(ع) في وصيته لابنه الحسن(ع): «واعلم أنَّ الذى بيده خزائن السموات والارض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالاجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك» (الخطبة ٢٧٠ نهج).

وعن الامام الصادق(ع): «دعاء الرجل لأخيه بظهر الغيب يَدُرّ الرزق و يدفع المكروه».

و يقول النبي(ص): «صلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر».

و يقول الامام الصادق(ع): «صلة الرحم مَنسَاةٌ في الأجل، مَثْراة في المال، مَحَبَّة في الاهل».

و يقول الامام علي(ع): «انَّ للّه في كل نعمة حقا، فمن أدّاه زاده منها» (الحكمة ٢٤٤ نهج، مع اختلاف في اللفظ).

و يقول(ع): «اذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة» (الحكمة ٢٥٨ نهج).

و يقول النبي(ص): «أستنزلوا الرزق بالصدقة، والبكور مبارك يزيد في جميع النعم خصوصا الرزق، وحُسْن الخط من مفاتيح الرزق، وطِيب الكلام يزيد في الرزق».

ومن أقوى الاسباب الجالبة للرزق إقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع، وقراءة سورة الواقعة بالليل ووقت العشاء، وقراءة سورة يس وتبارك وقت الصبح، وحضور المسجد قبل الاذان، والمداومة على الطهارة، وأداء سُنّة الفجر والوتر في البيت، وأن لايتكلم بكلام اللغو».

بعض عوامل نقص الرزق:

كما ذكر الامام علي(ع) بعض العوامل التي تنقص الرزق أو تقطعه، وهي تنصبّ على بعض الذنوب والكبائر، منها:

(الذنوب ـ الزنا ـ أكل المال الحرام ـ منع الحقوق)

يقول تعالى: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والارض» (الاعراف ـ ٩٦).

و يقول سبحانه: «وضرب اللهُ مَثَلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقُها رَغَداً من كلِّ مكان، فكفرتْ بأنعُمِ الله، فأذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوف بما كانوا يصنعون» (النحل ـ ١١٢)

و يقول الامام علي(ع): «وايمُ اللهِ ما كان قومٌ قطُّ في غَضّ نعمةٍ من عيشٍ فزال عنهم، إلا بذنوبٍ اجترحوها، لأنّ اللهَ ليس بظلاّم للعبيد. ولو أنَّ الناسَ حين تنزل بهم النقمُ، وتزول عنهم النعمُ، فزِعوا الى ربِّهم بصدقٍ مِن نياتهم، ووَلهٍ من قلوبهم لردّ عليهم كل شارد، وأصلح لهم كل فاسد» (الخطبة ١٧٦نهج).

و يقول الامام علي(ع): «تَوقّوا الذنوب، فما من بليةٍ ولانقصِ رزقٍ إلا بذنب، حتى الخَدش والكبوة والمصيبة».*

وعن الامام الحسن(ع): «ترك الزناء، وكنس الفناء، وغسل الاناء، مجلبةٌ للغناء»*

وعن الامام الصادق(ع): «كثرة السحت يمحق الرزق».

و يقول الامام علي(ع): «إنَّ للّه في كل نعمةٍ حقاً فمن أداه حفظها، ومن قصّر عنه خاطر بزوال نعمته» (الحكمة ٢٤٤نهج).

و يقول(ع): «انَّ للّه عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، فيُقِرّها في أيديهم مابذلوها، فاذا منعوها نزعها منهم، ثم حوّلها الى غيرهم» (الحكمة ٤٢٥ نهج).

أسباب أخرى تزيد في الرزق:

في الروايات أن من حَسُنت نيته زاد الله في رزقه.

* ـ سفينة البحار، ج ١ (باب رزق)

وأن غسل اليد قبل الطعام يزيد في الرزق
وأن التختم بالياقوت والعقيق والفيروزج وقراءةسورةالتوحيد حين دخول البيت ينفي الفقر.

و يقول الامام الصادق(ع): «حُسن الجواريزيد في الرزق».

وفي الروايات:

أن غسل الرأس بالخطمى يجلب الرزق و ينفي الفقر
وأن من اطلّى فتدلك بالحناء من قرنه الى قدمه نفي عنه الفقر
وأن المشط يجلب الرزق
وتقليم الاظافر يوم الخميس يَدرّ الرزق درّا
والسراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر و يزيد في الرزق.

وعن أميرالمومنين (ع) في ذكر مايزيد في الرزق، وعدّ منها:

«الجمع بين الصلاتين والتعقيب بعد الغداة و بعدالعصر، وصلة الرحم ومواساة الاخ، والبكور في طلب الرزق، واستعمال الامانة وقول الحق، وإجابة المؤذن، وترك الكلام في الخلاء،وترك الحرص، وشكر النعم، واجتناب اليمين الكاذبة، وغسل اليد قبل الطعام، وأكل مايسقط من الخوان، ومن سبّح الله كل يوم ثلاثين مرة دفع الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أيسرها الفقر»*

أسباب أخرى تورث الفقر:

روى عن الامام علي(ع) أن من الاسباب التي تورث الفقر:

ترك نسج العنكبوت في البيوت
والبول في الحمام (يقصد بالحمام البركة التي يستحم الناس عندها)
والاكل على الجنابة
والتمشط من قيام
وترك القمامة في البيت
واليمين الفاجرة
والزنا
واظهارالحرص

* ـ سفينة البحار، ج ١ (باب رزق)

والنوم بين العشاءين وقبل طلوع الشمس
واعتياد الكذب
وكثرة الاستماع الى الغناء
وردّ السائل
وترك التقدير في المعيشة
وقطيعة الرحم.

وروي عنه(ع) أيضا:

القيام من الفراش للبول عرياناً
وترك غسل اليدين عندالاكل
واهانة الكِسرة من الخبز
واحراق قشر الثوم والبصل
والقعود على أسكفة البيت (أى على عتبة الدار)
وكنس البيت بالليل
وغسل الاعضاء في موضع الاستنجاء
ومسح الاعضاء المغسولة بالذيل والكم (كمايفعل من يتوضأ ثم يمسح وجهه ويديه بكمه أو بطرف ردائه)
ووضع القصاع والاواني غير مغسولة
ووضع أواني الماء غير مغطاة الرؤوس
والاستخفاف بالصلاة
وتعجيل الخروج من المسجد
والبكور الى السوق وتأخير الرجوع عنه الى العشي
وشراء الخبز من الفقراء
واللعن على الاولاد
وخياطة الثوب على البدن (المقصود بها خياطة الانسان ثوبه وهو على بدنه)
واطفاء السراج بالنَّفَس (أي بالنفخ عليه)

وعن النبي(ص) قال: «الفقر من خمسة وعشرين شيئاً، وذكر منها:
التقدم على المشايخ
ودعوة الوالدين باسمها

والتخلل بكل خشب (أي تخليل الاسنان بكل عود من الخشب)
وتغسيل اليدين بالطين
وترك القصارة
وخياطة الثوب على النفس
ومسح الوجه بالذيل
والاكل نائما
ودعاء السوء على الوالدين
وقص الاظفار بالاسنان.

وذكر المحقق الطوسي في آداب المتعلمين فيما يورث الفقر:

كثرة النوم
والنوم عريانا
والمشي أمام المشايخ
والجلوس على العتبة
والاتكاء على أحد زوجي الباب
والكتابة بالقلم المعقود
والامتشاط بالمشط المكسور
وترك الدعاء للوالدين
والتعمم قاعدا
والتسرول قائما (أي لبس البنطال من قيام)
والبخل والتقتير والاسراف
والكسل والتواني
والتهاون في الامور.

ثالثا : الاسباب الاجتماعية

ومن عوامل الفقر الظلم بأنواعه، ظلم الفرد للفرد، وظلم طبقة في المجتمع لطبقة، وظلم دولة في العالم لدولة. مما نجده شائعا في الدول والمجتمعات.

فمن الظلم الفردي ظلم رب العمل لعامله واستغلاله وعدم اعطائه حقه من الاجر.

يقول النبي(ص): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

و يقول النبي(ص): «من ظلم أجيراً اجره، أحبط الله عمله، وحرّم عليه ريح الجنة»

ومن الظلم الجماعي استبداد طبقة التجار بالمستهلكين من الشعب، و بيع السلع بالارباح الفاحشة. ومن هذا الظلم استئثار الاغنياء بالمال وعيشهم عيشة البذخ والرفاهية، دون أن يعطوا المحرومين حقهم من العيش الكريم.

يقول الامام علي(ع): «إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ إلا بما مُتع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»(الحكمة ٣٢٨ نهج)

ومن الظلم الدولي تحكم الدول الرأسمالية والصناعية[١٢] بثروات الدول الضعيفة وفرض الحصار الاقتصادي عليها أو إلهاؤها بالحروب لتظل فقيرة محتاجة اليهم. وذلك ليحافظوا على مستوى رفاهيتهم التي كسبوها على حساب غيرهم. وهذا من أقسى أشكال الظلم والاستعباد، التي يجب مقاومتها.

وتزول كل هذه الانواع من الظلم عندما تقوم دولة القرآن في الارض، وتقام فيها حدودالله، و يقف كل جانب عند حده العادل، الذي يضمن حقه ولايُجحف بحق غيره، في علاقات انسانية أخلاقية بين الافراد والمجتمعات والدول.

وقد ورد في الاسباب التي تورث الفقر، بعض العوامل التي تدخل في هذا الباب.

فاذا طغى الفجور على مجتمع حلّ به الفقر الجماعي، فيقلّ المطر وتجف الينابيع وتُجدب الأرض من المحاصيل.

واذافشى الظلم والكذب وسوءالخلق وقطع الرحم وايذاء الجيران في المجتمع، سلطّ الله عليهم من يُفقرهم و يذلهم.

واذا حَبس الناسُ الحقوق وأكلوا السُّحت والربا ومال اليتيم، وردّوا السائل والمحروم، نزع الله من بينهم البركة فلايهنأون بنعمة من النعم، ولا تستجاب لهم دعوة.

واذا استهانوا بأوامر الله ولم يقيموا حدوده، فتركوا العبادة والصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عاقبهم سبحانه بأنواع الخوف والجوع ونقص الثمرات والعدد.

يقول جل من قائل: «وَلَنَبلُوَنَّكُم بشيءٍ مِن الخَوفِ والجُوعِ وَنَقصٍ مِن الاموال والانفس والثمرات، وَبَشِّرِ الصابرين» (البقرة - ١٥٥).

الفصل الثالث:

علاج الفقــر

علاج الفقر

لايمكن معالجة الفقر[١٣] في الاسلام في معزل عن فلسفة الاسلام الفكرية ونظامه الاقتصادي.

وتنطلق الفلسفة الفكرية للاسلام من فلسفة شاملة متكاملة للكون تُوَحِّد كل مافيه في نظام متناسق يستمد وحدته من وحدانية الله. لذلك سمي الاسلام دين التوحيد، لأن كل شئ في نظره يتوحد في ارتباطه بالواحد الأحد.

من هذا المنطلق نجد أن الاسلام استطاع أن يوحد بين العبادة والمعاملة، والعقيدة والسلوك ، والروحيات والماديات، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية، والدنيا والاخرة، والارض والسماء.

ومن هذه النظرة التكاملية للكون والحياة وضع الاسلام قواعده وأسسه وحدوده وغاياته، وأصدر تشريعاته وفرائضه، في سياسة الحكم وسياسة المال، وفي توزيع المغانم والمغارم، وفي الحقوق والواجبات. وضمن هذا الاصل الكبير تنطوي سائر الاجزاء والتفصيلات.

وحين ندرك هذه الفكرة الكلية عن نظرة الاسلام الى الكون والحياة والانسان، ندرك الخطوط الاساسية للعدالة الاجتماعية في الاسلام.

فهذه العدالة قبل كل شئ هي عدالة إنسانية شاملة، وليست عدالة اقتصادية محدودة. وهي اذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كماتتناول الشعور

والسلوك ، والضمائر والوجدانات. وعليه فان القيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم المادية فقط، وانما هي القيم الروحية أيضا.

عقيدة التوحيد*

تنبعث هذه العقيدة من الايمان بالله تعالى و بوحدة مخلوقاته، فتعطي الانسان نظرية توحيدية، ينظر من خلالها الى جميع الموجودات كمجموعة واحدة ومنظومة مترابطة، ذات جهة واحدة، هي جهة الله تعالى.

وهذه العقيدة اذا كانت صحيحة راسخة في قلب الانسان تسيطر على وجوده، وتوحد جميع أبعاده المختلفة، وتجعلها متلاحمة ومتلائمة، ثم ينبسط نور هذه الوحدة والتلاحم على عامة صلات الانسان، بحياته وأعماله واتجاهاته.

الايمان التوحيدي ـ الاجتماعي:

ان الايمان التوحيدي يصور المجتمع في نظر المؤمن الموحِّد، كأسرة كبيرة واحدة، وكهيئة ايديولوجية موحدة. وهذا الاعتقاد اذا ساد المجتمع فانه يُبطل الأثرة والتميز والطبقية، و يبني من الناس أمة وسطا، تقوم على السنن العادلة.

يقول النبي(ص): «أيها الناس، إن ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لادم وآدم من تراب، إنَّ أكرمكم عندالله اتقاكم، وَليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى».

و يقول (ص): «لافضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أحمر، إلاّ بالتقوى».

والمجتمع التوحيدي لايمكن أن يوجد في ظل حكومة الطاغوت، بل لابد له ليتولد و ينمو و يستقر من حكومة التوحيد التي تحكم بتعاليم الله.

ولبيان الايمان التوحيدي نأتي بالمثال التالي من سيرة الائمة عليهم السلام:

عن عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام الرضا(ع) في سفره الى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك ، لوعزلت لهولاء مائدة!. فقال: «مَهْ (أي اسكت)! إن الله تبارك وتعالى واحد، والأم واحدة والأب واحد، والجزاء بالاعمال»**

* ـ الحياة للسادة رضا ومحمد وعلى الحكيمى ج ٢ ص ٢٤٨

** ـ الكافي للكليني ٨/ ٢٣٠

إنما المؤمنون اخوة:

ومن أجلى مظاهر الايمان التوحيدي، المؤاخاة بين الافراد في الاسلام. يقول تعالى «إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين آخَويكم» (الحجرات - ١٠). وقد حصلت المؤاخاة بشكل فعلي أول مرة في الاسلام، حين وفد المهاجرون الى المدينة،[١٤] فآخى النبي (ص) بينهم و بين الانصار، فاقتسموا المال والنساء بينهم عن طيب نفس.

يقول الامام زين العابدين (ع) لاحد اصحابه: «يازهري، وماعليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة وَلَدك وتجعل تِرْبهم بمنزلة أخيك ؟! فأي هولاء تحب أن تظلم، وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟» *

فعلى المؤمن أن يقيم أخاه المؤمن مقام نفسه، و يبادله المحبة و يشاركه في الحقوق، فيحب له كل مايحب لنفسه، و يكره له كل مايكره لها. وهذا هو ميزان السلوك في الاسلام.

يقول النبي (ص): «لايؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه مايحب لنفسه».

وليس أجمع لهذا المعنى من قول الامام علي (ع) في وصيته لابنه الحسن (ع): «يابني اجعلْ نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبَّ لغيرك ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لها. ولا تظلم كما لاتحب أن تُظلم. وأحسن كماتحب أن يُحسن اليك. واستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك. وارضَ من الناس بماترضاه لهم من نفسك». (الوصية ٢٧٠ نهج).

تساوي الناس في الحقوق:

من مفهوم الايمان التوحيدي - الاجتماعي، استدل العلماء على تساوي الافراد في الحقوق نتيجة تساويهم في الخلق. فكما أن لهم إلهاً واحداً، فكذلك لهم حقوق واحدة.[١٥] ولاميزة لأحد على أحد ولالطبقة على طبقة. ونجد هذا المعنى واضحاً في كلمة الامام علي (ع) في عهده لمالك الاشتر، حين أوصاه بالرعية فقال: «فإنّهم صنفان، إما أخ لك في الدين، أونظير لك في الخلق» (الكتاب ٢٩٢ نهج).

* - البحار ٧١/ ٢٣٠

وحدة الحقوق:

وهكذا تصدر الحقوق كلها متكاملة من مصدر واحد هوالله تعالى. فهناك حقوق لله اختص بها نفسه على عباده، وهناك حقوق فرضها على الانسان لنفسه، وهناك حقوق فرضها على عباده لعباده. وتتداخل هذه الحقوق فيما بينها.

ولم نجد وثيقة كاملة تفصل هذه الحقوق أجمع من رسالة الحقوق للامام زين العابدين*

يقول(ع): «إعلم! ان للّه عزوجل عليك حقوقاً محيطةً بك ...بعضها أكبر من بعض. وأكبر حقوق الله عليك ماأوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق، ومنه تفرّع. ثم ماأوجبه عليك لنفسك... ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك، من ذوي الحقوق الواجبة عليك».

و يقول الامام علي(ع): «ان الله تعالى أنزل كتاباً هادياً... وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها، وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها. فالمسلم من سَلِم المسلمون من لسانه و يده إلا بالحق. ولايجوز أذى المسلم إلا بمايجب» (الخطبة ١٦٥ نهج)

و يقول(ع): « جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمةً لحقوقه، فمن قام بحقوق عباداللّه، كان ذلك مؤديا الى القيام بحقوق الله»**

وهكذا فان تأدية حقوق الناس هي جزء من تأدية حقوق الله، ولا تنال مرضاة الله إلا بتأدية تلك الحقوق.

ومن أهم الحقوق التي أثبتها الشارع لكل الناس، ليصرف عنهم شبح الفقر، حق العمل وحق الحرية وحق الحياة الكريمة. فالاسلام أعطى كل فرد في مجتمعة حق العمل و حق الحرية، وأتاح له الظروف المساعدة ليعمل و يحقق كامل قدراته ومواهبه، وذلك سعياً للاعتماد على نفسه في إقامة الحياة اللائقة به. فانْ هو بعد ذلك قصّر عن تحقيق ذلك كفله بالضمان الاجتماعي الذي يؤمّن له الحد الاساسي من الحياة الكريمة.[١٦]

* ـ وردت هذه الرسالة في تحف العقول ص ١٨٤

** ـ غررالحكم ص ١٦٥

حُرمة المسلم:

وتنطلق حرمة المسلم مجرداً عن كفاءاته وماديّاته، من حرمة الله تعالى الذي خلقه وكرّمه. فالمسلم هو خليفة الله في الأرض،[١٧] ومنه يستمدّ عزّته وكرامته.[١٨]

يقول سبحانه: «ولله العزّةُ ولرسوله وللمؤمنين» (المنافقون ٨).

و يقول النبي(ص): «المسلم أخو المسلم، لايخونه ولايكذبه ولايخذله. كل المسلم على المسلم حرام، عِرضه وماله ودمه. التقوى ههنا. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».

الساعي في حاجة أخيه المسلم:

وقد ذكرنا في الفصل الاول كيف أن الله سبحانه امتحن الناس بعضهم ببعض، اذ بسط الرزق لبعضهم وقدّره على بعضهم. ومن هنا كان سعي المؤمن في خدمة أخيه المؤمن من أعظم الفضائل لابل الواجبات. لأن المؤمن يتخذ قيمته من الله، فاكرامه هو إكرام لله، واعطاؤه هو إعطاء لله. يقول جل من قائل:

«من ذا الذي يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرةً، واللهُ يقبض و يبسط واليه تُرجعون» (البقرة ٢٤٧).

فاقراض الفقير هو بمنزلة إقراض الله تعالى.

وقد وردت الاحاديث الكثيرة في فضل قضاء حوائج المؤمن.

يقول النبي(ص): «المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولايُسلمه. من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته»

و يقول (ص): «مَنْ نَفَّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا، نَفَّس اللهُ عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

و يقول الامام الصادق (ع) لابن جُندب: «يابن جُندب، الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشحّط بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد، وماعذّب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم».

وقد اعتبر الاسلام اعطاء الفقير خير ذخر للانسان يجده يوم القيامة، فكأن الفقير حين نعطيه شيئاً يحمل لنا ذاك العطاء الى يوم القيامة حيث نحتاج اليه.

وما أجمل قول الامام علي(ع) في ذلك ، في وصيته لابنه الحسن(ع): «واذا وجدتَ من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة، فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه، فاغتنمه وحَمّلْه إياه، وأكثرْ من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلاتجده. واغتنم مَن استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم عُسرتك». (الكتاب ٢٧٠ نهج).

إتباع تعاليم الاسلام يضمن انعدام الفقر:

ذكرنا في الفصل الثاني أن من الاسباب التي تورث الفقر، ارتكاب المعاصي والفواحش وأكل المال الحرام ومنع الحقوق، و بكلمة عامة عدم اطاعة الله تعالى.

فعلاج الفقر كامن في طاعة الله تعالى و تمثل أوامره و تطبيق تعاليمه، فان ذلك يضمن انعدام الفقر في المجتمع.

يقول الامام علي(ع):

«أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لواقتبستم العلم من معدنه، وادخرتم الخير من موضعه، واخذتم الطريق من وَضْحه، وسلكتم الحق من نهجه، لابتهجتْ بكم السُّبُل، وبدتْ لكم الاعلام، وأضاء لكم الاسلام، وما عال فيكم عائل، ولاظُلم منكم مسلم ولامُعاهد»*

علاج الفقر من الناحية الاقتصادية:

يتخذ علاج الفقر في الاسلام سبيلين متميزين، هما:

العلاج الفردي ـ والعلاج الاجتماعي.

أولا ـ العلاج الفردي للفقر:

ينتج من كل ماسبق أن علاج الفقر في الاسلام ينبثق من داخل النفس، لأن المجتمع الصالح لايقوم إلا اذاكان كل فرد فيه قد أدرك مبادئ الاسلام، وترى على قِيمه وآمن بغاياته.

وان معرفة المبدأ الالهي وتمثله في الذات والافعال، هو كمال العقل. لان ذلك يوصل الى مرضاة الله والجنة: العقل ما اكتسب به الجنة

* ـ مستدرک نهج البلاغة تأليف الشيخ الهادي كاشف الغطاء ص ٣١

ولذلك قال الامام موسى الكاظم (ع) لهشام بن الحكم قوله الرائع: «ياهشام، من أراد الغنى بلامال، وراحة القلب من الحسد، والسلامة في الدين، فليتضرعْ الى الله في مسألته بأن يُكمل عقله، فمن عقل قنع بمايكفيه، ومن قنع بمايكفيه استغنى، ومن لم يقنع بمايكفيه لم يدرك الغنى أبدا».

فمن العبث أن يقوم مجتمع متوازن يشعر فيه كل فرد بوحدته مع غيره في الحقوق والواجبات، اذاكان كل واحد يسعى الى الجشع والحرص والتكالب على الدنيا، كالبهيمة المربوطة همها علفها. لذلك روضّ الاسلام الذات الانسانية على الزهد بمتع الحياة وماديات الدنيا، وعلى السعي الى المعارف الروحية والمرضاة الالهية. فبقدر مايرتفع المرء عن الحاجات البهيمية يصبح إنساناً.

الحض على الزهد في المال والتحرر من سيطرته:

من هنا حض الشارع على الزهد. يقول النبي(ص): «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب».

لأن المادة والشهوات غالبا ماتصد عن المعاني الروحية الالهية. يقول تعالى «قد أفلحَ مَنْ زكّاها* وقد خاب من دسّاها» (الشمس ١٠).

و الزاهد الذي تحرر من علائق المادة والتراب هو أقرب مايكون من الله، و بذلك تصبح قيمته عندالله أعظم من غيره، وان كانت ملابسه الخارجية رثّة خَلِقة، فان الله ينظر الى القلب النظيف وليس الى الرداء النظيف.

يقول النبي(ص): «ياأباذر، ألا أخبرك بأهل الجنة؟ قلت: بلى يارسول الله. قال: كل أشعثَ أغبر ذي طمرين لايُؤبَه به، لوأقسم على الله لأبرّه».

ولو تفحصنا نهج البلاغة لوجدنا نسبة كبيرة منه (نحو ١٠٪) تتكلم في الزهد و ذم الدنيا. وقدكان الامام علي(ع) أول الزاهدين والمطلّقين للدنيا. حتى أنه رضي من الدنيا باليسير، فكان طُعمه قرصين من الشعير، ولبسه طِمرين باليين. حتى أثر عنه أنه قال: «لقد رقعتُ مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها». واذاكانت قيمة الانسان بمقدار تحرره من الدنيا وقربه من الله، فلقد كان الامام(ع) من أقرب الناس الى الله وأحقهم بالقدسية والشأن.

وفي ذلك يقول الشاعر اقبال:

فقيرٌ على طمريه نفحةُ حيدرِ أعزُّلنا من ألفِ كسرى وقيصر

ومن هذا المنطلق قال تعالى في سورة الواقعة:

«إذا وقعتِ الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضةٌ رافعة»

فوصف القيامة بأنها تضع الموازين القسط لحقائق الناس، فترفع من كان في نظر الناس حقيراً لايؤبه به، وتخفض من كان في نظر الناس عظيماً كالملوك والجبابرة.

قيمة الانسان بالعطاء وليس بالتملك:

وبما أن التحرر من المادة يدفع الانسان الى الجود والعطاء، فان قيمة الانسان في نظر الاسلام[١٩] تأتي من مقدار عطائه و بذله ومساعدته للآخرين، لامن مقدار مايملك من مال أوعلم أو قوة. فاذا هو لم يبذل للناس مافي وسعه فلا قيمة له، ولاقيمة لامكانياته. كالغني الذي يَضِنّ بماله، والعالم الذي لاينشر علمه، والقوي الذي لايستعمل عضلاته.

فاذا شبّهنا الانسان بالشجرة، فان عطاءه لغيره هو ثمرة تلك الشجرة، فاذا كانت الشجرة لا تثمر فليس مآلها غيرالقلع والكسر والحرق.

وفي هذا المعنى قال أمير الفصاحة والبيان(ع) كلمته المأثورة: «قيمة كل امرئ مايُحسنه»[٢٠].

من هذا المنطلق حرّم الشارع كنز الأموال،[٢١] لأن صاحبها لايقدّم أية خدمة لمجتمعه. كما حرّم الربا لأن صاحبه يأخذ ولايعطي.

تسخير قدرات الفرد للجماعة (إثبات الذات ونفي الذات):

يؤكد الفيلسوف الكبير الدكتور محمداقبال على فكرة «اثبات الذات (خودى)»، وذلك بفسح المجال أمام الفرد لتنمية كافة مواهبه وقدراته تنميةً تجعله قوياً معطاء. وبعد هذه المرحلة تأتي فكرة «نفي الذات (بي خودى)» وهي تعني أن تذوب إرادة الفرد في خدمة المجتمع. فالمسلم لايقول (أنا) بقدر مايقول (نحن). وماتنمية ذاته الا لخدمة المجتمع. فنكون بذلك قد حفظنا حرية الفرد وحق المجتمع في آن واحد.

وان التداخل بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع قائم بشكل مطرد، فكلما أنتج الفرد اغتنى المجتمع، وكلما اغتنى المجتمع غني الفرد.

التأثير المتبادل بين الفرد والمجتمع (وحدة المجتمع):

ومن أبرز سمات المجتمع هي وحدته التامة، فهو كالكون المتماسك اذا اختل منه جزء انتقض كامل نظامه، أو كالجسد الواحد اذا تعطل منه عضو ظهر تأثيره في بقية أجزائه.

يقول النبي(ص): «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، اذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

ومن هذا المنطلق التكاملي نجد أن القرآن يعتبر اساءة الانسان لغيره إساءه لنفسه، وقتلَ المرء لاخيه هو قتلاً لذاته.

يقول تعالى: «ولا تَلْمِزوا أنفسكم» (الحجرات ١١)

و يقول: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم. ولا تقتلوا أنفسكم. إنَّ اللّه كان بكم رحيما» (النساء ٢٩). أي لايقتل بعضكم بعضا. ولوكان المقصود بذلك أن لايقتل المرء نفسه لجاءت الآية بصيغة المفرد وليس الجمع.[٢٢]

ومن منطلق وحدة المجتمع اعتبر القرآن أنّ من يقتل شخصاً فكانما قتل المجتمع كله. يقول تعالى:

«من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الارض، فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً، ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً» (المائدة ٣٢)

لذلك اعتبر ضرورة القصاص للجاني لأنه يقتل المجتمع بفعله، واعتبر زواله حياةً للمجتمع. يقول جل من قائل:

«ولكمْ في القِصاصِ حياةٌ ياأولي الالباب، لعلكم تتقون» (سورة البقره ١٧٩)

مبدأ حرية الفرد في الكسب والتملك

الاسلام يساير الفطرة ويحاول تشجيعها والاستفادة منها، وكل نظام يعاكس الفطرة فاشل لامحالة، مهما أقام على الافراد ستاراً حديديا. والاسلام بعد أن عالج الفقر وأمَّنَ الحياة العزيزة الكريمة لكل إنسان في مجتمعه، لم يجد ضيراً من أن يعمل كل انسان بحرية تامة، باذلاً كل امكانياته للكسب والانتاج، لابل انه يرى أن ذلك من

أنجع الامور، لأنه يعود بالفائدة على الفقير والمحروم و يدعم رفاه المجتمع. فكلما عمل القادرون زادت نسبة تأمين الضعفاء والمحتاجين... ومادام الحد الضروري من الحياة مُؤمّناً لكل فرد، فأية فائدة نجنيها اذا حرمنا الافراد من طموحهم وكبتنا من حرياتهم، سوى حرمان المجتمع من طاقات أبنائه؟!.

ان الاسلام لايمنع تقدم الافراد فوق المستوى الانساني الذي وفّره لهم، لابل يريد من الجميع العمل والطموح والارتقاء، لأن من هدفه إغناء وتمليك كل فرد، بينما تسعى المبادئ الشيوعية الى إفقار كل فرد وسلبه حقوقه. وشتان بين نظام يرفع الجميع الى الغنى، ونظام يُدني الجميع من الفقر.

و بعدأن زود الاسلام جميع أفراده بالمبادئ الاخلاقية وشحنهم بالمثل الاعتقادية التي تجعل الانسان أخا الانسان، يكفله و يواسيه ولايخذله، وضع التشريعات الضرورية لمن ينحرف عن أهدافه ومعانيه، فحرّم الاستغلال والاحتكار وتبديد المال وإساءة استخدامه.

تحديد سلطة المالك على الانتفاع بماله:

في الاسلام تحديدات متعددة لسيطرة المالك على التصرف في ماله، كمنعه من الاكتساب بالربا، ومنعه من الإضرار بالجماعة عن طريق استخدام ماله بشكل يضر بالاخرين، انطلاقاً من القاعدة الشرعية: «لاضرر ولاضرار» لأن الانسان في النظرة الاسلامية مُوَكّل بالمال ليستخدمه لخدمة الجماعة واقامة المجتمع العادل. وان تصرف المالك في ماله بشكل يؤدي الى الاضرار بالأخرين يمكن أن يكون أحدنوعين:

الاول : إضرار مباشر، كأن يسرق أو يغتصب أو يتلف مال غيره.

الثاني: إضرار غير مباشر، وهو مايحصل في المجتمعات الرأسمالية التي لا تضع حداً لجشع الانسان، بل تسمح له أن يستغل أمواله كيف يشاء مالم يسلب الاخرين حريتهم الشكلية.

فاذا قام أحدهم بمشروع رأسمالي كبير، فانه يستطيع بواسطته أن يُدَمّر المشاريع الصغيرة. وذلك دون أن يسلب أصحاب المشاريع الصغيرة شيئاً من بضاعتهم التي يملكونها فعلا، وانما بأن يضطرهم الى تصريفها بأرخص الأثمان، فينسحبون من الميدان و يعجزون عن مواصلة العمل.

وفي كل حالة يسيء المرء استخدام أمواله، يفرض الاسلام عليه الحجر،[٢٣] أي ينزع منه حق التصرف بماله، و يعين له وكيلاً قادراً على استخدام المال بالطرق الشرعية، لينمّي له المال لصالحه.

ثانياً ـ العلاج الاجتماعي للفقر:

وهو يتناول دورالمجتمع والدولة في علاج الفقر، وذلك طبقاً للأسس التي رسمها الاسلام في العلاقات بين الافراد، ومنها التعامل بين العامل وصاحب المال. وقد ابتنيت هذه الاسس على مبدأ جليل هو أن «لاكسب بلاعمل».[٢٤]

وسنجد أن الاسلام حاول استخدام كل الوسائل لرفع سوية المجتمع المادية (تنمية الانتاج)، ثم حاول النهوض بمستوى المحرومين والعاجزين بماشرّع لهم من حقوق في العمل والحياة الكريمة (الضمان الاجتماعي). ثم حاول ازالة الفوارق الكبيرة بين طبقات الشعب (التوازن الاجتماعي). وكل هذه الوسائل من شأنها ازالة الفقر والنهوض بالمحرومين ليلحقوا بسوية الناس.

(١) ـ طريقة المعاملة بين العامل وصاحب المال: *

سمح التشريع الاسلامي للعامل بأسلوبين لتحديد المكافأة التي يستحقها، وترك للعامل الحق في اختيار أيهما شاء، وفق مصلحته وتقديره... وهما: أسلوب الأجرة، وأسلوب المشاركة في الارباح أو الناتج. فمن حق العامل ان يطلب مالاً محدداً مكافأة له على عمله، كما يحق له ان يطالب باشراكه في الربح أو الناتج.

وسنشرح ذلك فيما يلي:

١ـ أسلوب الأجرة: يمتاز هذا الاسلوب بعنصر الضمان، فالعامل اذا قنع بأن يكافأ بقدر محدد من المال لقاء عمله، وهو مانسميه الاجرة، كان على صاحب العمل دفع هذا القدر المحدد له، بقطع النظر عن نتائج العمل وماقد يُسفر عنه الانتاج من مكاسب أو خسائر.

٢ـ أسلوب المشاركة: وهو أن يقترح العامل على صاحب العمل أن يشاركه في

* ـ اقتصادنا للشهيد السيدمحمدباقر الصدرج ٢ ص ٥٤١

الناتج والارباح بنسبة مئوية، بأمل الحصول على مكافأة أكبر، و بذلك يربط العامل مصيره بالعملية التي يمارسها، و يفقد عنصر الضمان، اذ من المحتمل أن لايحصل على شئ اذالم يوجد ربح.

ولكل من الاسلوبين ميزته الخاصة.

وقد نظم الاسلام الاسلوب الاول(الأجرة) بتشريع أحكام الإجارة. كما نظم الاسلوب الثاني (المشاركة في الربح أو الناتج) بتشريع أحكام مختلفة، منها:

١ـ عقد المزارعة: وفيه يتفق العامل مع صاحب الارض والبذر على استخدام الارض في زراعة ذلك البذر، ومقاسمة الناتج بينهما.

٢ـ عقد المساقاة: وفيه يتعهد العامل بسقي الارض في مقابل منحه نسبة مئوية في الثمرة.

٣ـ عقد المضاربة: وفيه يَتّجِر العامل لصاحب المال بماله على أن يقاسمه أرباح تلك التجارة.

٤ـ عقدالجُعالة: وفيه يعلن تاجر الاخشاب مثلاً استعداده لمنح أي شخص يصنع له سريراً من تلك الاخشاب، نصف قيمة السرير.

وفي كلا الاسلوبين السابقين لتحديد مكافأة العامل لايجوز لصاحب المال أن يضع على العامل شيئاً من الخسارة، بل يتحمل صاحب المال الخسارة كلها ان حصلت، وحسب العامل من الخسارة أن تضيع جهوده سدى.

والقاعدة الاساسية لمكافأة العامل أن يكون قد بذل جهداً مافي عملية الانتاج، وإلاّ لاتجوز له أية مكافأة.

والقاعدة العامة في نظرية الاقتصاد الاسلامي أنه لايسمح لأي فرد بأن يضمن لنفسه كسبا بدون عمل، لأن العمل هو المبرر الاساسي للكسب في النظرية.[٢٥]

ومن أمثلة المدلول السلبي لهذه القاعدة منع المستأجر للدار أو الارض أو أية أداة انتاج عن إيجارها بأجرة أكبر مما كلفه استئجارها مالم ينفق عليها عملا يستحق الزيادة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً منع الأجير عن استئجارغيره للقيام بالمهمة التي استؤجر عليها بأجرة أقل ممَّاحصل عليه[٢٦]. فحصوله على الفرق بين الأجرتين يكون حراماً لأنّه لايقابل عملاً.

وأحد تلك الامثلة هو: الربا.

الربا وسبب تحريمه :*

الربا في القرض حرام في الاسلام، وهو أن تقرض غيرك مالاً الى موعد بفائدة يدفعها المدين عند تسليم المال في الموعد المتفق عليه. فلايجوز القرض إلاّ مجرداً عن الفائدة، وليس للدائن الا استرجاع ماله الاصلي دون زيادة، مهما كانت الزيادة ضئيلة.

وهذا الحكم يعتبر في درجة وضوحه اسلامياً، في مَصافّ الضروريات من التشريع الاسلامي.

والفائدة تعتبر في العرف الرأسمالي الذي يسمح بها، أجرة رأس المال النقدي الذي يُسْلفه الرأسماليون للمشاريع التجارية وغيرها، لقاء أجر سنوي يحدد بنسبة مئوية من المال المُسْلَف، و يطلق على هذا الاجر اسم الفائدة. وهم لايرون أي فرق بين تلك الاجرة على المال و بين الاجرة التي تحصل نتيجة ايجار العقارات وأدوات الانتاج.

لكن الاسلام يجد فرقاً اساسياً بين الحالين وفق نظريته التي سبق شرحها. فوسيلة الانتاج (الالة مثلاً) التي يؤجرها صاحبها هي عمل مختزن، يشترك في الانتاج، وهي كالعامل الذي يبذل طاقته، و يكون ذلك بتآكلها وخضوعها للكسر والعطب، فتخرج بعد الانتاج غيرها قبل الانتاج، وهو مانسميه (الاستهلاك)، ولذلك وجب لها الأجر. أما المال الذي يدخل في الانتاج على أساس الفائدة، فهو يبقى نفسه بعدالانتاج وقبله، فعلام يستحق الفائدة؟ والقاعدة أن لاأجربلاعمل!.[٢٧]

وبما أن أموال المرابين غيرمعرضة للنقص بحال من الاحوال، نجد أن أموالهم تتضخم باستمرار بدون أن يقوموا بأي عمل، وذلك على حساب جهد الاخرين.

وهذا من أكبر عوامل الفقر، لأنه ينمّي طبقة المتمولين العاطلين عن العمل، في حين يُفقر طبقة العاملين الكادحين الذين أغلبهم من الفقراء. فهو من أكبر عوامل زيادة التباين في المجتمع.

وقدسمح الشارع بأسلوب المشاركةفي الناتج على أساس الارض في عقدالمزارعة

* ـ اقتصادنا للشهيد الصدرج ٢ ص ٥٣٢

والمساقاة، وعلى اساس المال التجاري في عقدالمضاربة، وعلى أساس الماده الاولية في عقدالجعالة، ولكنه لم يسمح بالمشاركةفي الناتج في أدوات الانتاج.

فاذا قدّم صاحب رأس المال الالة ليعمل بها العامل، لم يَجُزْ لصاحب الالة أن يشارك العامل في نسبة الربح والانتاج، بل يأخذ أجرة على الآلة تناسب مايستهلك منها.

وعليه فان بعض الاشياء أجاز الشارع لها الاجرة فقط، مثل البيت والارض والالة. في حين جعل لبعضها الاخر حقاً في نسبة الانتاج، مثل المال التجاري، والارض مع البذر، والمادة الاولية كالصوف والخشب وخلافه. فما الفرق بين الحالين؟

انَّ البيت والارض وأدوات الانتاج هي عمل مخزون ولكنه لايتضمن مشاركة فعلية من صاحبه في عملية الانتاج، فهو واسطة فقط للانتاج، و يستحق الاجرة فقط. أما المال التجاري والبذر مع الارض والمادة الاولية، فهي ممارسة مباشرة لمالكها في عملية الانتاج.[٢٨]

ففي المفهوم الاسلامي يكون الفرق في القيمة بين المادة الاولية قبل تصنيعها و بعد تصنيعها هو من حق مالكالمادة الاولية ومن حق العامل، وليس من حق الالة التي حولته.[٢٩] ففي عقد الجعالة يكون الناتج من حقّ صاحب المادة والأجير الصانع.[٣٠] أمّا الآلة فلها حق الأجرة[٣١] فقط وليست لها نسبة من الربح.

وكذا الامر في عقد المزارعة، فالارض التي بذلها صاحبها مع البذر، يكون له حق في الناتج فتكون له نسبة من الثمر، لأن عملية الزراعة ماهي إلاّ إنماء للبذرة التي هي ملك لصاحب الارض.

وأما في عقد المضاربة، فان صاحب المال يبذل ماله للعامل، فيشتري العامل البضاعة من ذلك المال، فتكون ملكاً لصاحب المال،[٣٢] وماعمل العامل إلاّ الاتّجار بتلك البضاعة، فلصاحب المال حق في الربح.

وفي كل هذه الاحوال نجد أن الاسلام يعطي الافضلية للعامل على وسائل الانتاج، اذ يحق له أن يأخذ نسبة مفتوحة من الانتاج، بخلاف الالة التي تأخذ فقط أجرة محدودة.

و بناء على القاعدة الأساسية في أنَّ الأجر والربح هو مقابل الجهد والعمل،[٣٣] حرّم الاسلام أنواعاً كثيرة من الموارد التي لاتخضع لهذا القانون، فحرّم الربا والقمار واليانصيب وغيرها.

(٢) - تنمية الانتاج

ونـنتقل الان الى الحديث عن: تنمية الانتاج، وهي من أهم عوامل مكافحة الفقر في المجتمع الاسلامي.

الحض على العمل والانتاج:

خـلـق الله سـبـحـانـه الانـسـان و كـرّمـه على كـثير من المخلوقات، اذ وهبه القدرة والارادة والتميز، ليكون خليفته في الأرض،[٣٤] وخلق كلّ مافي الكون من أجل خدمته وسعادته.

مـن هـذا المنطلق العظيم يشعر المؤمن بقيمته وعظمته وسر وجوده وغايته، وأن كل ماهو موجود في الطبيعة خُلق من أجله، فمن واجبه أن ينهض للقيام بمسؤوليته، فيغور في بحار العلم، و يُخضع جميع الطاقات لمشيئته، و يكافح لتحقيق رسالته.

من هنا نجد أن الاسلام قد حرص على العمل وتنمية الانتاج، وفرض على المجتمع الاسـلامـي الـسير وفـقـاً له، وجعل تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة الى أقصى حد، هدفاً للمجتمع.[٣٥]

يقول النبي(ص): «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من عمل يده».

وسائل الاسلام في تنمية الانتاج*

والاسلام حين تبنّي مـبدأ تنمية الثروة والانتاج، جنّد كل امكاناته لتحقيق هذا الهدف، وايجاد الوسائل التي يتوقف عليها.

و وسائل تحقيق هذا الهدف على نوعين: وسائل يجب على المجتمع ايجادها وضمانها.

و وسـائـل تـطـبـيـقـيـة تجب على الدولة، برسم سياسة تخطيطية متكاملة، توجه نشاط المجتمع وتكمله.

وسنتكلم عن هذه الوسائل من الناحية الفكرية والناحية التشريعية.

* - اقتصادنا ج ٢ ص ٥٧٣

١ـ الوسائل الفكرية:

فمن الناحية الفكرية حث الاسلام على العمل والانتاج، وقيّمه بقيمة كبيرة، وربط به كرامة الانسان وشأنه عندالله. و بذلك خلق الأرضية الفكرية الصالحةلدفع الانتاج وتنمية الثروة. وقد أعطى مقاييس خلقية عن العمل والبطالة، أصبح العمل بمقتضاها عبادة يثاب عليها المرء، وأصبح العامل في سبيل قُوته أفضل عندالله من المتعبد الذي لايعمل.

ففي الحديث أن الامام الصادق(ع) سأل عن رجل، فقيل له: «أصابته الحاجة، وهو في البيت يعبد ربه، واخوانه يقومون بمعيشته.»

فقال (ع): «الذي يقوته أشدّ عبادة منه».

وعن الرسول (ص) أنه رَفَعَ يوما يَدَ عامل مكدود، فَقَبّلها وقال:

«طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة. ومن أكل من كدّ يده مرّ على الصراط كالبرق الخاطف. ومن أكل من كدّ يده نظر الله اليه بالرحمة ثم لايعذبه أبدا. ومن أكل من كدّ يده حلالاً فتح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء».

وفي رواية اخرى أن شخصا مرّ بالامام الباقر(ع) وهو يمارس العمل في أرض له، ويجهد في ذلك حتى يتصابَّ عَرَقاً، فقال له: أصلحك الله أرأيت لوجاء أَجَلُك وأنت على هذه الحالة! فأجابه الامام(ع) وهو يعبر عن مفهوم العمل في الاسلام: «لوجاءني الموت وانا على هذه الحال، جاءني وانا في طاعة الله عزوجل».

وكان رسول الله(ص) كما جاء في سيرته الشريفة يسأل عن الرجل اذا أعجبه مظهره، فان قيل له ليست له حِرفة ولاعمل يمارسه، سقط من عينه، و يقول: «إنّ المؤمن إذا لم تكن له حِرفة يعيش بدينه».

وعن النبي (ص) قال: «ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرسا، فيأكل منه الانسان أو دابته إلا وكتب له به صدقة».

وقد أهاب سبحانه بالانسان الى استثمار مختلف المجالات فقال: «هوالذي جعل لكمُ الارض ذلولا، فامشوا في مناكبها وكُلوا من رزقه، وإليه النُّشور» (الملك ١٥)

وكما قاوم الاسلام فكرة البطالة وحث على العمل، كذلك قاوم فكرة تعطيل بعض الثروات الطبيعية وفكرة تجميد الاموال وكنزها.

٢- الوسائل التشريعية:

أما من الناحية التشريعية، فقدجاءت تشريعات الاسلام في كثير من الحقول، تتفق مع مبدأ تنمية الانتاج الذى يؤمن به الاقتصاد الاسلامي، وتساعد على تطبيقه.

وفيما يلى بعض تلك التشريعات والاحكام:

١ ــ منع الاسلام من كنز النقود وتجميدها،[٣٦] وذلك عن طريق فرض ضريبة على مايُكنز من القطع النقدية الذهبية والفضية، التي كانت الدولة الاسلامية تجري على أساسها، وهي ضريبة الزكاة التي تستنفد المال المدخر على مرّ الزمن، لأنّها تتكرر كل عام، بنسبة ٢/٥٪ تقريباً. ولأجل هذا تعتبر الزكاة مصادرة تدريجية للمال الذي يكنز و يوقف عن العمل.[٣٧]

يقول تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولايُنفقونها في سبيلِ اللهِ، فَبَشِّرهم بعذابٍ أليم» (التوبة ٣٤) [٣٨]

و بالقضاء على الاكتناز تتدفق جميع الاموال الى حقول النشاط الاقتصادي، وتمارس دوراً إيجابياً في المسيرة الاقتصادية، و بذلك يزيد الانتاج وتزيد الارباح و يعيش الناس في بحبوحة من العيش.

عن الامام الصادق(ع): «إنَّ اللّه إنَّما أعطاكم هذه الفضول من الاموال، لتوجهوها حيث وجهها الله، ولم يعطِكُموها لتكنزوها».

٢- منع تركز الثروة في يد أفراد معدودين، وهو فحوى قوله تعالى:

«كي لايكونَ دولةً بَين الاغنياء مِنكم» (الحشر - ٧)

لأن الثروة حين تتركز في أيد قليلة، يعم البؤس وتشتد الحاجة لدى الكثرة الكاثرة من الناس.

٣- وضع الاسلام تشريعات الضمان الاجتماعي للفرد، وهذا الضمان الجماعي عدا عن إعطائه الفرد الحق في حياة كريمة لائقة، فانه يعطي الفرد رصيداً نفسياً يدفعه الى مختلف ميادين الانتاج دون أن يخاف من الخسارة والاخفاق، و ينمي فيه عنصر الابداع والابتكار.[٣٩]

٤ـ لم يعط الاسلام الضمان السابق لمن لايعمل وهو قادر على العمل، ومنع الناس من الاستجداء. وهذا يؤدي بطبيعته الى تجنيد كل طاقاتهم للانتاج والاستثمار.

٥ ـ حرَّم الاسلام الاسراف لما يرافقه من تبذير في الحاجات الاستهلاكية وهدر للأموال التي يلزم توظيفها للحركة الانتاجية.

ويمكن أن نتكلم في هذا الصدد حول عمل المرأة في الوظائف، وهو مما استهوته عقول النساء في هذا الزمان، انجرافاً وراء تقليد الاجانب. فقد خلق عمل المرأة اليوم في مجتمعاتنا معضلة كبيرة لم تكن قائمة من قبل. وذلك أن كثيراً من النساء يذهبن الى الوظيفة للتسلية والثرثرة وليس للعمل، ثم يأخذن المرتبات التي تصرف على آخر الازياء والموضات في اللباس والزينة، فنشأ عن ذلك أن العمل المنتج لم يزدد، في حين انخفضت القيمة الشرائية لمرتبات الرجال. فأصبحت المرأة تقاسم الرجل نصف حقه، وتُبَذّره في شتى الاساليب. فكان من نتيجة ذلك أن افتقرت اغلب العائلات ولاسيما ذات العدد الكبير من الاولاد. وأصبح الرجل يضطر الى ممارسة عملين حتى يغطي نفقات أسرته.

ومما يزيد هذه المعضلة وطأة أن تعمل في هذه الظروف المرأة المكتفية التى لاتحتاج الى دخل، وهذه غالباً ماتنفق كامل معاشها على المظاهر الفارغة.

ومما يؤكد هذا التبذير الذي ترتكبه نساؤنا في الاهتمام الزائد بالالبسة والكماليات، أن الأوروبيين بعد أن أجروا إحصاءً على استهلاك منتجاتهم في كافة بلاد العالم، كتبوا على خارطة الشرق الاوسط: «منطقة مبيعات الزينة والكماليات».

٦ـ أوجب الاسلام فرض كفاية تعلم جميع العلوم والفنون والصناعات التي يحتاجها المجتمع الاسلامي. وشجّع على اكتساب تلك العلوم التي غالباً[٤٠] مايُبدع فيها الفقراء الذين يعتمدون على انفسهم في بناء حياتهم.

٧ـ أعطى الاسلام الحق لمن يستصلح ارضاً للدولة أن تصبح ملكا له. فمن عمل في أرض، وأنفق عليها جهداً حتى أحياها، فهو أحق بها من غيره. وذلك من مبدأ تشجيع العمل وزيادة الانتاج وتفضيل العامل الكادح على غيره. وتكون الاولوية في اعطاء تلك الاراضي للفقراء والمحتاجين، حتى لايستأثر الاغنياء بمساحات كبيرة ويحرموا غيرهم من هذا الحق.

٨ـ سمح الاسلام للدولة باستثمار أموال بيت المال لصالح المحتاجين، كما أن هذا الاستثمار يتيح فرص العمل لكل فقير قادر على العمل.

٩- أعطى الاسلام الدولة الحق في الاشراف على الانتاج، وتخطيطه مركزيا، حتى يسير على نهج منتظم تكاملي، بعيداً عن الفوضى والتخبط.

كفاية الموارد الطبيعية لكل الناس:

ان الاسلام يرى أن الفقر والجوع ليس منشؤهما نُدرة موارد الانتاج و بخل الطبيعة، انما منشؤهما الانسان نفسه. يقول تعالى:

«اللّهُ الذي خلق السموات والارض، وأنزل من السماء ماء فأخرجَ به من الثمراتِ رزقاً لكم، وَسَخّرَ لكُم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخّرلكُم الأنهار وَسَخّرلكُم الشمسَ والقمردائبين، وَسَخّرلكم الليل والنهار، وآتاكم من كلّ ماسألتموه، وإنْ تَعُدُّوا نِعمة اللّهِ لا تُحصوها. إنَّ الانسانَ لَظلومٌ كفّار» (ابراهيم - ٣٢).

انَّ هذه الايات الكريمة بعد أن استعرضت مصادر الثروة التي أنعم الله تعالى بها على الانسان، أكدت أنها كافية لاشباع الانسان وتحقيق كل حاجاته (وآتاكم من كلّ ماسألتموه). فالمشكلة الواقعية لم تنشأ من بخل الطبيعة، أو عجزها عن تلبية حاجات الانسان، وانما نشأت من الانسان نفسه عندما يكفر و يشذ عن النظام الالهي العادل (إنَّ الانسان لظلومٌ كفّار). فظلم الانسان في توزيع الثروة وكفرانه للنعمة بعدم استغلال جميع المصادر التي تَفَضّل اللّهُ بها عليه، هما السببان المزدوجان للمشكلة التي يعيشها البائس منذ أقدم عصور التاريخ.

وهذا يعني أنه لايستطيع أن يَحُلّ مشكلة الفقر غيرُ مبادئ الدين القائمة على الاخلاق والقيم والمبادئ الروحية.

(٣)- مسؤولية الدولة في الاقتصاد الاسلامي:

وتتجلى هذه المسؤولية في مبدأين أساسيين هما:
١- الضمان الاجتماعي. ٢- التوازن الاجتماعي.

١) - الضمان الاجتماعي:

فرض الاسلام على الدولة ضمان معيشة أفراد المجتمع الاسلامي ضمانا كاملا. والدولة تقوم بهذه المهمة عادة وفق اتجاهين:

ـ تأمين وسائل العمل للفرد، وفرصة المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر، ليعيش على أساس عمله وجهده.

ـ مبدأ الضمان: فاذا كان الفرد عاجزاً عن العمل وكسب معيشته بنفسه كسباً كاملا، فان الدولة تضمن له المال اللازم لسد حاجته وتوفير حدٍّ كاف من المعيشة له.

ومبدأ الضمان الاجتماعي هذا يرتكز على مبدأين:

مبدأ التكافل العام، و مبدأ حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

فأما مبدأ التكافل العام فيقتضي اشباع الحاجات الحياتية والملحة للفرد، بينما يزيد المبدأ الثاني من ذلك ، و يفرض اشباعاً اوسع ومستوى أرفع في الحياة.

١ـ مبدأ حق الجماعة في موارد الثروة:

ينطلق هذا الحق لكل فرد في المجتمع من حق الجماعة في مصادر الثروة[٤١] وفي الاستفادة من ثروات الطبيعة. وعلى أساس هذا الحق تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين.

وتغطي الدولة نفقات هذا الضمان مما يردها من الثروات والانتاج (بيت المال)، فمن ذلك الزكاة والخمس والانفال والفيء والخراج والجزية والكفارات، اضافة الى تنمية موارد الدولة العامة وملكية الدولة.

يقول تعالى «**وما أفاء اللهُ على رسولِهِ من أهلِ القرى، فللهِ وللرسولِ ولذي القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيل، كي لايكونَ دولةً بين الاغنياء مِنكم**» (الحشر ـ ٧).

والفيء هو مايأخذه المسلمون من الكفار بدون قتال، فهو ليس من حق المقاتلين وانما يوزع على اليتامى والمساكين.

وفي هذا النص القرآني نجد الأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان، وهو حق الجماعة كلها في الثروة، وذلك حتى يصبح المال متداولاً وموجوداً لدى جميع أفراد المجتمع، ولايكون دولة بين الاغنياء خاصة «**كي لايكونَ دولةً بين الاغنياء مِنكم**»

جاء في عهدالامام علي(ع) الى مالك الاشتر:

«ثم اللّهَ اللّهَ في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزَّمنى، فان في هذه الطبقة قانعا (الفقير الذي يقنع) ومُعتراً (الفقير الذي يسأل ولايقنع). واحفظ لله ماستحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قِسماً من بيت

مالك ، وقِسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد. فان للأقصى منهم مثل الذى للأدنى، وكلٌّ قد استُرعيت حقه، فلايشغلنك عنهم بَطر، فانك لا تُعذر بتضييعك التافه، لأحكامِك الكثيرالمهم، فلا تُشخِصْ همّك عَنْهم، ولا تصعِّر خدَّك لَهُمْ. وتفقَّد امورمنْ لايصل اليك منهم، ممّنْ لا تقتحمِهُ العُيُون (اي تستصغر العيون شأنه) وتحقره الرجال، ففرّغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالأعذار الىٰ اللّه يوم تلقاه، فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم. و كلٌّ فأعذر الى اللّه في تأدية حقه اليه. و تعهد أهل اليُتم و ذوي الرقة في السن ممن لاحيلة له ولا يَنصِبُ للمسألة نفسه».

فهذا النص يقرر بكل وضوح مبدأ الضمان الاجتماعي، و يشرح المسؤولية المباشرة للدولة في إعانة الفرد وتوفير حد الكفاية له.

ولايقتصر هذا الضمان على الافراد المسلمين، بل يمتد الى الرعايا المسيحيين واليهود من أهل الذمة الذين يعيشون في كنف الدولة الاسلامية، اذا كبر أحدهم وعجز عن الكسب، كانت نفقته على بيت المال.

فعن الامام علي(ع) أنه مرّ بشيخ مكفوف كبير يسأل. فقال أميرالمؤمنين: من هذا؟ فقيل له: إنّه نصراني. فقال(ع): «**استعملتموه، حتى اذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال**».

وأما حدود هذا الضمان الذي يجب على الدولة لكل فرد في المجتمع، فهي عريضة ولا تقتصر على الحاجات الملحة، بل تمتد الى تأمين كل حاجاته الاساسية، بحيث يتمتع بمستوى الكفاية من العيش. والكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة يسراً ورخاء. وتزداد حدود هذا الضمان حتى تشمل الطعام والكساء والمسكن، وكذلك الزواج والحج

وكثيراً ماكنا نسمع في التاريخ أن أشخاصاً كانوا يأتون الامام فيؤمن لهم عملاً او يشتري لهم داراً، او يسعى في تزويجهم، كل ذلك من بيت المال.[٤٢]

ومن أعظم الامثلة على هذا الضمان ماحصل في كشمير. فقد ذكر لنا الدكتور أبوالخير العرقسوسي الاستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق اليوم، أنه حين زار باكستان وكان فيها ملحقاً ثقافياً لسورية، أعجب بتمسك الشيعة بنظام الخمس، فقد أقاموا له الجمعيات المنظمة التي تكفل جمعه وصرفه، وتبلغ حصيلته عندهم ملايين الملايين كل عام.

فلما حصلت مشكلة كشمير وهاجر أهلها وعددهم خمسة ملايين الى باكستان تحت وطأة الاضطهاد الهندى، وصلوا باكستان حفاة عراة بعد أن كان بعضهم يملك المصانع والمتاجر والمزارع وكانوا كلهم من الشيعة، فاستطاعت الجمعيات الاسلامية أن تحل قضيتهم في شهر من الزمن على الرغم من فقرهم المدقع وعددهم الوافر. فلقد أعطت منظمات الخمس كل لاجئ كشميرى مشترك عندها مقداراً من المال يكافئ تماماً ماكان يملكه في بلاده، حتى أن أحدهم كان يملك متجرا للمجوهرات، فانشأوا له متجراً مماثلا. وهنا تظهر حقيقة التضامن في الاسلام.

٢ـ مبدأ التكافل العام:

وهو المبدأ الثاني للضمان الاجتماعي في الاسلام، الذي ينطلق من مبدأ كفالة المسلمين بعضهم لبعض، باعتبارهم أخوة في الدين. يقول سبحانه:

«والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضهم أولياء بعضٍ، يأمرونَ بالمعروفِ و يَنْهَونَ عنِ المنكر» (التوبة ـ ٧٢)

و يتوجب هذا النوع من التكافل عندما لا تكفي الزكاة حاجة الفقراء والعاجزين، كما حصل في أول الاسلام حين كان أكثر الذين دخلوا الاسلام من الفقراء والمحرومين. وكمايحصل في حالات المجاعات والحروب والكوارث. فيجوز للحاكم الشرعي أن يفرض على القادرين فريضة مالية لاخوانهم المحرومين.

يقول تعالى «خُذ مِن أموالهمْ صدقةً تُطهرهمْ وتُزكّيهم بها» (التوبة ـ ١٠٣)

وفي الحديث الصريح«إنَّ في المال حقاً سوى الزكاة» (صحيح الترمذي)

وجاء في الحديث: «أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج اليه، وهويقدر عليه من عنده أومن عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مُسْوَدّاً وجهه، مزرقةً عيناه، مغلولةً يداه الى عنقه. فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به الى النار».

كما يجب هذا النوع من الضمان عندما تُفقد الدولة الاسلامية و ينتفي معها ضمانها للفقير وفق المبدأ الاول.

و لاستيضاح حدود هذا الضمان نورد بعض النصوص التشريعية الدالة عليه:

عن الامام الرضا(ع) عن النبي(ص) قيل: يانبي الله! في المال حق سوى الزكاة؟ قال: «نعم، بِرّ الرحم اذا أدبرت، وصلة الجار المسلم، فما آمن بي من بات شبعانَ وجاره المسلم جائع».

و يقول النبي(ص): «يا أباذر، من كان له قميصان فليلبس أحدهما وليُلبس الاخر أخاه».

وسأل سماعة الامام الصادق(ع) عن قوم عندهم فضل، و باخوانهم حاجة شديدة، وليس يَسَعهُم الزكاة. أيسعهم أن يَشبعوا ويجوع إخوانُهُم؟ فان الزمان شديد. فرد الامام عليه قائلا: «ان المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولايخذله ولايحرمه، فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه والتواصل والتعاون عليه، والمواساة لأهل الحاجة».

وعن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله(ص) يقول: «مَن كان معه فضلُ ظهرٍ فَليعد به على من لاظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له».

ويمدح النبي (ص) الاشعريين فيقول: «ان الاشعريين اذا أرملوا في الغزو أوقَلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

وقائع حية على مبدأ التكافل:

و يزخر تاريخ الائمة (ع) بالامثلة الحية على تطبيق مبدأ التكافل العام في صدرالاسلام حيث كان الفقر طاغياً على الناس. فقد كان الامام علي(ع) يعمل في سقاية النخل ليؤمّن قرصيه وطمريه، ثم ينفق مافضل عن كسبه في اطعام الفقراء وتحرير العبيد.

ومن أروع الوقائع على ذلك قصة تصدقه بالطعام هو وزوجته فاطمة وولديه الحسن والحسين(ع) حين أمسوا صياماً فاتاهم المسكين ثم اليتيم ثم الاسير، فباتوا جياعا ثلاثة أيام لايجدون عند إفطارهم غير شربة الماء. حتى نزلت فيهم الاية:

«ويُطعِمونَ الطَّعامَ على حُبِّه مسكيناً ويتيماً واسيراً * إنَّما نُطعمكم لوجهِ اللهِ لانريدُ منكم جزاءً ولاشُكورا» (الانسان ـ ٩).

وصدق فيهم قول الله تعالى:

«ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة» (الحشر ـ ٩)

ومن الوقائع الشهيرة مايروى عن تصدق الامام الحسين(ع) والامام زين العابدين(ع)، حيث كان الواحد منهما يحمل الجراب على ظهره ليوصل الغذاء الى بيوت الفقراء والمحرومين، الذين منعتهم عفتهم عن الطلب والسؤال.

يروى أن الامام زين العابدين(ع) كان يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب

على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربما حمل على ظهره الطعام أو الحطب، حتى يأتي باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج اليه. وكان يغطي وجهه اذا ناول فقيراً لئلا يعرفه.

فلما توفي (ع) فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان الامام علي بن الحسين(ع). ولما وُضع على المغتسل نظروا الى ظهره وعليه مثل رَكْب الابل، مما كان يحمل على ظهره الى منازل الفقراء والمساكين*

ولما ازدهرت الحياة الاجتماعية في عهد عمر بن عبدالعزيز، انعدم وجود الفقراء والمساكين، وضاق بيت المال بما يحويه، حتى أصبحت الزكاة تلقى على الطرقات ولايوجد من يأخذها.

في هذا المجتمع الاسلامي الرافه، كان يُرى الخليفة عمر بن عبدالعزيز قابعاً لمفرده في كنف الليل في احدى زوايا الطريق. فسئل مرة عن سبب ذلك فقال:

اني أرابط هنا متحريا عن الذين يكتنفهم الجوع في الليل، ولوكنت أعلم أين مكانهم لذبحتُ لهم ناقتي وحملتها اليهم إرباً إربا حتى منازلهم. أجاركم الله هل بينكم من يدلني على هؤلاء المرهقين؟.

فالخليفة العادل كان يبحث ليس عن المحتاجين والمساكين الذين نراهم عادة على أرصفة الطريق، وانما كان يبحث عن الفقراء المتعففين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، ليوصل اليهم أمانة الله في عنقه، من حقهم في بيت المال. فكان لايجد منهم أحدا، فيستحلف الناس أن يدلوه على مكانهم.

والحاجة المقصودة في الاحاديث السابقة هي الحاجة الشديدة وتتضمن الحاجات الحياتية الملحة كالطّعام والكساء، وهي المفروضة في مبدأ التكافل العام.

و يأمل النظام الاسلامي أن يصل المؤمن الى درجة من الايثار، لايعود يرى أن مايملكه هو لنفسه خاصة، وانما هو مبذول لكل محتاج من إخوانه، فيسمح لاخوته في الايمان أن يأخذوا مايشاؤون من صندوق ماله بدون اذنه وعلمه.

يقول الامام الباقر(ع): «أيجيء أحدكم الى أخيه، فيُدخل يده في كيسه، فيأخذ حاجته فلايدفعه؟» فقلت: ماأعرف ذلك فينا.

فقال أبوجعفر(ع): «فلاشيء إذا.» قلت: فالهلاك؟ فقال(ع): «إن القوم لم يُعطوا أحلامهم بعد».

* ـ الخصال ٢/١٠٠.

وفي هذا المعنى نورد القصة التالية:

يحكى عن الشريف الرضي عليه الرحمة، أن أحد الاغنياء أحب ان يجود عليه وعلى تلاميذه بمال. فجاءه وهو يعطي درساً لاربعين من طلابه في بيته. فعرض عليه العطاء. فقال: أما أنا فلاحاجة لي بمال، وأما طلابي فلامانع من اعطائهم. فدار الغني عليهم فرداً فردا يسألهم، وكلهم يجيب: حسبنا أننا نملك قوت يومنا، فمانصنع بالمال! وحين وصل الى الطالب الاربعين، تناول الطالب ديناراً من الغني وكسره قطعاً، ثم أخذ قطعة واحدة... ولما انصرف الغني، التفت الشريف الى ذلك الطالب وقال له: مادعاك الى فعلتك ياهذا؟ قال: جاءني من أسبوع ضيوف، وليس عندي زاد أطعمهم، فاستدنت شيئاً من المال حتى أطعمتهم، ومازال الدائنون يطالبونني بحقهم، فذلك مادعاني الى أخذ قطعة من الدينار أسدّ بها حاجتي، وأدفع عن نفسي مَغَبَّة الناس...

فلما سمع الشريف قوله، استدعى الحداد وقال له: هذا مفتاح خزانتي، فاصنع لي مثله أربعين مفتاحا. ووزع المفاتيح على طلابه، وقال لهم: من كانت له حاجة فليأخذها من خزانتي بدون علمي... وهذا منتهى البذل والايثار.

٢- التوازن الاجتماعي:

ونعني به تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة، وإن اختلفوا في مستوى الدخل. والتوازن في مستوى المعيشة معناه أن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع ومتداولاً بينهم، الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام.

وقدقام الاسلام لتحقيق هذا الهدف بعملين، أحدهما من الفوق والاخر من التحت. فضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف على الغني، وضغط المستوى من الاسفل برفع مستوى المتدنّين في المعيشة الى مستوى أرفع. و بذلك تتقارب المستويات حتى تتقارب في مستوىٰ واحد، يضم درجات متفاوته تفاوتاً جزئياً، وليست متناقضة تناقضاً كليا في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.

يقول معاوية:[٤٣] إن بالفقر تتواضع النفس، و يرقّ الطبع، و بالثراء يستفحل شر الخيلاء والعتو، فلنختر وسط الأمرين، برفع مستوى الفقير الى مايُرَفّه عنه، وإنزال

شراهة الثري الى حدود الاعتدال، و بذلك تستقيم المساواة بين الناس.

ويهدف هذا المبدأ أن يلحق كل محروم بمستوى الناس، أي يهدف الى إغناء كل فرد في المجتمع الاسلامي.

جاء في الخبر عن الامام الصادق(ع) قوله: «تعطيه من الزكاة حتى تغنيه».

ولحماية هذا التوازن الاجتماعي شرّع الاسلام جملة من التشريعات التي تحد من الفوارق بين الأغنياء والفقراء، منها محاربة كنز الأموال[٤٤] وتحريم الربا، وتشريع أحكام الأرث، ومطاردة الاحتكار والاستغلال وغلاء الأسعار، إلى ماهنالك من أحكام.

جاء في عهد الامام علي(ع) الى مالك الاشتر حين ولاه مصر قوله:

«واعلم أنَّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشُحاً قبيحا، واحتكاراً للمنافع، وتَحَكُّماً في البياعات. وذلك باب مضَرّة للعامة، وعيب على الولاة. فامنع الاحتكار، فان رسول الله(ص) منع منه، وليكن البيع سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تُجحِفُ بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حُكرة بعد نهيك ايّاه، فَنَكّل به وعاقبه في غير إسراف» (العهد ٢٩٠ نهج).

واختم موضوعي بالكلام عن ضرورة وجود الدولة الاسلامية، لمعالجة الفقر وإزالته.

ضرورة قيام الدولة الاسلامية:

ان من أهم العوامل الضرورية لتطبيق مبادئ الاسلام ورعايتها، وجود الدولة الحاكمة التي تستطيع تطبيق هذه المبادئ. فالفقر الذي لايقره الاسلام لايمكن علاجه واستئصاله من المجتمع اذا لم توجد سلطة الدولة الاسلامية. اذ أن دولة الطاغوت هي دائما حليفة الاستغلال، لانه في ظلها تزدهر طبقة المتحكمين والمتسلطين والمتنفذين.

اذن لا تقام حدودُ الله الا بوجود الامام العادل، الذي هو قطب الرحى في الدولة الاسلامية. حيث يسعى المؤمنون من حوله كما تسعى الالكترونات الدائرة في الذرة حول النواة، يستمدون منه القوة والجاذبية، في وحدة متوازنة متكاملة.

وهذا الامام عدا عن كونه مركز الدوران والارتباط، فانه يقوم بوظيفة التقليد، فهو القدوة التي يقلدها كل فرد في المجتمع، و يسعى كل واحد أن يكون صورة مطابقة لها. ولاتخفى أهمية هذه القدوة في تربية المجتمع واصلاحه، فاذا صلحت القدوة صلح

المجتمع كله واذا فسدت فسد معها.

ولقد سألني أحدهم عن أسباب نجاح الثورة الاسلامية في ايران، فقلت: إن من أول أسبابها الامام القدوة آية الله العظمى السيد روح الله الخميني، فهو بما أوتي من مواهب وسمات كان أكبر عامل لقيام الثورة المظفرة ونجاحها.

و يتجلي ذلك في النقاط التالية:

١- ايمانه الراسخ و يقينه العميق بدينه ومبدئه و بتأييده من السماء. فهو حين يتكلم تشعر أنه ملهم يرى بنورالله، و ينكشف له سجل المستقبل فيرى النصر الذي وعدالله به عباده المؤمنين. و ان كل ماوقع في ايران من مِحَن وخطوب لم يَزِده إلا إيمانا وتصميما.

٢- زهده بهذه الدنيا: وهي من سماته المشهورة، فهو كإمامه المرتضى (ع) لايعادل هذه الدنيا الفانية بعفطة عنز. فترى على حياته آثار الزهد والتقشف، حتى أنه يعيش كأفقر شخص في ايران.

٣- إخلاصه: فهو حين رفض هذه الدنيا بجميع مافيها، كان هدفه ليس ذاته وانما شعبه، فبدأ ينفق ثروات البلاد على كل أبناء مجتمعه بالتساوى، دون أن يميز العاصمة على غيرها، ولا المدينة على القرية. بل انه وجّه أكبر همه لشق الطرقات واقامة الخدمات التي تسهل على المناطق النائية والمنعزلة والفقيرة أن تلحق بركب الحضارة والازدهار والرفاهية. وان انجازات منظمة جهاد البناء (جهاد سازندگي) ليست خافية على أحد.

٤- تفانيه في أداء الواجب: فهو رغم طعنه في السن، تراه يعمل ليل نهار بلا كلل ولاملال، لخدمة أمته وشعبه، مقاوما كل المؤامرات والدسائس التي يحيكها أعداء الحق والاسلام.

وصحيح ان الناس على دين ملوكها ورؤسائها. واذا صلح الرأس صلحت الرعية.

وهكذا نرى أن الاسلام قد حل معضلة الفقر نظريا وعمليا. وحق له أن يكون أفضل نظام مادي روحي عرفته البشرية والانسانية.

والحمدلله رب العالمين

تعليقات على هذه المقالة

١ ــ أي مع عدم كفاية مرتبة لأعالتهم.

٢ ــ لعلّ المراد من هذه الكلمة انّ الفقر ربّما يجعل الانسان في حرج نفسي شديد يجعله في معرض اليأس من روح الله سبحانه ومن ألطافه... بل قديدفعه للخروج على القانون والتمرّد حتّى على الأحكام الشرعيّة الإلٰهيّة والاستهانة بها عن سابق علم ومعرفة... وتلك درجة خطيرة على صعيد الإلتزام بالحدود العقائدية التي لابدّ من مراعاتها.

٣ ــ راجع التعليقة السابقة.

٤ ــ كون المقصود من هذه الكلمة هو ذلك يحتاج لمزيد من التأمّل.

٥ ــ ربّما يقال: انّ المقصود بالفقر هنا: هو يوم الفقر والفاقة وهو يوم القيامة. وإن كان الأظهر في معناها هو أن يكون المراد بالفقر: الفقر الى الله سبحانه على حدّ قوله تعالى «أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنيّ».

٦ ــ لقد نصّ الإمام الحسن في خطبته بعد وفاة أبيه على أنّ أباه لم يترك سوى سبع مائة درهم أراد أن يشتري بها خادماً لأهله.

٧ ــ المقصود هو كنز الأموال من قبل الحكّام وأعوانهم الّذين كانوا يأخذون أموال الدولة و بيت المال لأنفسهم (كما أوضحه السيد جعفر مرتضى في مقال له حول أبي ذر وطبعت ترجمته الفارسية تحت عنوان: «أبو ذر مسلمان يا سوسياليست»).

٨ ــ قد تقدّم أنّ صرخته كانت في وجه الّذين يستأثرون بأموال بيت مال المسلمين لأنفسهم.

٩ ــ لانرى تناسباً بين هذه العبارة و بين مايريد اقامتها كشاهد عليه.

١٠ ــ الظاهر أن المؤلف يريد أن يقول ـ ان إذا لم يوضع لهذا الفرد حدّ ولم يخضع لضابطة كان سرطاناً يمتصّ كلّ الطاقات من حوله دون أن يعطي شيئاً و يستعمل أساليبه الجهنّمية من أجل جمع المال وتكديسه... فكان أن اهتمّ الاسلام بوضع الضوابط الّتي تمنع انساناً كهذا من أن يعدو طوره فحرم الاسلام الاحتكار والربا الخ...

وانّما قلنا انّ هذا هو مراد الكاتب لأن تحريم الاحتكار والربا الخ... ليس معناه القضاء والتخلص من ذلك الفرد...

١١ ــ هذه لا تصلح شاهداً على مايريده الكاتب فانّ المراد منها أنّه إذا أنعم الله عليكم نعمة، فليكن صبركم على طاعته ومجانبتكم لمعصيته تتميماً لها وليس المراد: انّ النعمة تزيد بذلك...

١٢ ــ ومنها الدول الشيوعية التي تنهب ثروات البلاد بأساليبها المختلفة وفيها خلق الحروب لها لبيعها الأسلحة وفرض هيمنتها الاقتصادية المطلقة عليها بأساليب مختلفة... هذا ان لم تقم بمهاجمتها وابادة شعوبها متذرعة بحجج واهية كما هو الحال بالنسبة لمافعله الاتّحاد السوفياتي في أفغانستان وغيرها من بلاد العالم.

١٣ ــ قد تقدّم من الكاتب مايدلّ على حسن الفقر ومايتضمّن مدحه وتجنيده وعليه فيرد سؤال: انّه إذا كان الفقر له هذه المكانة وإذا كان ممدوحاً الى هذا الحدّ فلماذا يهتمّ الاسلام بأزالته و بالقضاء عليه...؟!

ولم يتعرّض الكاتب لاجابة على سؤال كهذا... ولو بأن يذكر الفرق بين ذلك الممدوح و بين الفقر الّذي يهتم الاسلام بعلاجه... وتلك ثغرة هامة في هذا البحث لامجال للتغاضي عنها... فليلاحظ ذلك...

١٤ ــ بل حصلت قبل ذلك في مكة أيضاً.

١٥ ــ لكن ذلك مرهون بالإيمان وأمّا بدونه فان التفاوت حاصل إذ لاريب في أن المؤمن يمتاز عن غيره في كثير من الحقوق...

١٦ ــ الضمان الاجتماعي خاص بالقاصرين دون المقصرين والأوّل هو مراد الكاتب.

١٧ ــ لقد شاع هذا المفهوم استناداً الى بعض الآيات القرآنية الّتي تدلّ على أكثر من أن الله قدجعل خليفة في الأرض...

أمّا أنّه يكون خليفة لمن؟... فذلك مالا تدلّ عليه الآيات القرآنية اطلاقاً...

١٨ ــ دلالة الآية على ذلك محل نظر.

١٩ ــ أي في هذا المجال.

٢٠ ــ الظاهر أن هذه العبارة لا تستطيع تحمل المعنى الّذي أريد استنباطه فيها.

٢١ ــ قلنا فيماسبق أن هذا الكلام على اطلاقه محل إشكال والآية القرآنية المشيرة الى هذا المعنى ناظرة الى الأموال العامة ولااطلاق فيها. راجع: «أبوذر، مسلمان يا سوسياليست».

٢٢ ــ الظاهر: أن الآية مطلقة، تشتمل قتل الانسان نفسه أيضاً.

٢٣ ــ هذا خاص بالتصرفات السفيهة الّتي لايرضى بها العقلاء وامّا سائر أنحاء التصرفات غير المقبولة شرعاً فقدوضع لها علاجات أخرى من قبيل حرمة الاحتكار والربا وغير ذلك...

٢٤ ــ هذا على اطلاقه فيه اشكال فليراجع كتاب اقتصادنا وغيره... وإلاّ فانّ معنى ذلك هو أن لايصحّ نظام المضاربة ولانظام الإرث في الاسلام والأمثلة على ذلك كثيرة جدّاً.

٢٥ ــ راجع التعليقة السابقة.

٢٦ ــ راجع: كتب الفقه الاسلامي بالنسبة لهذا الغرض.

٢٧ ــ راجع التعليقة السابقة العدد ٣٠. فقدقلنا ان لوكان هذا صحيحاً لماصحّت المضاربة وكذلك غيرها من النظم الاقتصادية الاسلامية وسواها من الأحكام الشرعية الفرعية. أضفنا الى ذلك: أن المال الّذي يدخل في الانتاج لايبقى على حاله وان بقي هو نفسه بعدها... وذلك لوجود تقلّبات وتحوّلات في قيمته الشرائية قوه وضعفاً... وإذن فاللازم ـ تبرير تحريم الربا بأمر آخر أكثر واقعية وانسجاماً مع مجمل النظم والأحكام الاقتصادية في الاسلام...

٢٨ ــ هذا خلاف قواعد الاسلام... بل هو مأخوذ في فلسفات الماركسية وإلاّ... فانّه إذا كانت الأرض مع البذر والمادة الأولية عملاً مخزوناً وممارسة مباشرة لمالكها، فلماذا لا تكون الأرض وحدها وأدوات الانتاج كذلك وهل البذر بدون الأرض يعتبر عملاً مخزوناً أو هما معاً، إذا كانا معاً كذلك فلتكن الأرض وحدها كذلك: أليست الأرض قدبذل فيها عمل لإحيائها واستصلاحها؟ أضف الى ذلك أنّه لماذا كانت

الأرض مع البذر ممارسة فعلية ولا تكون الآلة والأرض ممارسة فعلية أيضاً بل لماذا لايكون العكس هو الصحيح؟ وهل صحيح: أن الأرض مع البذر ممارسة فعلية؟ وكيف؟!

٢٩ ــ لماذا كذلك... هذا ليس من الاسلام في شيء... هذا كلام الشيوعيين كما قلنا.

٣٠ ــ في عقد الجعالة ليس للصانع في الناتج حق كما هو ظاهر، بل له فقط مايجلعه له صاحب المال.

٣١ ــ هذا في خصوص استئجار الآلة وليس في عقد الجعالة.

٣٢ ــ لوصحّ هذا لكان العامل يستحق الأجرة فقط ولايستحق في نسبة الربح شيئاً ويخرج بذلك عن كونه مضاربة.

٣٣ ــ هذه القاعدة ليست اسلامية وانّما هي متصيدة من أفكار الماركسيين على مايظهر.

٣٤ ــ قد تقدّم بعض الكلام في ذلك في تعليقة سابقة.

٣٥ ــ هذا ينافي ماتقدّم من المؤلّف من أن الاسلام قددعى للزهد وحارب فكرة عبودية الانسان للمادة... ولعلّه يريد أن يقول انّه أراد من المجتمع أن يعيش حياة كريمة وشريفة وان يستمتع بثروات الطبيعة و يستفيد منها في دفع مستواه الاقتصادي العام... مادام أن ذلك يساعد على سموّ الانسان في انسانيته و يضمن له كرامته وحرّيته.

٣٦ ــ جعل ضريبة الزكاة على المال لا تعني حرمة كنزه.

٣٧ ــ هذا خاص بالنقدين الذهب والفضة وأمّا سائر ماتتعلّق به الزكاة فلايأتي فيه ذلك.

وعلى هذا... فقدكان ينبغي للمؤلّف اعطاء الفرق بين النقدين و بين غيرهما من سائر أصناف الزكاة.

٣٨ ــ هذه الآية ناظرة لاكتناز الأموال العامة وأموال بيت المال كما أشرنا اليه غير مرّة. راجع «أبوذر، مسلمان يا سوسياليست».

٣٩ ــ الثابت هو أن الاسلام قدجعل الضمان الاجتماعي لخصوص العجزة والقاصرين، أمّا من يتمكّن من العمل و يعمل، يخسر أو يربح، فان بلغ هذه الدرجة، شمله الضمان وإلاّ فلا.

٤٠ ــ ماهو الدليل على ذلك؟

٤١ ــ كان على المؤلف أن يقيم بعض الشواهد على ثبوت مثل هذا الحق، وأمّا الآية التي استدلّ بها وهي قوله تعالى «كي لا تكون دولة بين الأغنياء» فلا تدلّ على ثبوت الحق في الثروات الطبيعية وانّما تشير الى أن الاسلام يرغب في ضمان التعادل وأن يصل الفقير الى حقوقه المشروعة ويمارس حرّيته في الاستفادة من حقوقه...

٤٢ ــ كان من المناسب ذكر بعض الشواهد والمصادر لذلك.

٤٣ ــ انّ كلمة معاوية هذه لا تدلّ على مايريد المؤلف الاستدلال عليه؛ فانّ معاوية لم يدع الى رفع الطبقية، بل هو يدعو الى ابقائها وتكريسها، حيث انّه بالنسبة الى الفقير لم يطلب سوى الترفيه عنه ولعله لاسكاته. امّا بالنسبة للغني فانّه طلب الحدّ من شراهته.وجعلها شراهة معتدلة ولم يطلب تقليص شرائه أو تحديده ولاخفض مستوى المعيشة عنده... لتتقارب المستويات و يرتفع التناقض الطبقي... ولانتوقّع من معاوية الّذي كان حتّى في زمن عمر بن الخطاب يعيش حياة البذخ والترف والنعيم... الا مثل هذه الكلمة المعبّرة عن نواياه وأهدافه... وهل مثل معاوية الجاهل بتعاليم الشريعة وأحكام الدين في مستوى من تؤخذ عنه نظرية وأطروحات الاسلام الاقتصادية أو غيرها؟!

٤٤ ــ قدتقدّم بعض الكلام حول هذه العبارة.

الدّرس اللساني المستنبط
من الرسالة الإلهيّة
في نهج البلاغة

الدكتور. تهامي الراجي الهاشمي

المغرب العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

سيرى بعض الناس أنه من الصعوبة بمكان الاستعانة بنهج البلاغة لاستنباط درس لسانيّ حديث منه. إلاّ أنني أرى عكس ذلك وأقول، وأنا، والحمد لله، مدرك ماأقول: إنّنا نستطيع أن نجد في نهج البلاغة كلّ مانحتاجه لتطبيق جميع النظريات اللسانية القديم منها والحديث.

وبما انَّ هذا المؤلف العظيم كبير للغاية وفيه من المعاني والبديع والبيان مالايخطر ببال بشر فإنني اقتصرت في هذا البحث الذي أُشارك به في احياء الذكرى الثالثة للمهرجان الألفي لكتاب نهج البلاغة على فقرة وردت في الرسالة الإلهية، هذا نصها. أو على الأصح هذه فقرة منها:

«أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لاَيَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لاَيُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لاَيُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعاً لاَيُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَاناً لاَيُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لاَ تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.»

تحليل النص:

بدأ كرّم الله وجهه، هذه الفقرة بالفعل «أنزل» الذي اعتبره الفعل الرئيسي بحق وحقيق.

والفعل «أنزل» يعطينا «الانزال»؛ والإنزال يكون على مستويين أساسيين ومستويات ثانوية.

إمّا يكون موجّهاً الى الأسمى وإمّا أن يكون موجّهاً الى الأسمى والى من هو دونه.

أمّا المستويات الثانوية الأخرى فسنشير اليها اشارات سريعة فيما بعد حتى لا يخرج بحثنا عن القصد الذي قصدناه.

الفعل «أنزل» الى الأسمى:

يستعمل الفعل «أنزل» وماتصرف منه، حين يكون موجهاً الى الأسمى مع حرف الجر «على» كما هو الشأن في فقرة أمير المؤمنين المستشهد بها في صدر هذا البحث. ونقصد بالأسمى، كما هو معلوم الرسول الموجّه اليه الخطاب دون غيره، وفي القرآن الكريم أمثلة عن هذا كثيرة؛ منها.

أ- المجرد: «نزل» في قوله تعالى: «إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ.[١]

ب- مضعّف: «نزّل» في قوله تعالى: «ألم آللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مصدقاً لِمَابَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ آلتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ.»[٢] وفي قوله تعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً».[٣] وفي قوله تعالى في سورة الفرقان: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفرقان علىٰ عَبْدِهِ لِيَكُون لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً».[٤] وفي قوله تعالى في سورة البقرة: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ آللَّهِ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ».[٥] وفي قوله تعالى في سورة الأنعام: «ولونَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ».[٦]

وفي قوله تعالى في سورة النحل: «وَيَومَ نَبعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِن أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا

١ - سورة الشعراء، الآيات ٢٦ ومابعدها.
٢ - الآية ٣ من سورة آل عمران.
٣ - الآية ٤ من سورة النساء.
٤ - الآية الأولى.
٥ - الآية ٢٣.
٦ - الآية ٧.

بِكَ شَهِيداً عَلىٰ هٰؤُلاءِ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ»[٧] وقوله تعالى في سورة الانسان: «إِنَّ هٰذا كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً. إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً. فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ، آثِماً أَوْ كَفُوراً»[٨] وفي سورة البقرة: «قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّٰهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ»[٩] وفي سورة الحديد: «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ»[١٠] وفي سورة الأنعام: «وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ»[١١] وفي غيرها من الآيات[١٢].

ج- المزيد بالهمزة: «أَنْزَلَ» وهي الصيغة المستعملة في فقرة سيدنا علي أميرالمؤمنين كرَّم الله وجهه. جاءت هذه الصيغة إلى المستوى الأسمى أي مع حرف الجر «على» في قوله تعالى في سورة آل عمران: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ...» الآية[١٣]. وفي قوله تعالى في سورة النساء: «وَلَوْلا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَما يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكَ عَظِيماً»[١٤]. وفي قوله تعالى في سورة الأنعام: «وَما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»[١٥]، وقوله تعالى في سورة التوبة: «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللّٰهَ مَعَنا فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلىٰ وَكَلِمَةُ اللّٰهِ هِيَ الْعُلْيا وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[١٦]. وفي سورة النحل: «وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ

٧- الآية ٩٨.
٨- الآيات ٢٢، ٢٣، ٢٤.
٩- الآية ٩٧.
١٠- الآية ٩.
١١- الآية ٣٧.
١٢- من أمثال قوله: في الحجر/٦. «وقالوا ياأيها الّذي نُزِّل عليه الذّكر إنك لمجنون»؛ وفي الفرقان/٣٢، وفي محمد الآية ٣.
١٣- الآية ٧.
١٤- الآية ١١٣.
١٥- الآية ٩١.
١٦- الآية ٤٠.

وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[١٧]، وفي قوله تعالى في سورة طه: «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ»[١٨]. وفي قوله جلّت قدرته في سورة العنكبوت: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[١٩]، وقبله: «وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ»[٢٠]. وفي سورة الزمر في قوله عزّ من قائل: «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»[٢١].

د- مزيد بالهمزة مبنيٌ للمجهول:

وردت هذه الصيغة في قوله تعالى: «وقالت طّائفةٌ مِن أَهْلِ الْكِتابِ ءامِنُوا بِالَّذِي أُنزل على الذين ءامنوا وجه النهارِ واكفروا آخِرَه لعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»[٢٢]، كما وردت في سورة الأنعام في قوله تعالى: «وقالوا لولا أنزل عليه ملك وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ»[٢٣]. وفي سورة يونس في قوله تعالى: «و يقولون لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربّه فقُل إنَّما الغَيْبُ للَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»[٢٤]. وفي سورة هُود في قوله عزّ وجلّ: «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»[٢٥]. وفي سورة الرعد في قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ»[٢٦].

١٧ - الآية ٦٤.
١٨ - الآية ٣.
١٩ - الآية ٥١.
٢٠ - الآية ٥٣.
٢١ - الآية ٤١.
٢٢ - سورة آل عمران، الآية ٧٣.
٢٣ - الآية ٨.
٢٤ - الآية ٢٠.
٢٥ - الآية ١٢.
٢٦ - سورة الرّعد، الآية ٢٧.

هـ ـ في حالة الاستفهام:

وردت في سورة ص في قوله تعالى: «ءَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ»[٢٨].

أما حين يكون الإنزال من الحقّ سبحانه وتعالى الى الأسمى والى مَن هو دونه[٢٩]؛ أي الى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم ليبلغه الى كافة الناس فان الفعل يستعمل مع حرف الجر «الى» مثل ماجاء في قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ» ٣٠، وفي قوله تعالى في سورة النحل: «وماأرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نُوحِي إِلَيهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لَا تَعْلَمُونَ» ٣١، وفي غيرها من الآيات ٣٢.

٢٨ ـ الآية ٨.

٢٩ ـ لاأفضل هنا بين الضعف والمزيد كما فصلت قبل طلباً للاختصار وإن كنت أرتب الآيات حسب مايقتضيه هذا التوزيع.

٣٠ ـ سورة الأنعام، الآية ١١٢.

٣١ ـ الآية ٤٤.

٣٢ ـ في سورة النساء، الآية ١٦٦. وفي المائدة الآية ٤٩. وفي سورة الأنعام الآية ١١٤. وفي الطّلاق الآية ١٠. وفي البقرة الآية ٩٩. وفي النساء الآية ١٠٥ وفي الآية ١٧٤ من نفس السورة. وفي السورة الخامسة، الآية ٤٨ وفي النحل الآية ٤٤ وغيرها كثير.

تحليل الفعل الرئيسي «نزل»
وماتصرف منه في
نهج البلاغة

كلنا يعلم انه يمكن تقسيم نهج البلاغة الى ثلاثة أقسام كبرى هي:

أ- الخطب والأوامر.

ب- الكتب والرسائل.

ج- الحكم والمواعظ.

فان نظرنا الى نهج البلاغة ككل، أي بأقسامه الكبرى الثلاثة وحاولنا أن نبحث في توزيع هذا الفعل في هذه الأقسام من نهج البلاغة لوجدنا أن أميرالمؤمنين سيّدنا علياً كرّم الله وجهه استعمل هذا الفعل وماتصرّف منه مائة وعشرين مرّة.

ولايمكنني أن أعطي احصاء علمياً دقيقاً لورود هذا الفعل ومشتقاته في نهج البلاغة إلاّ اذا وزعته الى خمسة عشر قسماً.

القسم مثلاً هو: نزل ونزلت ونزلتم. ورد هذا القسم ثلاث عشرة مرة بالتوزيع الآتي:

- أربع عشرة في الخطب والمواعظ.
- سبع في الكتب والرسائل.
- ثلاث في الحكم والمواعظ.

وحتى يمكنني أن ألخص هذه الأقسام كلّها وأقدّمها مقارناً بين أجزائها ارتأيت أن أضعها في جدول بيانيّ تسهل قراءته مع التنبيه الى أنني تصرفت في المعطيات التي

يقدمها لنا السيد جواد مصطفوي الخراساني في كاشفه بالتقديم والتأخير لأتمكن من توظيفها بشكل مرض. وهذا الجدول هو كمايلي:

	الأقسام ورود الفعل «نزل» وما تصرّف منه في نهج البلاغة	الخطب و الأوامر	الكتب و الرسائل	الحكم و المواعظ	المجموع
١	نَزَلَ- نَزَلتُ- نَزَلْتُمْ.	١٤	٧	٢	٢٣
٢	نَزَلُوا- أَنْزَلَ- أَنْزَلُوه.	٥	١	١	٧
٣	أَنْزَلَهُمْ- أَنْزَلُوا- أَنْزَلَتْ.	٧	٠	٠	٧
٤	تَنَزَّلَت- يُنَزَّلُ.	٥	١	١	٧
٥	يُنْزِلُهُ- تَنَزَّلَ.	٦	٠	١	٧
٦	تَتَنَزَّلُ- أَنْزِلْ- انْزِلُوا.	٢	٢	٠	٤
٧	أَنْزَلُوهُمْ- اَسْتَنْزَلُوا.	١	٠	١	٢
٨	نُزُولٌ- نزولك- نزولكم.	٤	٢	٠	٦
٩	مَنْزِلَة- منزلتكم- مَنْزِلته.	١٦	٦	١	١٩
١٠	مُتَنَازَلَةٌ- تَنْزِيلٌ- نَازِلٌ.	٥	١	٠	٦
١١	نازلُونَ- نَازِلَةٌ- نَوازِلٌ.	٥	٠	٠	٥
١٢	نِزالٌ- نِزالها- مَنْزِلٌ.	١٠	٧	٠	١٧
١٣	مَنْزِلتكم- مَنْزِلَةٌ.	٣	٠	٠	٣
١٤	مَنْزِلُهُمْ- مَنَازِلُ- مَنَازِلُكُمْ.	١٢	٢	٠	١٤
١٥	نُزُولَهُ- نُزْلُه.	٣	٠	٠	٣
	المجموع العام	٨٨	٢٥	٧	١٢٠
	النسبة	٧٣ر٣٣٪	٢٠ر٨٨٪	٥ر٧٩٪	

مكانة الفعل «أنزل» في الفقرة:

لقد استعمل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه هذه الوحدة الكبرى الدالة في الخطاب على شكل الايجاب، فقال:

«أنزل الكتاب»

ثم تصرّف في هذه الوحدة الكبرى الموجبة (UNITE MAXIMALE POSITIVE) وكأنّها ـ من جهة شعاع تركيبي موجب مادام خالياً من أدوات النفي؛ أقول: تصرف فيه، كرّم الله وجهه من جهة ثانية معتبرة شعاعاً تقابلياً (AXE PARADIGNATIQUE).

ونعلم ان القاعدة اللسانية العربية الجامعة الواجب تطبيقها هنا تحتم على من يقوم بعملية التعويض أن يأتي بالمعوّض به صالحاً للإنسجام في كل النواحي مع سابقه ولاحقه كما كان المعوّض منسجماً من قبل سواء بسواء.

وحقّ له أن يفعل و بسهولة وهو الذي كرّم الله وجهه لم تُعرف المباحث الكلامية إلاّ منه ولم تكن عيالاً إلاّ عليه لأنّه قدوة فطاحلها وإمام أفاضلها. حق له أن يُعَوّض تقابليّاً اللفظ الكتاب بالكلمة «فرقان» فقال بدأ «أنزل عليه الكتاب» ثمّ جاز له اعتباراً لماسبق أن يقول: أنزل فرقاناً.

فكانت هذه الوحدة الكبرى الدالة للبلاغ المعجز في نهج البلاغة مكونة، تعزيزاً للحكمة التي يريد أن يبلغها للناس من شقين اثنين وكأنّها ثنائية لسانية كبرى (GRANDE DICHOLOMIE LINGUISTIQUE) تحتاج من ربيب الرسول الأكرم وصهره صلى الله عليه وسلّم الى مزيد بيان.

فاقتضى النهج الدقيق والبليغ الذي يستعمله، كرّم الله وجهه ان يتبع هذه الثنائية اللسانية بوحدات أخرى كبرى للدلالة لها هي أيضاً سيماوات محددة وعامة؛ إنها كلها مركّبة على الشكل الآتي:

أ ـ حال (للفعل الرئيسي) «أنزل» ـ نوراً ـ سراجاً ـ بحراً ـ منهاجاً ـ شعاعاً ـ تبياناً ـ شفاءً ـ عزّاً ـ حقّاً. بحيث استطيع أنا الآن أن استخرج من هذه الفقرة الصغيرة المستنبطة من نهج البلاغة في نطاق الرسالة الإلهية الخالدة. وحدات صغرى كلها آيات من آيات الله الخالدة. فأقول. أنزل الكتاب نوراً ـ أنزل الكتاب سراجاً أنزل

الكتاب بحراً أنزل الكتاب منهاجاً أنزل الكتاب شعاعاً أنزل الكتاب تبياناً. أنزل الكتاب شفاء أنزل الكتاب عزّاً لاتهزم أنصاره وأنزل الكتاب حقّاً لاتخذل أعوانه.

ب- منفية كلّها بأداة واحدة هي: لازيادة في نقاء الانسجام الدلالي (LHARMONISATION) (SIGNISIANTE)(TRAITS) الذي يرمي اليه الامام علي كرّم الله وجهه على طول نهج البلاغة وعرضها.

ج- يتبع كلّ هذا فعل مضارع شديد الإلتزام مع الحال في رأس الوحدة غير محايد ولابريء إذ أنت بمجرد ماتنطق بالحال تكون حدّدت، بشكل لايقبل أي لبس الحقل الدلاليّ المجهريّ للفعل (LE MIGRO CHAMP SEMANLIQUE) الذي لزم أن يقترن بذلك المفعول الثاني. واذن فالاختيار الحر العشوائي غير وارد البتة : وان الدلالة الدقيقة التي تربط دوماً هذا الفعل بذلك المفعول الثاني هي التي تحدد الاتجاه وتوجه الاختيار في النطاق المرسوم من طرف اللفظ المثبت على رأس الوحدة انطلاقاً من السياء «أ» المشار اليها آنفاً.

سيكون هذا الفعل دالاً طبعاً على عكس مايوحي به عادة المفعول الثاني مادام الرابط الذي يربط بينهما هو الأداة «لا».

فالنور يناسبه لاظلام

والنور عكسه ظلام

والنور يواجهه لانور

الى آخر الجمل البليغة المكونة للفقرة البليغة.

وهكذا سيستخرج أميرالمؤمنين سيدنا عليّ كرّم الله وجهه وصي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من هذه السياقات السالبة ثلاث اثنانيات شفعية يوضحها لنا مستقيم الاضلاع الدّلائلي (LE RECTANJLE SE MIOLOJIQUE الآتي:

نور (مواجه) لانور (عكس) (عكس) (مناسب) (مناسب) ظلام (مواجه) لاظلام

وطبعاً نجد هذه الاثنانيات في الأقسام الثلاثة المكونة لنهج البلاغة وهي الخطب والأوامر، الكتب والرسائل، الحكم والمواعظ.

هذه الاثنانيات الثلاثة هي:

١ـ الا ثنانية الشفعية التواجهية (VEISUS)

نور لانور

الظلام لاظلام

التي نراها في البعد الطولي للمستقيم.

٢ـ الا ثنانية الشفعية العكسية (CONTRAINE)

نور ⇆ ظلام

لانور ⇆ لاظلام

التي نراها على البعد العرضي للمستقيم.

٣ـ الا ثنانية الشّفعية التُّرادفية (SYNONINE)

نور = لاظلام

لانور = ظلام

ومعلوم أن هذا يتكون عندنا بالنظر الى الخطوط التي تربط النقاط الأربعة المكوّنة لزوايا المستطيل.

أ ب د ج

أما ان اعتبرنا المقولات اللسانية الموجودة على أضلع المثلثات أصبح عندنا أربع طوائف كلّ واحدة منها تجمع في نفس الآن المناسب والمواجه والمعاكس.

المثلث الأول، هو: أب ج

أ (مواجه) ب (معاكس) ج (مناسب)

المثلث الثاني هو أج د

أ مناسب ج مواجه د معاكس

المثلث الثالث هو: ب أ د

أ (مواجه) ب (مناسب) د (معاكس)

المثلث الرابع هو: ب ج د

د مناسب ب (معاكس) ج (مواجه)

الخاتمة. هذا هو الدرس اللساني الذي يمكن أن نستنبطه من الرسالة الإلٰهية في نهج البلاغة أو على الأصح من كلام أميرالمؤمنين سيدنا ومولانا علي كرّم الله وجهه الذي يقول فيه:

«أَنْزَلَ عَلَيهِ الْكِتَابَ نُوراً لا تُطْفَأُ مَصابِيحُهُ، وسِراجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحْراً لا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، ومِنْهاجاً لا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعاعاً لا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفُرْقَاناً لا يُخْمَدُ بُرْهانُهُ، وَتِبْياناً لا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لا تُهْزَمُ أَنْصارُهُ، وَحَقّاً لا تُخْذَلُ أَعْوانُهُ».

أقول هذا هو الدرس اللساني المستنبط من هذه الدرر الغالية قدمته بكل اختصار وتبسيط راجياً من الحقّ سبحانه وتعالى أن يمدّ في العمر لأقدم درساً آخر في المصطلحات اللسانية قديمها وحديثها التي أصبحت تشغل الآن بال جيلنا الصاعد الذي نريده صالحاً باذن الله. ولاغرابة مطلقاً أن تساعدنا نهج البلاغة في اغناء المصطلح اللساني وصاحبها هو الذي علّم النحو العربي لمؤسس النحو أبي الأسود الدُّؤلي وأرشد الناس بالمنهاج لايضلّ نهجه، الى الفصيح من القول والمبين من الكلام؛ هو الذي تأدّب بآداب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وتربّى في حجره وترعرع بين يديه الكريمتين، فجاء كرَّم الله وجهه أعلى مثال للانسان الكامل في كلّ المجالات التي يمكن أن تخطر بالبال.

وختاماً أشكر شكراً الرجال العاملين في مؤسسة نهج البلاغة الذين أتاحوا لي هذه الفرصة النادرة والسعيدة الطيّبة لأتحدّث معكم. والله تبارك وتعالى أسأل أن يكون جمعنا دائماً جمعاً مباركاً سعيداً وأن يحصل بمنّه وكرمه تفرقنا منه تفرقاً موفقاً معصوماً سالماً؛ انّه سميع الدعاء لاغيره، عليه توكلت هو حسبي ونعم الوكيل.

الفقر: مكافحته وعلاجه*

د. محمّد خير الحلواني

سوريا

* على هذه المقالة أيضاً تعليقات للسيد جعفر مرتضى ، أشرنا إليها بالأرقام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة[1]

صادف مني هذا البحث صنوفا من الضيق، والعسر، والتردد، كادت تأتي عليه قبل ان يلد بذرة فكرٍ صالحة للنمو والتفرع، ومن الصعوبة بمكان ان يرود القلم مجاهل جديدة، وصاحبه موزع النفس بين مطامح البحث، ومشاغل الحياة الملحة، ثم يشاء الله ان يعين عليه، فيكتب، ولكن يبقى في النفس منه منازع إلى الكمال، والى ترميم ما يعتور جوانبه من نقص وتقصير، تجنح بي للاعتذار، والتماس الصفح.

وحملت النفس على ان تقتنع بالقول المأثور: مالايدرك كله لايترك جله، ورحت استقري لسان العرب لعلي أجد فيه ادراكا محددا للفقر، فوجدت فيه مصداقاً لرأي اللغوي الانكليزى فيرث (FIRTH) الذى يرى ان معني الكلمة انماهو استعمالها في نص ما، ذلك ان (الفقر)[2] لايرتكز معناهما على مفهوم معجمي محدد، بل يختلف ويتنوع باختلاف النص وتنوعه، ووجدت علماء العربية وفقهاءها القدماء لايلتقون على رأي واحد في استقراء النصوص، وفي الموازنة بين (الفقير) و(المسكين).*

على ان معجم الحياة الاجتماعية يتيح لنا من اسباب الادراك فوق مايتيحه لنا معجم اللغة، فالافتقار فيه انما هوالاحتياج، ومفهوم الفقر في صفحاته يرجع الى علل ودواع يسهل حصرها وعدها، فهناك فقير يرجع سبب فقره الى عجزه عن العمل،

* - انظر في ذلك لسان العرب (فقر) و(سكن).

كأن يكون مقعدا، اومصابا بلوثة، او فيه عاهة تحول بينه و بين كسب قوته، وهناك فقير سليم الجسم، ولكن عمله لايدر عليه من الربح مايكفيه، و يكفي عياله، غير أنه يتعفف، ولايظهر من اسباب الفاقة والعوز مايلفت اليه الانظار، وهناك فقير سُدت في وجهه سبل العمل في موطنه، و يرجع فقره الى تخلخل الحياة والمجتمع، وضيق المنافذ إلى الرزق...[٣]

واذا عدنا الى معجم الفقه الاسلامي وضع بين ايدينا مفهوماقريبا من مفهوم الحياة الاجتماعية، اذليس للفقر فيه مفهوم مطلق، بل يحدده مستوى الحياة المعيشية، فالفقير في نظر الاسلام هوالذي «لم يظفر بمستوي من المعيشة يمكنه من اشباع حاجاته الضرورية، وحاجاته الكمالية، بالقدر الذي تسمح به حدود الثروة في البلاد. او هو من يعيش في مستوى تفصله فيه هوة عميقة عن المستوى المعيشي للأثرياء في المجتمع».*

اضرار الفقر:

وما أُراني في حاجة إلى الاطناب في الحديث عن اذى الفقر وضرره، وحسبي ان الـمّ بها المامة العابر، مشيراً اليها، لاباحثا ولامفصلا، فهو من حيث الضرر الخلقي يملأ النفس ضغائن واحقادا، و يزرع فيها بذور التمرد والتشرد، او يسوق اليها دواعي الضياع فتستسهل بيع الجسد والكرامة، الى جانب سقطات اخرى لعل اهمها ضعف التربية العام، فالرجل - كماجاء في الاثر - «اذا غرم حدّث فكذب، ووعد فاخلف». على ان هناك طائفة من الناس يتصونون، و يتعففون، ولايأكلون بثديهم وان جاعوا، بل «يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف» بيد انهم - الى ذلك - لا تسلم نفوسهم من ضرر آخر، ينتج عن تخلخل المجتمع، واضطراب موازينه، لعل أقله اذى القنوط، والشعور بالنقص، وكبت الرغبات، ووأد النزعات فى الصدور، وتضخم الحسد.

اما اضرار الفقر الصحية والجسدية فليست خافية على احد، فالعلاقة بين تنوع الغذاء والقوى العقلية والعضلية غير خافية، كما ان الاضرار الجسدية الناجمة عن قلة الغذاء أشهر من ان تشرح، فمنها فقرالدم، وتخلف الذهن، وتدهورالصحة العامة، اضف

* - باقرالصدر. اقتصادنا. ص: ٦٣١ . دارالفكر. الطبعة السادسة ١٣٩٤/١٩٧٤

الى ذلك ان قصر اليد، والعجز عن مراجعة الطبيب قد يؤدى الى تعشش المرض وتفشيه.

و ينعكس الضربان السابقان من الضرر على حياة الاسرة في المجتمع، اذ قد يودي الى الوان من الأثَرة، والطمع، تقضي على المحبة، واسباب التعاون، و يندلح هذا كله من دائرة الاسرة الضيقة الى دائرة الحياة العامة في المجتمع، فيلوث البيئة بانماط من التخلف، والتصرف، لا تزيدها إلا تقهقراً وضعفا.

وربما كان من المناسب ان نكف هذه الاضرار مجتمعة بالكلمة المأثورة: «كاد الفقر ان يكون كفرا» على ان نوسع من معنى (الكفر) فنخرجه من إطاره الفردى الى اطار الحياة العامة، فاذا عنى في الاطار الاول التمرد والخروج على اسباب العرف والخُلق والهدى والانتماء، فانه يعني في الاطار الثاني التفكك ، والتخلف، والتمزق.

المكافحة والمعالجة

اذاتجاوزنا الجذر اللغوي الذى يرجع اليه كل من هذين المصدرين استطعنا ان نستوحي من المكافحة مصارعة الفقر وجهاً لوجه، والقضاء عليه قضاء تاماً، أما المعالجة فتوحي الينا باتخاذ الاسباب والادو ية التي من شأنها ان تزيله وتقضي عليه، وبهذا يلتقي المصدران في النتيجة، وان كانا يختلفان في السلوك .

ومادام الامر كذلك فمن الممكن ان نسلك سلوكا يجمع بين المكافحة والمعالجة في كل فقرة من فقرات البحث، فلعل ذلك اجمع لابعاده، واسهل استيفاء لجوانبه. ولن اتبع المنهج التاريخي الصرف، بل سأزاوج بينه و بين غيره لدواع قد تتضح في نهاياته.

الاشتراكية ومعالجة الفقر:

لايشك احد في ان جذور الفقر ضاربة في اعماق التاريخ، وان الانسان منذ كان يبحث عن اسلوب من العيش يكفيه حاجاته ومتطلبات الحياة من حوله، سواء أكان ذلك مرتبطا بتوزيع الثروات المتاحة ام كان يطمح الى تنظيم المجتمع تنظيما شاملا يجمع فيما يجمع الجوانب الاقتصادية.

ومابي حاجة الى بحث الاساليب المقترحة على امتداد العصور، بل يكفيني ان اقف عند بعض المقترحات الاشتراكية، لانها في أقرب تعريفاتها، ثمرة لماعرفه التاريخ

البشري من صراع على مواردالعيش، ولما اصطنعته المجتمعات الانسانية من انظمة، ولماقدمته العقول من حلول.

ولئلا يطول البحث و ينشعب، ارى ان اختصر الاشتراكيات الكثيرة باشتراكية سان سيمون، واشتراكية ماركس، ففيهما - كماارى - مايغنى عن بحث مواقف الاشتراكيات الاخرى، ولاسيما ان ماقدمه ماركس بعد اكمل ماوصل اليه الفكر الاشتراكي، مع التفسيرات والتعديلات التي اضافها اِنجلز، ولينين، واضرابهما.

آ- سان سيمون والفقر:

اما سان سيمون فمن الممكن تشعيب فلسفته الاشتراكية في شعبتين: اولاهما دعوته الى العمل، والثانية دعوته الى تنظيم الملكية. ففي اولى الدعوتين يحمّل المجتمع مسؤولية تأمين العمل لافراده، فاذا تم ذلك كان تقاعس الفرد عن العمل ضربا من ضروب السرقة يحاسب عليه، لانه يقطف ثمار مايقوم به غيره، ومن هنا وجب على كل فرد ان يعمل بحسب قدرته، وان ينال الأجر الذى يستحقه بحسب الخدمة والانتاج.

وههنا يطلع عليه المجتمع بمشكلة الثراء الفاحش الذي يسمح لاصحابه الايعملوا، وان يجدوا مع ذلك من يَعملُ لهم، فلايجد بداً من الدعوة الى القضاء على الملكية، فيقدم مقترحات كثيرة يقضي بعضها بالغاء الميراث، حتى لا تنتقل الثروة الى ورثة ربما لايستحقونها، او لايحسنون القيام عليها. و يقضي بعضها الاخر بتنظيم الملكية بحيث يكون في المجتمع نوعان منها، ملكية عامة تسيطر فيها الدولة على الصناعة ومرافق الانتاج العامة، وملكية خاصة تقتصر على المواد الاستهلاكية ليس غير.

ومامن شك في ان اشتراكية سان سيمون تفتقر على اعتدالها الى النزعة الانسانية اذتسلب العامل حافزا مهما على الربح، والمزيد من النتاج، هو تأمين الحياة المرجوة لاولاده من بعده، فاذاعرف ان ثمار نتاجه لن تؤول اليهم بعد موته فقد يصير تصرفه فيها ضربا من التبذير و يقعد به عن العمل في اخريات ايامه.

وهناك انتقادات اخرى سوف تذكر في حينها، لئلا يتكرر القول في آراء متشابهة.

الماركسية والفقر:

تنطلق الفلسفة الماركسية في معالجة الفقر ومكافحته من مقولة اجتماعية ترى ان الغني لم يبلغ مستواه الاقتصادى الا لانه سلب مال الفقير، وهذا يعني ان توزيع الثروة ووسائل الانتاج لم يقم على العدالة، بل قام على القهر والصراع، وان الغني لم يكن غنيا بمواهبه وقدرته على العمل، بل بتخلخل المجتمع وتحيزه، وان الفقير لم يكن فقيرا لضعفه وتخلفه وكسله، بل بتدبير الرأسمالي وحنكته التي يساعده عليها تناقض المجتمع وتجمع الثروة في يديه.

ولايمكن ان ننهض بالفقير، ونزيل عثرته، الا بالقضاء على المجتمع الرأسمالي، وقيام مجتمع شيوعي، تتحول فيه جميع وسائل الانتاج لابعضها الى الدولة، ونقل الملكية هذا لايمكن ان يتم بتطور طبيعي بطيء للحياة والناس، بل لابد من تحقيقه بوسائل عنيفة اهمها الثورة المسلحة، والحرب الاهلية، مثلما حدث في روسيا، ولايمكن ان تستقر الاوضاع بمجرد نجاح الثورة وسيطرة رجالها، اذلابد من حراستها وحراسة ظفرها بحكم دكتاتوري تقوم به الطبقة البروليتارية بشكل يسمح لها ان تنقل الملكية الخاصة الى الملكية العامة نقلا مفاجئا على شكل مصادرة لا تعويض فيه، ففي اعتقاد ماركس ان منح اصحاب الملكية تعويضا عنها يتناسب مع قيمتها «يَشلُّ الاهداف العميقة للحركة الاشتراكية»*

وحين تصل الدولة الى المرحلة الكاملة من تطبيق الاشتراكية تكون جميع وسائل الانتاج، ورأس المال، وتنظيم المجتمع في يدها، اوفي يد جهازها الهَرَمي، وهذا يوفر منافع كثيرة منها:

١- تتأمن السلع الانتاجية لجميع افراد الشعب.

٢- تزول فوارق الثراء بين الناس، فليس هناك غني، وليس هناك فقير.

٣- يتحتم على الدولة ان تضمن لكل مواطن دخلا نقديا معينا، وتسمح له ان ينفق دخله كيفمايشاء.

٤- تُحدَّد الاسعار بما يتناسب ودخل الافراد.

* - انظر: د. صلاح الدين نامق. دراسات في الاشتراكية. ص: ٦٢ القاهرة: دارالمعارف ١٩٦٨

وميزة هذاالاجراء انه لايعتمد على الربح، بل على حاجات المجتمع، ولذلك لايتطلع الى اسواق خارجية يغرقها ببضائعه، بل حسبه ان يؤمن لافراد الشعب ماهم بحاجة اليه. أضف الى ذلك انّه يخضع لتخطيط تقوم به الدولة بأجهزتها المسؤولة، وهذا التخطيط يصدر عن طبيعة المجتمع والحياة، فيحدد نوع الانتاج وكميته.

ومن الممكن «تلخيص السمات الاساسية للانتاج الاشتراكي كمايلي:

اولا ـ انه انتاج جماعي يشبع حاجات المجتمع ككل: اي هو انتاج الخيرات المادية الضرورية للمواطنين، دون تفرقة بين نصيب فئة من فئات المجتمع وفئة اخرى.

ثانيا ـ انه انتاج هادف و بنّاء على خطة مَدْروسة تضمن استخدام جميع الموارد القومية المادية والبشرية بطريقة عملية وعلمية، لكى تحقق الخير لمجموع الشعب.

ثالثا ـ ان هناك اولويات في القيام بالمشروعات الانتاجية.

رابعا ـ ان الانتاج الاشتراكي لايهدف الى تحقيق الربح، بقدر مايهدف الى اشباع رغبات المجتمع، في ظل الخطة الاشتراكية الموضوعة.»*

و يتضح من هذا ان الاشتراكية الماركسية قدمت انضج الحلول الاشتراكية التي ظهرت في التاريخ، ولكنها مع ذلك ترتبط بنظام من الحكم اقل مايقال فيه انه يقوم على سفك الدماء وانه يحفظ سيطرته بممارسة الارهاب، والجاسوسية، والسجن.

واذا اغضينا على هذا، وجدنا في طبيعة النظام نفسه افتقارا الى الشعور الانساني خلال العمل، فالعامل لايقوم بالانتاج بوازع داخلي يهيب به الا يقصر اويخل بالعمل، لانه لايضع نصب عينيه الا تأمين حياته وحاجاته، ولايتمسك بالنظام الا خوفا من جلاديه ومعذبيه، فهو كالالة التي يمارس بها عمله.

يضاف الى ذلك ان وسائل الانتاج سوف تسند الى ايد لا تؤلمها الخسارة، ولايسعدها الربح، ولكنها تقوم عليها مثلما يقوم الموظف على اوراقه، وفي مثل هذه الاحوال تتفاوت الضمائر في الرعاية والعناية، فان لم يكن ثمة وازع من الشعور الذى يرتبط بقيم اخلاقية او دينية، فان الامر حينئذ يصير الى حال تفتقر الى الضبط والاطراد، وربما كانت الشواهد والادلة على صحة مانقول ممايسهل الاشارة اليها في البلاد التي تطبق الماركسية او تأخذ بنظام التأميم والقطاعات العامة.

والى جانب هذا ايضا قطعت الماركسية الصلة بين الانسان و مُثُله العليا حين

* ـ نفسه: ٧٥

حالت بينه وبين السماء، فاذا اطعمته وامنت له مستقبلا ماديا فان ذلك جاء على حساب مُثُلِه وروحه وديانته حتى ليمكن القول: إنها حولته الى جسد صرف.

الحل الرأسمالي:

على ان الحل الرأسمالي ليس خيرا من الحل الاشتراكي، بل لعله ان يكون في طبيعته أكثر خصبا لنموالفقر وتشعب فروعه، اذ يقوم على فلسفة فكرية واقتصادية ترد الفقر الى اسباب ذاتية لااجتماعية، فوسائل الانتاج كماتراها متاحة لكل فرد، ومنافذ العمل متعددة ومفتوحة امام الجميع، وحرية الاختيار ليست مراقبة ولاموكولة الى دولة دكتاتورية، فاذا افتقر انسان في هذه الظروف الميسرة له فان فقره يعود الى ضعف فيه، اوقصور في مداركه.

ولاشك ان هذه الفلسفة لا تقوم على مرتكز موضوعي صحيح، ذلك ان اتاحة وسائل الانتاج ليست في الحقيقة ميسرة للجميع، بل لا تتيسر الا لمن يملك المال، وحينئذ يصبح الفقير العامل تحت سيطرة رب العمل، و يفرض عليه ضروب العسف والاستغلال مايلائم مصلحته، وههنا ينجم التصدع بين شقي المجتمع: الشق العامل، والشق المستثمر. و ينتهي هذا التصدع الى التفاوت في اساليب العيش، فهناك الفقير الذى لايجد بين يديه مايكفيه، و يكفي حاجات عياله، وهناك الثري الذى يفتّن بالبذخ والتبذير، والترف. وتنشأ من جراء ذلك طبقة الاثرياء المتخمين وطبقة الفقراء المعدمين.

على ان الدول الرأسمالية الصناعية اضطرت في النهاية تحت ضغط الاشتراكية العالمية الى وضع نظام الضمان الاجتماعي، وسوف ينجلي لنا في فقرات هذا البحث.

ولعل اسوأ ماتحمله تناقضات الرأسمالية هو تلك الحرية السائبة التي لا تؤول الى غير الطمع، والمزيد من الارباح، وبهذا يكون الدافع الى العمل طِلابَ الربح، لا تأمينَ الحاجات و يؤدى هذا الى البحث عن اسواق خارجية، بحيث ينتقل الضرر من اطار البلد اوالوطن الى أُطُر أبعد منه فيصيب الجار القريب، والنائي البعيد.

وهذا نفسه يتيح لصاحب الملكية ان يتمتع بحق اقتصادي لايخلو من غرابة، هواستعمال مايملكه، وسوء استعماله اذاشاءت مصالحه الشخصية، «ومن هذا المنطلق

انطلقت تشريعات نابليون، وكل الانظمة الاقتصادية البرجوازية، وهكذا يتمتع المالك بحق الهي مطلق، فيستطيع ان يتلف دون اى عقاب كل مايملك ، ولوكان في ذلك حرمان للمجتمع من ضروراته الحيوية، كمايكدس الخيرات ويحتكرها بلاحساب. والقانون الفرنسي الذي ينظر الى المؤسسات على انها امتداد لحق موروث يعطي الحق الى مالكيها في وقف اعمالها او التصرف بها، او تسريح العاملين فيها.»*

وفي ظل النظام الرأسمالي تظهر الحلول الفردية لمشكلة الفقر، وربما كانت الصدقة بمعناها الضيق، واعني بها: «الاحسان» ابرز الدعوات التي ينادى بها المصلحون، ومن البديهي ان مثل هذه المقترحات تبقى في نطاق محدود، ولا تبلغ ان تصير نظاما يصون كرامة الانسان ويحل المشكلة حلا مقبولا.[٥]

الحل الاسلامي:

مما تقدم رأينا أن كلا من الرأسمالية والاشتراكية لايتكامل فيها الحل، ولاينتهي بالفقير الى حياة سليمة من جميع الجوانب، بل يزيل مشكلة لتنجم بازالتها مشكلة اخرى، فهل يحل الاسلام مشكلة الفقر حلا جذريا يحقق ماعجزت عنه الحلول الارضية؟

ان من يستقري النصوص الاسلامية يستوحي منها ان الفقر مرض اجتماعي بالغ الخطورة فقد نقل عن رسول الله(ص) قوله:[٥] **«كاد الفقر أن يكون كفراً»**** وقوله: **اللهم انّي أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق»*****

ولابد إزاء هذه النظرة من ان يكون هناك دواء يعالج هذا المرض، و يكافح جراثيمه التي تفتك في الجسد، والنفس، والعقيدة، ويحول الانسان السوىّ المستقيم الى انسان ناقم، حاقد، مريض، لايستطيع القيام بواجباته، ولايقوى على قضاء حاجاته.

واول حل دعا اليه الاسلام هوالسعي والعمل، فلم يجزللمسلم ان يقعد عن طلب الرزق، وان يتكل على غيره فيه، لان السماء لا تمطر ذهبا ولافضة، **«فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض، وابتغوا من فضل الله.»** (الجمعة ١٠) **«هوالذي جعل لكم الارض**

* ـ مايعد به الاسلام: ٩٥/٩٦. دمشق١٩٨٢: روجيه غارودى

** ـ انظر: ابن مالك : شواهد التوضيح: ١٠١. القاهرة: ١٣٧٦/١٩٥٧

*** ـ رواه الحاكم والبيهقي

ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه.» (الملك ١٥) والاحاديث النبوية التي تحض على العمل كثيرة جدا، بل ان بعضها ليعده ضربا من الجهاد في سبيل الله، فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا مر برسول الله(ص)، فرأى اصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا: يارسول الله، لوكان هذا في سبيل الله، فقال لهم الرسول: ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، الى آخر ماجاء في الحديث.

وللعمل في الاسلام حوافز نفسية وانسانية، فهو لم يحرم على المسلمين الملكية الفردية كمافعلت الماركسية في مجالها النظري، ولكنه لم يتح ايضا لها من الحرية مايجعلها اذى وضررا للمجتمع، كمافعلت الرأسمالية، والاساس النظري للملكية في الاسلام ان الانسان نفسه لايملك شيئا، لان الملك كله لله وحده، فهو رب العالمين، ومالك كل شئ، ولكنه يستخلف عليه اناسيّ ليقوموا به، و يتصرفوا فيه بوحي من العقيدة الدينية السليمة، «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» (الحديد ٧) «ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله» (الطلاق ٧) «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» (النور ٣٣).

واذن، فان الملكية الفردية ليست امتيازا، كمافي الرأسمالية، بل هي تَبِعة يسأل عنها الانسان امام الدولة، وامام ضميره الديني، فمابين يديه ملكله في الحدود التي يسمح بها الله، وهو في نفس الوقت ليس له، لانه ملكالله الذي يراه، و يراقبه، ولاينام له طرف.

ومن اجل ذلك ينكرالاسلام أن تتحول هذه الملكية الى هوس يؤدّي بصاحبه، يجمع المال ويحرم منه المجتمع، و يسلك في الكسب مسلك الغش، والخديعة، والكذب، وظلم الانسان، ومن ههنا حَرَّم الربا في شتىٰ صوره، ومختلف اشكاله، وقاوم الاحتكار، وعنّف الغشاشين، ودعا الى اقامة الوزن بالقسط، وحرم الكسب الذي لايراعي تعاليمه، فلايجوز الاتجار في المخدرات، والمسكرات ومااليها.

هذه الصور السلبية من المحرمات تقف حيالها صور اخرى من الايجابيات تدعوا الى مشاطرة المال واقتسامه، وتبارك الصدقات، وتحيل الملكية الى «خير» لاشر فيه، اذ يجب أن يكون العطاء خاليا من الأذى، نقيا من المن، جالبا للأجر والمثوبة.

وفوق هذا كله تبقى الملكية الفردية في حدود الإخلاق الاسلامية، ولهذا لايسعى المالك في كسبه الى الربح كيفما كان، بل لابد له أن يسعى الى «خير» المجتمع، ويجتنب «شره»، اي لابد له ان يسعى الى تأمين حاجاته، وان يكف عما لاحاجة به

اليه، فالاقتصاد في الاسلام يختلف عن النمط الغربي في التنمية، فهو لايرى في الانتاج والاستهلاك غاية يسعى اليها، ولذلك لايصرف همه الى المزيد من الانتاج والاستهلاك ، سواء أكان ذلك لازما للمجتمع أم لم يكن كذلك ، بَلْهَ أن يكون خطراً على المجتمع والحياة، بل يرمي في عملية التنمية الى اقامة التوازن والانسجام.*

بهذه المبادئ الانسانية العامة يضع الاسلام حله السليم لمشكلة الفقر، واول لون من الوان هذا الحل هوالضمان الاجتماعي الذي سبق فيه جميع الانظمة من رأسمالية واشتراكية.

فقد جاء في كتاب الاستاذ المرحوم محمد باقرالصدر: «اقتصادنا» عن نظام الضمان الاجتماعي في الاسلام مايكفينا مؤنة الاطناب فيه، اذ ذكر ان الاسلام «فرض على الدولة ضمان معيشة افراد المجتمع الاسلامي ضمانا كاملا، وهي عادة تقوم بهذه المهمة على مرحلتين: ففي المرحلة الاولى تهيئ للفرد وسائل العمل، وفرصه المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادى المثمر،» فان لم تستطع لملابسات خاصة بها «جاء دور المرحلة الثانية التي تمارس فيها الدولة تطبيق مبدأ الضمان عن طريق تهيئة المال الكافي لسد حاجات الفرد، وتوفير حد خاص من المعيشة له»

و يرتكز نظام الضمان الاجتماعي في الاسلام على مبدأين:

١ـ اولهما التكافل الاجتماعي.

٢ـ والثاني حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

ولكل من المبدأين حدوده ومقتضياته. فمقتضيات الاول ـ وهو التكافل ـ أن يكفل الاغنياء الفقراء في حدود إمكانياتهم، وهذا فرض كأى فرض اخر في الدين، وللدولة الحق في ان تلزم رعاياها بامتثال ماتكلفهم به شرعا، «فكمايكون لها حق اكراه المسلمين على الخروج الى الجهاد لدى وجوبه عليهم، كذلك لهاالحق في إكراههم على القيام بواجباتهم في كفالة العاجزين.» ففي حديث منقول عن الامام جعفر بن محمد يذهب إلى أن «أيما مؤمن منع مؤمنا شيئا ممايحتاج اليه، وهو يقدر عليه من عنده أومن عندغيره، أقامه الله يوم القيامة مسودا وجهه، مزرقة عيناه مغلولة يداه الى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثم يؤمر به الى النار»**

* ـ انظر: زوجيه غارودى، المرجع السابق ص: ٩٩

** ـ باقر الصدر. اقتصادنا. ص : ٦١٥ / ٦١٧

ولاشك ان الامام جعفر في هذا الحديث يصدر عما أثر عن الرسول (ص) من احاديث ومواعظ، كقوله: «ماآمن بي من بات شبعان وجاره إلى جانبه طاوٍ» وقوله: «اى رجل مات ضياعا بين اغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله.»*

وعلى الدولة الاسلامية في الضمان الاجتماعي مسؤولية مباشرة واساس نظرى ترتكز عليه.

اما المسؤولية فتفرض على الدولة ان تضمن الفرد في حدود حاجاته الحيوية، كما تفرض عليها ايضا «ان تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه أفراد المجتمع الاسلامي لان ضمان الدولة هنا ضمان اعالة، واعالة الفرد هي القيام بمعيشته وامداده بكفايته.»

والكفاية مفهوم مرن يتسع مضمونه «كلما ازدادت الحياة العامة يسرا ورخاء»**

واما المرتكز النظرى فهو ايمان الاسلام بأن للفرد الحق في الانتفاع بموارد الثروة «لأن هذه الموارد الطبيعية قدخلقت للجماعة كافة، لالفئة دون اخرى» «خلق لكم مافي الارض جميعا» وهذا يعني ان كل فرد من الجماعة له الحق في الانتفاع بثروات الطبيعة والعيش الكريم منها.»***.

اما الطريقة المعتمدة لتنفيذ هذه الفكرة فهي ايجاد قطاعات عامة، ينشيها الاقتصاد الاسلامي ليرتد ريعها على الفقراء بجانب فريضة الزكاة ****، وذلك يعتمد على نصّ قرآني صريح، هو قوله تعالى: **ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى، فلله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى والمساكين، وابن السبيل، كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم.**

وهذه الموارد تشمل الزكاة، والوقف، والوصية، والغنائم، والصدقات العامة، بل لايمنع الاسلام أن يُنْفَق من بيت الله على غيرالمسلمين من اهل الكتاب، فقد نقل عن الامام علي رضي الله عنه «انه مر بشيخ مكفوف كبير يسأل. فقال اميرالمؤمنين، ماهذا؟ فقيل له: ياميرالمؤمنين انه نصراني، فقال الامام: استعملتموه حتى اذاكبر وعجز منعتموه»*****

والضمان الاجتماعي في الاسلام اصل ثابت مرن يمكن التصرف فيه بحسب

* - باقر الصدر: نفسه. ص ٦١٨.
** -نفسه: ٦٢٠
*** - انظر: الموصلي في شرح المختار: ١٢٩/٣. القاهره بلا تاريخ.
**** - نفسه: ٦٢٢/٦٢١
***** - نفسه : ٦٢٣

ماتقتضيه المصلحة والبيئة، وفي الحدود التي يسمح بها الدين. انه ينظر في حاجات الناس التي تتناسب مع حياة المجتمعات المختلفة، و يكفيهم اياها.

وهو يختلف عن النظم الحديثة في الغرب، لانه يقوم على أساس الحاجات المعيشية، اما هي فتقوم على «**اساس عطاء المؤمن له من التعويضات والمساعدات بنسبة مادفع له من اقساط طوال سنوات عمله، لاعلى أساس حاجاته.**»*

و يشتمل الضمان الاجتماعي على اجراءات وتدبيرات كثيرة تقوم بها الدولة، بحسب ماتملي عليها الملابسات، منها مثلا:

١ـ تحديد الاسعار بمايتناسب ودخل الفرد.

٢ـ توفير المواد الغذائية الأساسية وإسهام الدولة في شرائها، وذلك كالخبز، والسكر واللحم، واضرابها.

٣ـ تيسير صناعة المواد الخاصة بالملابس، وتخفيض نفقاتها، وتحديد اسعارها.

«ويخلص الاسلام من ذلك الى القول: بان التوازن الاجتماعي هوالتوازن بين افراد المجتمع في مستوى المعيشة لافي مستوى الدخل، والتوازن في مستوى المعيشة معناه أن يكون المال موجوداً لدى افراد المجتمع، ومتداولا بينهم الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام، اى ان يحيا جميع الافراد مستوي واحدا من المعيشة مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد، تتفاوت بموجبها المعيشة، ولكنه تفاوت درجة وليس تناقضاً كليا في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي.»

«وقد قام الاسلام من ناحيته بالعمل لتحقيق هذا الهدف بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الاسراف، و بضغط المستوى من اسفل بالارتفاع بالافراد الذين يحيون مستوى منخفضا من المعيشة الى مستوى ارفع، و بذلك تتقارب المستويات حتى تندمج اخيرا في مستوى واحد، وقديضم درجات، ولكنه لايحتوي على التناقضات الرأسمالية الصارخة في مستويات المعيشة.»**

وأراني بعد هذا كله، في غيرماحاجة الى الاطناب في بحث قيمة الزكاة في مكافحة الفقر وعلاجه، والى تجاوز الحديث الفقهي عنها، فهو شيئ أظهر من ان

* ـ الدكتور يوسف القرضاوى. مشكله الفقر. ص: ٣٠ القاهره ١٣٩٥ـ ١٩٧٥

** ـ باقر الصدر. ص ٦٢٦

نتحدث عنه في مؤتمرنا هذا، وكل ماأريده هنا هو قدرة الدولة الاسلامية على الاستعانة بنظام الزكاة، اوقانونها للقضاء على الفقر.

فالزكاة كماهو معروف فريضة كالصلاة، والحج، وركن من اركان الاسلام التي تجمع بين العقيدة والتطبيق، إنها واجب على ذوي اليسار، وحق من حقوق الفقراء، ثم هي فوق ذلك مماتسعى الدولة الى تحصيله، ووضعه في خزينة خاصة لها نفقاتها المستقلة بها، وعلى هذا يمكن أن يكون لها مشروعاتها التنموية الخاصة التي يمكن أن تتكيف بحسب المجتمعات واختلاف مواردها، وحالات الفقراء فيها، فمن السهولة بمكان أن تنظم قوائم بأسماء الفقراء، ومستوياتهم، ومبالغ أعطياتهم، وأنواعهم، كالعَجَزة، وطلاب العلم، والعاملين عليها، ومن الممكن ايضا أن تستغل اموالهم للقيام بمشروعات اقتصاديةعامة[٧]،توجهها الدولة الى استثمارات خاصة تؤمن حاجيات المجتمع اولا، وتستقطب الايدى العاملة الفقيرة فيها، ومن شأن هذا ان يحقق التوازن في المجتمع.

وبهذا كله تكون الزكاة من اهم موارد الدولة لتأمين الضمان الاجتماعي، الذي يحفظ كرامة الاخذ، ويحقق العدالة، و يوزع الثروة توزيعا عادلا مثاليا، وهي ليست احسانا فرديا «وانما هي تشريع عادل ملتزم يترجم تعاون المؤمنين إلى واقع عملي، هؤلاء الذين ينجحون في قهر أنانيتهم، وكبح جماح شحهم، والزكاة تركيزدائم بأن الاموال والارزاق ملك لله وحده، وبأن الفرد لايمكن له التصرف على هواه، فهو عضوينتسب الى جماعة.»*

* * *

واسمحوا لي في ختام هذه الكلمة ان أكرر اعتذاري عن التقصير في البحث والتنقيب، ولعل ماقدمته لايزيد على اشارات و تخطيطات، وقد كفاني كثير من الباحثين الاجلاء مؤنة الاطناب والتفصيل، أخص منهم بالذكر المرحوم الشهيد باقرالصدر، صاحب الكتاب القيم «اقتصادنا» والاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي صاحب كتاب «الزكاة»، الى جانب باحثين آخرين اطلعت على ماقدموه اطلاعا عاجلا، فلهم ولكم جميعا الشكر، ولمؤسسة «نهج البلاغة» والقائمين عليها اطيب تحياتي، وأمنياتي لها بالنجاح والتوفيق.

* - روجيه غارودى. مايعد به الاسلام. ص: ٥٦٠

تعليقات على هذه المقالة

١ ــ لم يتعرض هذا البحث لموقع الخمس عن الاقتصاد الاسلامي بل اكتفى بالتركيز على الزكاة ونحوها وذلك انطلاقاً من المذهب الفقهي الّذي يتبنّاه الكاتب ولأجل ذلك نجد أنَّ بحثه قدجاء ضعيفاً نسبيّاً وليس قادراً على تقديم أطروحة متكاملة عن الاقتصاد الاسلامي. كما أنَّ الكاتب متأثّرٌ جدّاً بفلسفات غير اسلامية ولأجل ذلك تجد في بحثه الكثير من الفجوات.

٢ ــ والظاهر أنَّ في الجملة سقطاً. والسّاقط هو كلمة «والمسكنة».

٣ ــ و يعبّر عن ذلك في لسان الفقهاء بأنَّه من لايملك قوت سنته ومايلبّي حاجاته الّتي تليق بحاله وتتناسب مع دوره الفاعل ومسؤولياته في الحياة الاجتماعيّة بصورة عامّة...

٤ ــ المناقشات الّتي ذكرها المؤلّف هنا ليست هي كلّ مايقال حول الاشتراكية الماركسية؛ فهناك الكثير من الثغرات الّتي لايمكن التغاضي عنها... ومن أراد المزيد في هذا المجال فعليه بمراجعة كتاب «اقتصادنا» للشهيد الصدر... وإلاّ فانَّ ماذكره الكاتب هنا ليس إلاّ مؤاخذات من الدرجة الثانية أو الثالثة وليست هي المآخذ الرئيسية على المذهب الاشتراكي الماركسي في أيّ حال... فليلاحظ ذلك بدقّة وليراجع الكتاب المذكور.

٥ ــ ولاشك في أنّها كذلك مادامت لا ترتبط بالله ولا تشكل حلقة في جملة حلقات كثيرة تشكل بمجموعها نظاماً متكاملاً كما هو الحال بالنسبة لموقعها في الاسلام...

٦ ــ وهذا التفاوت في الدرجة في داخل ذلك المستوى انّما تفرضه طبيعة الاختلاف في مستوى فاعلية الفرد داخل المجتمع وحدود مسؤولياته فيه.

٧ ــ هذه النظرية فيما ترتبط بالزكاة تحتاج الى تمحيص فقهي من قبل أهل الاختصاص والمجتهدين.

مكانة الطبقة العاملة
و دورها
في وقاية المجتمع

محمد بامبا انجاي

سنغال

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على خاتم الأنبياء، محمد رسول الله وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبه الأخيار.

إن كتاب «نهج البلاغة» للإمام علي عليه السلام عبارة عن خطب ووصايا ورسائل، وأوصاف دقيقة تنير طريق كل مسترشد، وتساهم في تحرير كل من يتعرّض لظلم وجور الطغاة، بل انّها سجل تاريخي لكل إداري يتوخّى العدل والمساواة في إدارته.

ولقد تناول الإمام عليه السلام موضوعات مختلفة في هذا الكتاب، ودرس فيه المسائل متباينة، وعرض في طيّاته حلولاً ناجعة لكل من يريد الانتماء الى أمة التوحيد، أمة نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً.

أمّا بعدُ: فبينما كانت للطبقة العاملة دور فعّال ومكانة مرموقة في كل مجتمع يريد الارتقاء، فإن الإمام علياً عليه السلام كرّس لهذا الباب جزء وافراً فيما يجب أن نسميه أول موسوعة في التاريخ الاسلامي ألا وهو كتاب «نهج البلاغة». وللدخول مباشرة في لبّ الموضوع نعرض على سماحتكم مقتبساً من إحدى رسائل الإمام عليه السلام الى

مالك بن الحارث الأشتر النخعي، لما ولاّه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر:

«واعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها إلّا ببعض، ولاغنى ببعضها عن بعض: فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجّار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيّه - صلى الله عليه وآله وسلّم - عهداً منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلّا بهم. ثمّ لاقوام للجنود إلّا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوّهم، و يعتمدون عليه فيما يصلحهم، و يكون من وراء حاجتهم. ثم لاقوام لهذين الصنفين إلّا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب، لما يحكمون من المعاقد، ويجمعون من المنافع، و يؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها.

ولاقوام لهم جميعاً إلّا بالتجّار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم، و يكفونهم من الترفق بأيديهم مالايبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رفدهم ومعونتهم. وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حقّ بقدر مايصلحه، وليس يخرج الوالي من حقيقة ماألزمه الله من ذلك إلّا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خفّ عليه أو ثقل».

كما يقول الإمام علي عليه السلام أيضاً:

«ثم أستوص بالتجّار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فانهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجُلّابها من المباعد والمطارح... فامنع من الإحتكار، فان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً: بموازين عدلٍ، وأسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع. فمن قارف حكرة بعد نهيك إيّاه فنكّل به، وعاقبه في غير اسراف.»

ومن هنا يظهر جلياً من خلال «نهج البلاغة» على أن للطبقة العاملة مكانة كبرى في وقاية المجتمع، لأن الإمام عليه السلام يراها كقوام للأصناف الأخرى في داخل المجتمع، وسنداً له لايقوم إلّا بها. وهم «أسباب المرافق، وجلاّبها من المباعد» وهكذا تشارك الطبقة العاملة في وقاية المجتمع من الآفات الاجتماعية التي هي أكثر خطراً من الأوبئة الفتّاكة.

وعليه، نرى أن العمل، طبقاً لترتيبات الشريعة الاسلامية، يساهم كثيراً في تحرير الفرد بل في تحرير المجتمع من آفات الفقر، وعاهات الفاقة. والإسلام، كما يمكن ملاحظته، قد سبق المذاهب الهدامة والمتخلفة مثل الماركسية وماشاكلها في

تحديد مكانة الطبقة العاملة في المجتمع، وهو لا يراها في مكان العداوة والتباغض مع الطبقات الأخرى، بل هي تتولى عبء حماية غيرها من الطبقات، ولها مسؤولية وقايتها؛ وشتان مابين هذا الدور الانساني، وهذه المكانة المرموقة و بين صراع الطبقات الذي يراه المذهب الماركسي كمحرك لتاريخ البشرية. وهكذا تسعى الماركسية جادة الى افهام الطبقة العاملة بأن قيادة المجتمع من أدوارها الأساسية وحق ثابت لها دون غيرها، وانَّ عليها تحطيم وتدمير الطبقة الثرية أي البرجوازية، والسيطرة على زمام الحكم بجميع الوسائل... ويجب الاحتفاظ به بواسطة الديكتاتورية البرولتارية. نعم، إنَّ الإسلام، هو دين السلام، والوئام ودين الوفاق بين جميع أصناف البشرية الذين استجابوا لدعوة رسول الاسلام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

واذا ألقينا نظرة خاطفة في جميع المذاهب والأيديولوجيات العلمانية نرى على أنها تفرق بين طبقات البشر وتضع الفوارق فيما بينها، وتجعل من الفقر والغنى مقياساً للأفضلية. وذهبت المجتمعات الجاهلية الى تبنّي فلسفة مادية شعارية «الغاية تبرر الوسائل» وكما قال الأستاذ محمد أسد: «فالرجل العادي في أوربا، ديمقراطيّاً كان أم فاشياً، رأسمالياً كان أم اشتراكياً، وعاملاً كان أم رجل فكر، إنَّما يعرف ديناً واحداً هو عبادة الرقي المادي، والاعتقاد بأنه لاغاية في الحياة إلاَّ أن يجعلها الإنسان حرة طليقة من قيود الطبيعة.

أما كنائس -ومساجد- هذا الدين، فهي المصانع الضخمة ودور السينما ومختبرات الكيمياء ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء.

وأما كهنتها وأئمتها -فهم رؤساء المصارف- وأرباب العمل- والمهندسون والممثلات وكواكب السينما، ورجال الأعمال من التجار والصنّاع».

نعم إن مثل هذه الرؤية الخاطئة للحياة والعمل حملت بعض مفكري الغرب الليبيراليين أو العماليين الى القول بأن العمل للمصلحة الفردية أنجع وسيلة لتنظيم الحياة الجماعية، وان لاداعي الى تبنّي القيم والأخلاق بل يكفي أن نترك كل فرد يعمل كما يراه لمصلحته الشخصية ممّا سيحمله حتماً على العمل لمصلحة الجماعة! إن كل هذه النظريات لا تنتج فعلاً طبقة عاملة تلعب دورها الطبيعي في وقاية المجتمع. لأن العامل في هذه النظريات جزء تمام الإنفصال عن المجتمع ولايكون هدف العمل نبيلاً ولاانسانياً، بل هو لارضاء المطامع الفردية، أو في أحسن الحالات لسدّ حاجيات شرذمة قليلة قدترى نفسها على العرش والناس في الدرك الأسفل من سلّم الحياة.

وإن حياتنا اليومية تترجم بصراحة ووضوح عن انحراف هذه النظريات إذ نحن نعيش في مجتمعات تكون فيها الطبقة العاملة في صراع مستمر مع الطبقات الأخرى، وفي حروب ونزاعات لاهوادة فيها. ولايوجد في مجتمعاتنا الحاضرة المنحرفة أي تماسك أو تلاحم فيما بينها، وذلك لأن دعامة الوحدة ابتعدت عن القلوب والأرواح بابتعاد الناس عن الاعتصام بحبل الله الذي لاانفصام له. وفي ضوء الإنقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى يمكننا أن نفهم حقيقة تلك الطبقة العاملة التي وصفها الامام الطاهر علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه «نهج البلاغة» ورأى رؤية صادقة صائبة على أنها ذومكانة رفيعة ودور فعّال في وقاية المجتمع.

نعم، إن الإمام علياً عليه السلام يقتبس آراءه وتعابيره من الكتاب المقدّس، و يستنير من نور خاتم الأنبياء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما أن القرآن الكريم هو «القول الفصل» وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم «لاينطق عن الهوى» فإن كل من يسير على هذا الدرب، و يتكلّم عن لغة القرآن و يتمسك بتعاليم السنة النبوية الشريفة يتّصف حتماً بصفات الصدق والإخلاص مثلما هي الحال لذلك الإمام الجليل الذي قال عنه نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وسلّم بأنه «باب مدينة العلم».

ولإدراك فحوى هذه الحقائق التي تتجلى في طيّات «نهج البلاغة» لابدَّ وأن نعرف بأن «العاملين» في منظور الإمام علي عليه السلام يتصفون بأوصاف أوّلها الإيمان وثانيها الإخلاص وثالثها التقوى.

فلنستمع الى قوله عليه السلام: «... وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصدّيقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل، ومنار النهار... لايستكبرون، ولايعلون، ولايغلون، ولايُفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل».

وهكذا يناشد الإمام عليه السلام بالعدالة الإجتماعية في جميع جوانبها وفي مختلف مظاهرها فيقول:

«وتفقد أمر الخراج بمايصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولاصلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأن الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لايدرك إلاّ بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلاّ قليلاً.».

ثم يوصي قائلاً: «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم، من المساكين والمحتاجين

وأهل البُؤسىٰ والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم» «واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلّمك متكلّمهم غير متتعتع، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول في غير موطن: «لن تقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع».».

و يرى الامام علي عليه السلام على أن العمل مقرون بالإيمان بل هو مقياسه فيقول: «المؤمن بعمله» و«العمل رفيق المؤمن». انّه يقدر العمل حقّ قدره و يعرف بأن للعمل دعائم وقوائم لايقوم إلاّ بها: فيقول: «العلم يرشدك، والعمل يبلغ بك الغاية».

ومن حكمة الإمام عليه السلام أن قال في نفس الرسالة التي سبق ذكرها:

«ثم أُنبظر في أمور عمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجَوْر والخيانة. وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوت الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً، وأقل في المطامع اشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً».

وهكذا يوصي الإمام للارشاد والتوجيه في مهمة اختيار العمّال، ولاشك في انّه لوتوصل الأمراء والرؤساء الى تبنّي هذه النظرية الرشيدة في انتقاء من يتولون الأعباء في الدول والمناصب والوزارات والمصانع والمعامل، لساد الأمن والسلام والإستقرار في كلّ أرجاء المعمورة. ولوأن أرباب الأعمال توخّوا وصايا الإمام علي عليه السلام ونصائحه في تقييم أجور عمّالهم لخمدت نار التوترات والاضطرابات الاجتماعية، ولانطفأت نيران وشرارات القنابل المسيلة للدموع التي تتناثر بين رجال البوليس والعمّال في حالة الإضرابات المتعاقبة والمقاطعات المترددة عن المصانع والمعامل، طلباً لاسترداد حقوقهم المغتصبة من طرف أولئك الذين يمتصون دماءهم و يستغلون مهارتهم وقوتهم، ولايدفعون اليهم مقابل ذلك مايسدون به رمقهم، و يشبعون به جوع عوائلهم.. بينما أمرهم الإمام عليه السلام في ذلك قائلاً:

«... ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ماتحت أيديهم، وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أوثلموا أمانتك» ثم بعد مراقبة الله الذي يرانا وان لم نكن نراه، يوصي الإمام عليه السلام بضرورة مراقبة العامل مراقبة لا تتنافى مع الانسانية والبشرية السمحاء:

«ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية. وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده الى

خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.» هكذا، تكون العلاقات طيبة بين جميع طبقات البشر، وتتعامل فيما بينها معاملة حسنة إنسانية، و يلعب كل فرد دوره في جهاز المجتمع الذي يجسّد فيه كل عنصر مرفقاً لايجب على المجتمع أن يفتقر عنها. وذلك لأن العمل الإسلامي لايُقاس بالكمّية بل بالكيفية فلقدقال رسولنا الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلّم «إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكل امرىء مانوى». وإنّما يدلّ هذا الكلام على ضرورة حسن النيّة اذ لا تصلح الأعمال إلاّ بها، و ينطبق على هذا المعنى قول الإمام علي عليه السلام: «لايقلّ عمل مع التقوى».

«والسلام على من اتّبع الهدى»

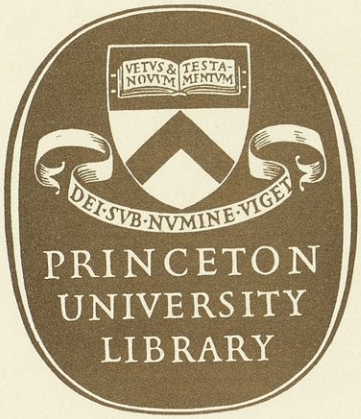
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

طهران ـ ایران ص ب ۲۴۳

من منشورات

۱۳

۶۰۰ ریال